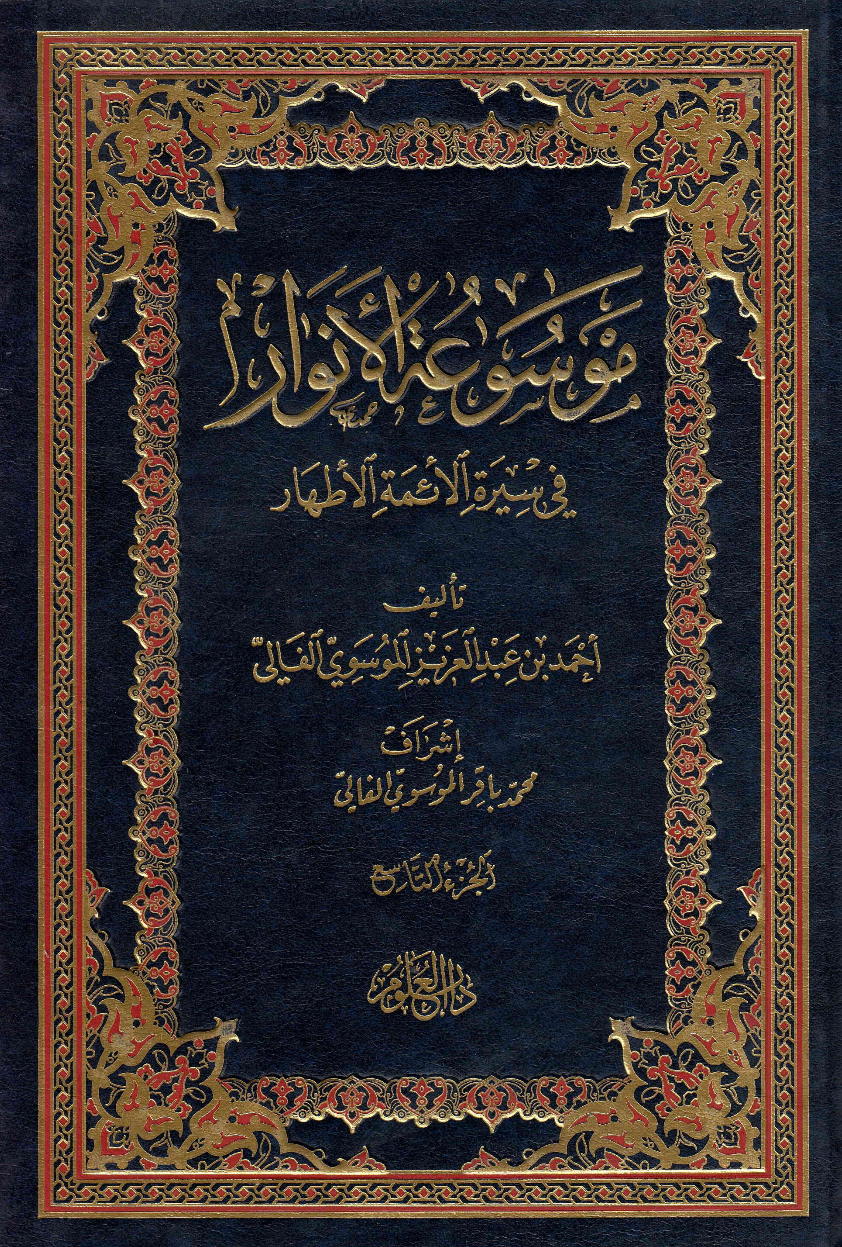


موسوعة الأنوار
في سيرة الأئمة الأطهار
تأليف
أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
إشراف
محمد باقر الموسوي الفالي
الجزء التاسع
دار العلوم


موسوعة الأنوار
في سيرة الأئمة الأطهار

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/٢٠١٠م





المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 24 / 140 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

موسوعة الأنوار

في سيرة الأئمة الأطهار

تأليف

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي

إشراف

محمد باقر الموسوي الفالي

الجزء التاسع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ اَلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اُهْدِنَا اَلصِّرَاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ اَلَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا اَلضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين، محمد بن عبد الله، وعلى خُلفائه المكرمين، المعصومين من أهل بيته الطيبين الطاهرين، المُبشّر بهم بقولهﷺ: يكون بعدي إثنا عشر خليفة.[1] والمُصرّح بأسمائهم واحداً تلو الآخر[2]، واللعنة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد: نشرع بعون الله تعالى في مطاوي صفحات الجزء التاسع من كتاب خلفاء الرسولﷺ إلى بعض أحوال، وفضائل، ومناقب الخليفة السابع لرسول اللهﷺ، الإمام موسى بن جعفر، الكاظمعليه السلام.

سائلين اللهعزّ وجلّ أن يجعلنا من المتمسّكين بولايته، وولاية الأئمّة من آبائه، وأبنائه الطاهرينعليهم السلام، وأن يُوفقنا لما يُحبّ ويرضى؛ إنّه سميع مُجيب.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
قمّ المقدّسة

---

١. راجع صحيح البخاري: ج٦ ص٢٦٤٠ رقم٦٧٩٦. مسند أحمد: ج٦ ص٩٤ رقم٢٠٣٢٥، وص٩٧ رقم٢٠٣٤٩. صحيح مسلم: ج٤ ص١٠٠ رقم٥، وج٤ ص١٠١ رقم١٠. سنن الترمذي: ج٤ ص٤٣٤ رقم٢٢٢٣. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١ ص١٢٧. الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ص٢١٤. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ص٨٣. وغيرهم.

٢. أنظر فرائد السمطين للحمويني: ج٢ ص١٥١ رقم٤٤٦، وينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ج٣ ص٢٨١ ب٧ في بيان الأئمّة الإثني عشر بأسمائهم.

فصل في

حسبه ونسبه وولادته عليه السلام

هو: الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. أُمّه المُكرّمة: حميدة المصفّاة بنت صاعد البربري. كانت موضع عناية، وتقدير، واحترام من قبل جميع العلويّات، وكان الإمام الصادقعليه السلام يُغدق[1] عليها بمعروفه، وقد رأى فيها وفور العقل والإدراك، وحسن الإيمان؛ فأثنى عليها ثناءً عاطراً، وقال فيها:

حميدة؛ مُصفّاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتّى أدّيت إليّ كرامة من الله لي، والحجّة من بعدي.[2]

لقد كانت السيّدة حميدة طاهرة الذيل، نقيّة الثوب، بريئة من النقص، قد أترعت[3] نفسها بالإيمان والصلاح، وقد غذّاها الإمام الصادقعليه السلام بعلومه، حتّى أصبحت في طليعة نساء عصرها علماً، وورعاً، وإيماناً. وقد عهد إليها الإمام الصادقعليه السلام بتفقيه النساء المسلمات، وتعليمهنّ الأحكام الشرعيّة.[4]

وأجدر بها أن تحتلّ هذه المكانة، وأن تكون من ألمع نساء عصرها، في الفقه والكمال.

روى الشيخ الكليني في كيفية زواج الإمام الصادقعليه السلام بها، قال: عن ابن عكاشة، قال: دخلت على الباقرعليه السلام وكان ولده أبو عبد الله قائماً عنده، فقلت:

---

١. غدق العيش: اتّسع.

٢. أُصول الكافي للكليني: ج١ ص٤٧٧، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفرعليهما السلام، ح٢.

٣. ترع: امتلاء.

٤. راجع الأنوار البهيّة للقمّي: ص٨٧.

سيّدي لِمَ لا تزوّج أبا عبد الله ـ وكانت بين يديه صرّة مختومة ـ !؟

فقال عليه السلام: سيجيء نخّاس[١] من أهل بربر؛ فنشتري له بهذه الصرّة جارية... ففتحوا الصرّة، فإذا بها سبعون ديناراً، فدفعوها للنخّاس، وأخذوا الجارية، وجاؤوا بها إلى الإمام الباقر عليه السلام... فقال لها: ما اسمك؟ فأجابته بصوت خافت يقطر حياءً: حميدة. وانبرى عليه السلام، فمنحها وساماً من الشرف والتكريم، قائلاً: حميدة في الدنيا، ومحمودة في الآخرة.[٢]

ولادته عليه السلام

تزوّج الإمام الصادق عليه السلام بحميدة.. فحملت من الإمام عليه السلام، وسافر الإمام أبو عبد الله عليه السلام إلى بيت الله الحرام لأداء الحجّ، فحملها معه، وبعد الإنتهاء من مراسيم الحجّ، قفلوا[٣] راجعين إلى المدينة المنوّرة.

فلّما انتهوا إلى الأبواء[٤] أحسّت بالطلق، فأرسلت تُخبر الإمام عليه السلام بأمرها وكان عليه السلام يتناول الطعام... فلمّا وافاه النبأ قام مبادراً إليها... فوضعت حميدة ولدها موسى الكاظم عليه السلام.[٥]

وهو عليه السلام السابع من سادات آل رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته، وأئمّتهم الهداة

---

١. النخّاس: بيّاع العبيد، والإماء.

٢. راجع الكافي: ج١ ص٤٧٦، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، ح١.

٣. القُفُول: يعني، الإنصِراف. ومنه اشتُقَّ اسم القافِلةِ؛ لرجوعهم إلى الوَطَنِ. كتاب العين للفراهيدي: ج٥ ص١٦٥ «باب القاف واللام والفاء معهما».

٤. الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة ممّا يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً. معجم البلدان للحموي: ج١ ص٧٩ «مادّة الأبواء».

٥. راجع الكافي للكليني: ج١ ص٣٨٥، مواليد الأئمّة، ح١. المحاسن للبرقي: ج٢ ص٣١٤ رقم٣٢. بصائر الدرجات للصفّار: ص٤٦٠.

المهديّين. ومن خلفائه الإثني عشر عليهم السلام الذين أخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله بحديث: حتّى يكون إثنا عشر خليفة.[1]

كُنيته الشريفة: أبو الحسن، وأبو إبراهيم.

روى ابن خلّكان في وفيات الأعيان، قال: أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.[2]

ألقابه: العبد الصالح[3]، باب الحوائج[4]، والصابر، والصالح، والأمين[5]، والمأمون، والطيّب، والسيّد[6]، والفقيه، والعالم.

وأشهرها: الكاظم.

قال ابن أثير في تاريخه: وكان يُلقّب بـ«الكاظم» لأنّه كان يُحسن إلى من يسيء إليه، وكان هذا عادته أبداً.[7]

وقال محمد مبين السهالوي في وسيلة الهدى: كُنّي موسى بن جعفر عليهما السلام بـ: أبي الحسن، وأبي إبراهيم، وأبي عليّ، وأبي إسماعيل؛ وأشهرها الأوّل.

---

١. راجع صحيح البخاري: ج٦ ص٢٦٤٠ ح٦٧٩٦. مسند أحمد: ج٦ ص٩٤ ح٢٠٣٢٥ وص٩٧ ح٢٠٣٤٩. صحيح مسلم: ج٤ ص١٠٠ ح٥ وج٤ ص١٠١ ح١٠. سنن الترمذي: ج٤ ص٤٣٤ ح٢٢٢٣. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١ ص١٢٧. الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ص٢١٤. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ص٨٣. وغيرهم من الخاصّة والعامّة.

٢. وفيات الأعيان: ج٥ ص٣٠٨.

٣. أنظر تاريخ بغداد: ج١٣ ص٢٧.

٤. أنظر مطالب السؤول لابن طلحة: ص٨٣. والفصول المهمّة للمالكي: ص٢١٣.

٥. أنظر مطالب السؤول: ص٨٣.

٦. تذكرة الخواصّ: ص٣٥٧.

٧. الكامل في التاريخ: ج٦ ص١٦٤.

ولُقّب بـ : الكاظم، والصابر، والصالح، والأمين؛ وأشـهرها أيـضاً الأول. وفـي شواهد النبوة: إنّه إنّما لُقّب بـ : الكاظم؛ لفَرط حلمه، وتجاوزه عن المعتدين.[1]

١. وسيلة الهدى: ص٣٦٤.

فصل في

بعض ما ذكره علماء العامّة

في مناقبه عليه السلام

في فضائله وشمائله عليه السلام

قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام

روى الشيخ القندوزي في ينابيع المودّة، قال: وقال جعفر الصادق عليه السلام: هؤلاء أولادي، وهذا سيّدهم. وأشار إلى ابنه الكاظم عليه السلام.

وقال عليه السلام أيضاً: هو باب من أبواب الله تعالى، يخرج الله تبارك وتعالى منه غوث هذه الأُمّة، ونور الملّة، وخير مولود، وخير ناشئ.[1]

كلام الشافعي

قال محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام؛ هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، المجتهد، الجاد في الإجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، يقطع النهار مُتصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعي: كاظماً؛ كان يُجازي المسيء بإحسانه، ويُقابل الجاني بعفوه عنه. ولكثرة عبادته كان يُسمّى بـ : العبد الصالح. ويُعرف في العراق بـ : باب الحوائج إلى الله؛ لنجح مطالب المتوسّلين إلى الله تعالى به.

كراماته تُحار منها العقول، وتقضي بأنّ له عند الله قدم صدق لا تزل، ولا تزول... وكان له ألقاب كثيرة: الكاظم. وهو أشهرها، والصابر، والصالح، والأمين. ثمّ ذكر بعض كراماته عليه السلام.

ثمّ قال: فهذه الكرامات العالية الأقدار، الخارقة العوائد؛ هي على التحقيق

---

١. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٤ ب ٦٥.

جلية المناقب، وزينة المزايا، وغُرر الصفات، ولايُعطاها إلاّ من فاضت عليه العناية الربّانية، وأنوار التأييد، ومرّت له أخلاف التوفيق، وأزلفته من مقام التقديس والتطهير، وما يُلقّاها إلا ذو حظّ عظيم.[١]

كلام المالكي

وقال ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة: قال بعض أهل العلم: الكاظم؛ هو الإمام الكبير القدر، والأوحد الحجّيّة، الحبر، الساهر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً، المسمّى لفرط حلمه، وتجاوزه عن المعتدين: كاظماً. وهو المعروف عند أهل العراق بـ : باب الحوائج إلى الله؛ وذلك لنجح قضاء حوائج المسلمين.

قال: وكان موسى الكاظم عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم كفّاً، وأكرم نفساً، وكان يتفقّد فقراء المدينة، ويحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم، والنفقات، ولا يعلمون من أيّ جهة وصلهم ذلك، ولم يعلموا بذلكَ إلاّ بعد موته عليه السلام، وكان كثيراً ما يدعو:

اللهمّ، إنّي أسألك الرحمة عند الموت، والعفو عند الحساب.[٢]

كلام اليافعي

وقال اليافعي في مرآة الجنان: السيّد أبو الحسن موسى الكاظم عليه السلام ولد جعفر الصادق عليه السلام، كان صالحاً، عابداً، جواداً، حليماً، كبير القدر. وهو أحد الأئمّة الإثنا عشر المعصومين في اعتقاد الإماميّة، وكان يُدعى بـ : العبد الصالح؛ من عبادته

---

١. مطالب السؤول: ص٨٣.

٢. الفصول المهمّة: ص٢١٣.

واجتهاده، وكان سخيّاً، كريماً... إلخ.[١]

كلام ابن الجوزي

قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ: يُلقّبعليه السلام بـ: الكاظم، والمأمون، والطيّب، والسيّد. وكُنيته: أبو الحسن. ويُدعى بـ: العبد الصالح؛ لعبادته واجتهاده، وقيامه بالليل. وكان جواداً، حليماً.[٢]

كلام ابن حجر

قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: موسى الكاظمعليه السلام؛ وهو وارثه ـ أي، وارث أبيه الإمام الصادقعليه السلام ـ علماً، ومعرفةً، وكمالاً، وفضلاً. سُمّي: الكاظم؛ لكثرة تجاوزه، وحلمه. وكان معروفاً عند أهل العراق بـ«باب قضاء الحوائج عند الله». وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، وأسخاهم.[٣]

علمهعليه السلام بالغيب

مع أبي خالد الزبالي

روى الشبلنجي، قال: من كتاب «الدلائل» للحميري:

روى أحمد بن محمد، عن ابن قتادة، عن أبي خالد الزبالي، قال: قدم أبو الحسن موسى الكاظمعليه السلام زبالة ومعه جماعة من أصحاب المهدي ـ العباسي ـ بعثهمعليه السلام لإحضاره لديه إلى العراق من المدينة، وذلك في مسكنه الأولى.

١. مرآة الجنان: ج١ ص٣٩٤.
٢. تذكرة الخواصّ: ص٣٥٧.
٣. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٠.

فأتيته فسلّمت عليه. فسُرّ عليه السلام برؤيتي، وأوصاني بشراء حوائج، وبتبقيتها عندي له.

فرآني غير منبسط، فقال عليه السلام: يا أبا خالد، ليس عليّ بأس؛ فإذا كان في شهر كذا في اليوم الفلاني منه فانتظرني آخر النهار مع دخول الليل؛ فإنّي أُوافيك إن شاء الله تعالى.

قال أبو خالد: فما كان لي همّ إلاّ إحصاء تلك الشهور، والأيّام إلى ذلك اليوم الذي وعدني بالمجيء فيه، فخرجت غروب الشمس؛ فلم أر أحد، فلمّا كان دخول الليل، إذا بسواد قد أقبل من ناحية العراق، فقصدته؛ فإذا هو عليه السلام على بغلة أمام القطار، فسلّمت عليه، وسُررت بمقدمه عليه السلام، وتخلّصه.

فقال لي: أدخلك الشكّ يا أبا خالد!؟

فقلت: الحمد لله الذي خلّصك من هذا الطاغية.

فقال عليه السلام: يا أبا خالد، إنّ لهم إليّ عودة لا أتخلّص منها.[1]

ورواه ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة.[2]

هل أمنتم الجراد!؟

روى ابن الصبّاغ في الفصول المهمّة، قال: عن عثمان بن عيسى، قال: قال موسى الكاظم عليه السلام لإبراهيم بن عبد الحميد وقد لقيه سحراً وإبراهيم ذاهب إلى قبا، وموسى عليه السلام داخل إلى المدينة: يا إبراهيم، إلى أين؟

قال: إلى قبا.

---

١. نور الأبصار: ص١٣٨.

٢. الفصول المهمّة: ص٢١٦.

قال عليه السلام: في أي شيء؟

فقال: إنّا في كلّ سنة نشتري من هذا التمر، فأردت أن آتي في هذه السنة إلى رجل من الأنصار فأشتري منه نخلاً.

فقال له موسى عليه السلام: وقد أمنتم الجراد!؟

ثمّ فارقه، فوقع كلامه عليه السلام في صدره، فلم يشتر شيئاً، فما مرّت خامسة حتّى بعث الله جراداً أكل عامّة النخل.[١]

ميّت في هذه الليلة

روى ابن الصبّاغ في الفصول المهمّة، قال: روى إسحاق بن عمّار، قال: لمّا حبس هارون الرشيد موسى الكاظم عليه السلام دخل عليه السجن ليلاً أبو يوسف، ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة، فسلّما عليه، وجلسا عنده، وأرادا أن يختبراه بالسؤال؛ لينظرا مكانه من العلم.

فجاءه بعض الموكّلين به، فقال له: إنّ نوبتي قد فرغت، وأُريد الأنصراف إلى غد إن شاء الله تعالى، فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها معي إذا جئتك غداً.

فقال عليه السلام: ما لي حاجة، انصرف.

ثمّ قال عليه السلام لأبي يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني: إنّي لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أُكلّفه حاجة يأتيني بها غداً إذا جاء، وهو ميّت في هذه الليلة! فأمسكا عن سؤاله، وقاما، ولم يسألاه عن شيء!

وقالا: أردنا أن نسأله عن الفرض والسنّة، أخذ يتكلّم معنا في علم الغيب!

---

١. الفصول المهمّة: ص٢١٧.

والله، لنُرسل خلف الرجل من يبيت عند باب داره، وننظر ما يكون من أمره. فأرسلا شخصاً من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل، فلمّا كان أثناء الليل، وإذا بالصراخ والواعية! فقيل لهم: ما الخبر!؟

فقالوا: مات صاحب البيت فجأة.

فعاد إليهما الرسول، وأخبرهما بذلك، فتعجّبا من ذلك غاية العجب!![1]

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار.[2]

مع جُعيفران بن علي

روى الصفدي في الوافي، قال: جُعيفران بن علي بن أصفر بن السَّري بن عبد الرحمن الأنباري، من ساكني سرَّ من رأى، ومنشأه بغداد. وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانيّة، وظهر لأبيه أنّه يختلف إلى بعض سرائره، فطرده أبوه عن داره، وحجّ، فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، فقال له موسى عليه السلام:

إن كنت صادقاً عليه؛ فليس يموت حتّى يفقد عقله. وإن كنت قد تحقّقت ذلك عليه؛ فلا تُساكنه في منزلك، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك.

وسأل الفقهاء عن حيلة حتّى تُخرجه من ميراث ماله، فدلّوه على الطريق إلى ذلك، فأشهد به، وأوصى إلى رجل، فلمّا مات، حاز الرجل ميراثه، ومنع منه جُعيفران؛ فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي، فأحضر الوصيَّ، وسأل جُعيفران البيِّنة على نسبه، وتركة أبيه. وأقام بيّنةً عدولاً، وأحضر الوصي بيّنةً عدولاً على

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٢٣.

٢. نور الأبصار: ص٢٠٣.

الوصيّة يشهدون على أبيه بما كان احتال على منعه ميراثه؛ فلم يـر أبـو يوسـف ذلك شيئاً، وعزم على أن يورثّه! فقال الوصي: أنا أدفع هـذا عـن هـذا الميـراث بحجّة واحدة. فأبى أبو يوسف أن يسمع منه! وجُعيفران يقول: قد ثبـت عنـدك أمري، فلا تدفعني.

وقال الوصيّ: إسمع منّي حجّتي منفرداً. فقال أبو يوسف: لا اسـمع منـك إلا بحضرته. فقال: أجّلني إلى غد. فأجّله، فجاء إلى منزله، وكتب رقعةً فيها خبـره، وما قاله موسى بن جعفر عليه السلام، ودفعها لصديق إلى أبي يوسف، فلمّا قرأهـا دعـا بالوصيّ، فاستحلفه على ذلك. فحلف باليمين الغموس، وقال: اغد غداً عليّ مـع صاحبك. فحضر إليه، فحكم أبو يوسف للوصـيّ، فلمّـا أمـضى الحكـم عليـه؛ وسوس جُعيفران، واختلط منذ يومئذ، وكـان إذا ثـاب إليـه عقلـه؛ قـال الـشعر الجيّد.

وعن عبد الله بن عثمان الكاتب، عن أبيه، قال: كنت ليلة أشرف مـن سـطحٍ على دار جُعيفران وهو فيها وحده، وقد تحرّكت عليه السّوداء[1] وهو يـدور فـي الدار طول ليلته، ويقول من الرجز:

طاف به طيف من الوسواس	نفّـر عنـه لـذة النُعـاس
فمـا يـرى يـأنس بالأنـاس	ولايلـذّ عـشرة الجـلاّس

فهو غريب بين هذا الناس، ولم يزل يردّدها حتّى أصبح، ثمّ سقط كأنّه بقلـة ذابلة.[2]

١. السوداء: إضطراب العقل. أو ما يطلق عليه: الجنون الصامت. راجع المعجـم القـانوني للفـاروقي: ج٢ ص٣٧٠.

٢. الوافي في الوفيّات: ج١ ص١٥٤٤، ترجمة جُعيفران بن علي.

في عبادته وزهده عليه السلام

العبد الصالح

روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، قال: أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، حدّثني جدّي، قال: كان موسى بن جعفر عليهما السلام يُدعى: العبد الصالح؛ من عبادته، واجتهاده. روى أصحابنا: إنّه عليه السلام دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فسجد سجدة في أوّل الليل، وسُمع وهو يقول في سجوده:

عظم الذنب عندي، فليحسن العفو عندك، يا أهل التقوى، ويا أهل المغفرة. فجعل عليه السلام يردّدها حتّى أصبح.[1]

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة: كان عليه السلام يُدعى: العبد الصالح؛ لأجل عبادته، واجتهاده، وقيامه بالليل، وكان عليه السلام كريماً، حليماً... إلخ.[2]

وقال الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة: ومن أئمّة أهل البيت عليهم السلام؛ أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهما السلام، وكان صالحاً، عابداً، جواداً، كريماً، حليماً، كبير القدر، كثير العلم، وكان عليه السلام يُدعى بـ : العبد الصالح. وفي كلّ يوم يسجد لله سجدة طويلة بعد ارتفاع الشمس إلى الزوال.[3]

وقال الشيخ مصطفى رشدي الدمشقي في الروضة النديّة: الإمام موسى الكاظم، أبو إبراهيم عليه السلام، كان يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، كان حليماً، يتجاوز عن المعتدين عليه، وكريماً يُقابل المسيء

---

١. تاريخ بغداد: ١٣ ص٢٧.

٢. صفة الصفوة: ج٢ ص١٨٤.

٣. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٣ ب٦٥.

بالإحسان إليه، ولذا لُقّب بـ : الكاظم. ولكثرة عبادته سُمّي بـ : العبد الصالح. ويُعرف في العراق بـ : باب الحوائج إلى الله تعالى؛ لنجح المتوسّلين به إليه سبحانه. وعباداته مشهورة، تقضي بأنّ لهعليه السلام قدم صدق عند الله لا يزول، وكراماته مشهورة تُحار منها العقول.[١]

دأبهعليه السلام العبادة

روى مجد الدين بن الأثير في المختار في مناقب الأخيار، قال: قال الحسن بن محمد العلوي: حُبس أبو الحسن موسى بن جعفرعليهما السلام عند السندي بن شاهك، فسألته أُخته أن تتولّى حبسه، ففعل، فحُكي: إنّها قالت:

كانعليه السلام إذا صلّى العتمة ـ العشاء ـ حمد الله، ومجّده، ودعاه. فلم يزل كذلك حتّى يزول الليل، فاذا زال الليل؛ قامعليه السلام فصلّى حتّى يُصلّي الصبح، ثمّ يذكر قليلاً حتّى مطلع الشمس، ثمّ يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثمّ يتهيّأ، ويستاك، ويأكل، ثمّ يرقد إلى قبل الزوال، ثمّ يتوضّأ ويُصلّي حتّى العصر، ثمّ يذكر في القبلة حتّى يُصلّي المغرب، ثمّ يُصلّي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبهعليه السلام.

فكانت أُخت السندي إذا نظرت إليه، قالت: خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل![٢]

ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه، والمزّي في تهذيبه، والذهبي في سير أعلام النبلاء. وابن الوردي في ذيل تاريخ أبي الفداء.[٣]

---

١. الروضة النديّة: ص١١.

٢. المختار في مناقب الأخيار: ص٣٣.

٣. تاريخ بغداد: ١٣ ص٣٢، ترجمة موسى بن جعفرعليهما السلام. تهذيب الكمال: ج٢٩ ص٥٠، ترجمة موسى بن جعفرعليهما السلام. سير أعلام النبلاء: ج٦ ص٢٧٣، ترجمة موسى بن جعفرعليهما السلام. ذيل تاريخ أبي الفداء: ج١ ص٢٨١.

وقال المناوي في الكواكب الدرّيّة: وكان عليه السلام أعبد أهل زمانه، ومن أكابر العلماء الأسخياء.[١]

وقال ابن الصبّاغ المالكي في إسعاف الراغبين: وأمّا موسى الكاظم عليه السلام؛ فكان معروفاً عند أهل العراق بـ : باب قضاء الحوائج عند الله.

وكان من أعبد أهل زمانه، ومن أكابر العلماء الأسخياء... ولُقّب بـ : الكاظم؛ لكثرة تجاوزه، وحلمه.[٢]

في سخائه عليه السلام، وجوده، وكرمه

صرر موسى بن جعفر عليهما السلام

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: وكان عليه السلام سخيّاً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه؛ فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان عليه السلام يصرّ الصرر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثمّ يُقسمها في المدينة، وكان مثل صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرّة؛ فقد استغنى.

ثمّ قال: أخبرنا الحسن، حدّثني جدّي، حدّثنا إسماعيل بن يعقوب، حدّثني محمد بن عبد الله البكري، قال: قدمت المدينة أطلب بها ديناً، فأعياني، فقلت: لو ذهبت إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام فشكوت ذلك إليه. فأتيت بنفسي في ضيعته، فخرج عليه السلام ومعه غلام له معه منسف[٣] فيه قديد، فخرج ليس معه غيره، فأكل وأكلت معه عليه السلام، ثمّ سألني عن حاجتي، فذكرت له عليه السلام قصّتي،

---

١. الكواكب الدرّيّة: ج١ ص١٧٢.

٢. إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ص٢٤٧.

٣. المنسف: الغربال الكبير.

فدخل عليه السلام، فلم يُقم إلاّ يسيراً حتّى خرج عليه السلام إليّ، فقال لغلامه: اذهب! ثمّ مدّ يده عليه السلام إليّ فدفع إليّ صرّة فيها ثلاثمائة دينار، ثمّ قام عليه السلام فولّى، فقمت فركبت دابّتي وانصرفت.[1]

كم غرمت فيه!؟

روى الذهبي في سير أعلام النبلاء، قال: قال أبو عبد الله المحاملي: حدّثنا عبدالله بن أبي سعد، حدّثني محمد بن الحسين الكناني الليثي، حدّثني عيسى بن محمد بن مغيث القرشي، وبلغ تسعين سنة، قال: زرعت بطيخاً، وقثّاءً، وقرعاً بالجوّانيّة، فلمّا قرب الخير، بيّتني الجراد فأتى على الزرع كلّه. وكنت غرمت عليه، وفي ثمن جملين مئة وعشرين ديناراً. فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر عليهما السلام، فسلّم، ثمّ قال: ايش حالك!؟ فقلت: أصبحت كالصريم.

قال عليه السلام: وكم غرمت فيه!؟ قلت: مئة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

فقال عليه السلام: يا عرفة، زن لأبي المغيث مائة وخمسين ديناراً؛ فربحك ثلاثين ديناراً والجملين. فقلت: يا مُبارك، ادخل وادع لي فيها. فدخل ودعا، وحدّثني عن النبي صلى الله عليه وآله، إنّه قال: تمسّكوا ببقايا المصائب. ثمّ علقت عليه الجملين، وسقيته، فجعل الله فيها البركة زكت، فبعت منها بعشرة آلاف.[2]

ورواه البغدادي في تاريخه، والمزّي في تهذيبه.[3]

---

١. تاريخ بغداد: ج١٣ ص٢٩.

٢. سير أعلام النبلاء: ج ٦ ص٢٧٢، ترجمة موسى بن جعفر عليهما السلام.

٣. تاريخ بغداد: ج١٣ ص٣٠، ترجمة موسى بن جعفر عليهما السلام. تهذيب الكمال: ج ٢٩ ص٤٦، ترجمة موسى بن جعفر عليهما السلام.

في عظيم أخلاقه عليه السلام

مع العُمري

روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، قال: قال جدّي يحيى بن الحسن ـ وذكر لي غير واحد من أصحابنا ـ: إنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينة يؤذيه عليه السلام، ويشتم عليّاً، قال: وكان قد قال له عليه السلام بعض حاشيته: دعنا نقتله، فنهاهم عليه السلام عن ذلك أشدّ النهي، وزجرهم أشدّ الزجر.

وسأل عن العُمري؟ فذُكر له: إنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب عليه السلام إليه في مزرعته، فوجده فيها، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العُمري: لا تطأ زرعنا، فوطأه بالحمار حتّى وصل إليه فنزل، فجلس عنده وضاحكه، وقال له: كم غرمت في زرعك هذا؟

قال: مائة دينار.

قال عليه السلام: فكم ترجو أن تُصيب؟

قال: أنا لا أعلم الغيب.

قال عليه السلام: إنّما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك فيه؟

قال: أرجو أن يجيئني مائتا دينار.

قال: فأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال عليه السلام: هذا زرعك بحاله.

قال: فقام العُمري؛ فقبّل رأسه عليه السلام، وانصرف عليه السلام.

قال: فراح عليه السلام إلى المسجد، فوجد العمري جالساً، فلمّا نظر إليه ـ العُمري ـ

قال: ﴿اللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[١].

قال: فوثب أصحابه ـ أي، أصحاب العُمري ـ فقالوا له: ما قصّتك!؟ قد كنت تقول خلاف هذا.

قال: فخاصمهم، فشاتمهم، وجعل يدعو لأبي الحسن موسى عليه السلام كلّما دخل وخرج.

قال: فقال أبو الحسن عليه السلام لحاشيته الذين أرادوا قتل العُمري: أيّهما كان خيراً، ما أردتم أم ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟![٢]

ورواه مجد الدين بن الأثير في المختار.[٣]

مع عبد زنجي

روى مجد الدين بن الأثير في المختار، قال: وروي عن محمد بن موسى، قال: خرجت مع أبي إلى ضياعه، فأصبحنا في غداة باردة، وقد دنونا منها، وأصبحنا عند عين من العيون، فخرج علينا من تلك الضياع عبد زنجي مستذفر[٤] بخرقة، وعلى رأسه قدر فخّار يفور، فوقف على الغلمان، فقال: أين سيّدكم؟

قالوا: هو ذاك.

قال: أبو مَن يُكنّى؟

قالوا: أبو الحسن.

---

١. سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

٢. تاريخ بغداد: ج١٣ ص٣٠، ترجمة موسى بن جعفر عليهما السلام.

٣. المختار في مناقب الأخيار: ص٣٣.

٤. أي، شدّ مذفريه بخرقة. ومذفريه: أي، أصل الأُذنين. راجع لسان العرب لابن منظور: ج٤ ص٣٠٦«مادّة ذفر».

فوقف عليه، فقال: يا سيدي، يا أبا الحسن، هذه عصيدة أهديتها لك.

قال: ضعها عند الغلمان. فأكلوا منها.

ثمّ ذهب، فلم نقل بلغ حتّى خرج على رأسه حزمة حطب، فقال: يا سيّدي، هذا حطب أهديته لك.

قال: ضعه عند الغلمان، وهب لنا ناراً. فذهب فجاء بنار.

فكتب أبو الحسن عليه السلام اسمه واسم مولاه؛ فدفعه إليّ، وقال: يا بُنيّ، احتفظ بهذه الرقعة حتّى أسألك عنها.

قال: فوردنا إلى ضياعه، وأقام بها ما طاب له، ثمّ قال: امضوا بنا إلى زيارة البيت، فخرجنا حتّى وردنا مكّة.

فلمّا قضى أبو الحسن عليه السلام عُمرته، دعا صاعداً ـ أحد مواليه ـ فقال: اذهب فاطلب لي هذا الرجل، فإذا علمت بموضعه فأعلمني حتّى أمشي إليه؛ فإنّي أكره أن أدعوه والحاجة لي.

قال صاعد: فذهبت حتّى وقفت على الرجل، فلمّا رآني عرفني، فسلّم عليّ، وقال: أبو الحسن قدم!؟

قلت: لا.

قال: فأيّ شيء أقدمك!؟

قلت: حوائج.

وكان قد علم بشأنه؛ فتبعني، وجعلت أتعصّى منه ويلحقني بنفسه، فلمّا رأيت أنّي لا أنفكّ منه، مضيت إلى مولاي ومضى معي حتّى أتيته عليه السلام، فقال عليه السلام: ألم أقل لك لا تُعلمه؟

فقلت: جُعلت فداك، لم أُعلمه.

فسلّم عليه، فقال له أبو الحسن عليه السلام: غلامك فلان تبيعه؟

قال له: جُعلت فداك، الغلام لك، والضيعة... قال عليه السلام: أمّا الضيعة فلا أُحبّ أن أسلبكها، وقد حدّثني أبي عن جدّي: إنّ بايع الضيعة ممحوق، ومُشتريها مرزوق. فجعل الرجل يعرضها عليه مدلاً بها، فاشترى أبو الحسن عليه السلام الضيعة والرقيق منه بألف دينار، وأعتق العبد، ووهب له الضيعة.[1]

ورواه البغدادي في تاريخه، والمزّي في تهذيبه.[2]

في بعض كراماته عليه السلام

بعض الظنّ إثم

روى اليافعي في روض الرياحين، قال: عن شقيق البلخي، قال: خرجت حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائة، فنزلت القادسيّة: فبينما أنا أنظر إلى الناس، وزينتهم، وكثرتهم نظرت فتىً حسن الوجه، فوق ثيابه ثوب صوف، مشتملاً بشملة، وفي رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفيّة، يُريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم؛ والله، لأمضينَ إليه، ولأُوبخنّه، فدنوت منه، فلمّا رآني مقبلاً، قال:

يا شقيق! ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[3]. وتركني ومضى!

فقلت في نفسي: إنّ هذا الأمر عظيم، قد تكلّم على ما في نفسي، ونطق بإسمي، ما هذا إلاّ عبد صالح؛ لألحقنّه ولأسألنّه أن يُحللني. فأسرعت في أثره

---

١. المختار في مناقب الأخيار: ص٣٣.

٢. تاريخ بغداد: ج١٣ ص٣١، ترجمة موسى بن جعفر عليهما السلام. تهذيب الكمال: ج ٢٩ ص٤٧، ترجمة موسى بن جعفر عليهما السلام.

٣. سورة الحجرات، الآية: ١٢.

فلم ألحقه، وغاب عن عيني، فلمّا نزلنا واقصة[1] إذا به يُصلّي، وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تجري؛ فقلت: هذا صاحبي، أمضي إليه، وأستحلّه. فصبرت حتّى جلس، وأقبلت نحوه.

فلمّا رآني مقبلاً، قال: يا شقيق، إقرأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[2]. ثمّ تركني ومضى!

فقلت: إنّ هذا الفتى لَمِن الأبدال؛ قد تكلّم عن سرّي مرّتين.

فلمّا نزلنا إلى منى، إذا بالفتى قائم على البئر، وبيده ركوة يُريد أن يستقي، فسقطت الركوة من يده في البئر، وأنا أنظر إليه، فرأيته قد رمق[3] السماء، وسمعته يقول:

أنت ربّي إذا ظمأت إلى الماء، وقوتي إذا أردت الطعاماً.

اللهمّ، أنت تعلم يا إلهي وسيّدي، مالي سواها، فلا تعدمني إياها.

قال شقيق: فوالله، لقد رأيت البئر قد ارتفع مائها، فمدّ يده وأخذ الركوة، وملأها ماءً، وتوضّأ، وصلّى أربع ركعات، ثمّ مال إلى كثيب من رمل، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة، ويُحرّكه، ويشرب؛ فأقبلت إليه، وسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك.

فقال: يا شقيق، لم تزل نعمة الله تعالى علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنّك بربّك. ثمّ ناولني الركوة، فشربت منها؛ فإذا سويق وسكّر. فوالله، ما شربت قطّ ألذّ منه، ولا أطيب منه ريحاً، فشبعت ورويت، وأقمت أيّاماً لا أشتهي طعاماً، ولا شراباً.

---

١. واقصة: منزل بطريق مكّة بعد القرعاء نحو مكّة، وقبل العقبة. معجم البلدان للحموي: ج٥ ص٣٥٣«مادّة واقصة».

٢. سورة طه، الآية: ٨٢.

٣. رمق: أطال، وأدام النظر.

ثمّ لم أره حتّى دخلنا مكّة، فرأيته ليلة في جنب قبّة الشراب في نصف الليل يُصلّي بخشوع، وأنين، وبكاء، فلم يزل كذلك حتّى ذهب الليل، فلمّا رأى الفجر، جلس في مُصلاه يُسبّح، ثمّ قام فصلّى، فلمّا سلّم من صلاة الصبح، طاف بالبيت سبعاً، وخرج. فتبعته؛ فإذا له حاشية وأموال، وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس من حوله يُسلّمون عليه، فقلت لبعض من رأيته بالقرب منه: من هذا الفتى!؟

فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

فقلت: قد عجبت! هل يكون هذه العجائب والشواهد إلاّ لمثل هذا السيّد!؟[1]

ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ، وصفة الصفوة. ومجد الدين بن الأثير في المختار. وابن حجر في الصواعق المحرقة. وابن الصبّاغ المالكي، وقال: رواها جماعة من أهل التأليف، والمحدثّين.[2]

وأيضاً رواه محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول عن هشام بن حاتم الأصمّ، ثمّ قال: ولقد نظّم بعض المتقدّمين هذه الواقعة في أبيات طويلة، اقتصرت على ذكر بعضها، وهو:

قال لمّا حججت عاينت شخصاً ... شاحب اللون ناحل الجسم أسمر

سائر وحده وليس له زاد ... فما زلت دائماً أتفكّر

وتوهمّت أنّه يسأل الناس ... ولم أدر أنّه الحجّ الأكبر

ثمّ عاينته ونحن نزول ... دون قيد على الكثيب الأحمر

---

١. روض الرياحين: ص٥٨.

٢. تذكرة الخواصّ: ص٣٥٧، وصفة الصفوة: ج٢ ص١٨٥. المختار في مناقب الأخيار: ص٣٤. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩١. الفصول المهمّة: ص٢١٥.

يضع الرمل في الإناء ويشربه ... فناديته وعقلي محيّر
اسقني شربة فناولني منه ... فعاينته سويقاً وسكّر
فسألت الحجيج من يك هذا؟ ... قيل: هذا الإمام موسى بن جعفر[١]

وروى الواقعة أيضاً كثير ممّن لا مجال لذكرهم من أعلام القوم، ومن أراد التفصيل، فليّراجع شرح إحقاق الحقّ للعلامّة الحبر السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي.[٢]

احفظ الدرّاعة

روى ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، قال: وعن عبد الله بن إدريس، عن ابن سنان، قال: حمل الرشيد في بعض الأيّام إلى عليّ بن يقطين ثياباً فاخرة أكرمه بها، ومن جملتها درّاعة منسوجة بالذهب، سوداء من لباس الخلفاء، فأنفذ بها عليّ بن يقطين إلى موسى الكاظم عليه السلام.

فردّها الإمام عليه السلام إليه، وكتب إليه: احتفظ بها، ولا تُخرجها عن يدك؛ فسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها.

فارتاب عليّ بن يقطين بردّها عليه، ولم يدر ما سبب كلامه ذلك، ثمّ احتفظ بالدرّاعة، وجعلها في سفط، وختم عليها.

فلمّا كان بعد ذلك بمدّة يسيرة تغيّر عليّ بن يقطين عن بعض غلمانه ممّن كان يختصّ بأموره ويطّلع عليها، فصرفه عن الخدمة، وطرده لأمر أوجب ذلك منه.

فسعى الغلام بعليّ بن يقطين إلى الرشيد، وقال له: إنّ عليّ بن يقطين يقول

---

١. مطالب السؤول: ص٨٣.
٢. شرح إحقاق الحقّ: ج١٢ ص٣١٧.

بإمامة موسى الكاظم، وإنّه يحمل إليه في كلّ سنة زكاة ماله، والهدايا، والتحف، وقد حمل إليه في هذه السنة الدرّاعة السوداء التي أكرمه بها أميرالمؤمنين في وقت كذا.

فاستشاط الرشيد لذلك غضباً شديداً، وقال: لأكشفنّ عن ذلك، فإن كان الأمر على ما ذكرت؛ أزهقت روحه. وذلك من بعض جزائه.

فأنفد في الوقت والحين أن يحضر عليّ عليُ بن يقطين. فلما مثل بين يديه قال: ما فعلت بالدرّاعة السوداء التي كسوتكها، واختصصتك بها من بين خواصّي!؟

قال: هي عندي في سفط في طيب مختوم عليها.

فقال: أحضرها الساعة.

فقال: نعم، السمع والطاعة. فاستدعى بعض خدمه، فقال: امض وخُذ مفتاح البيت الفلاني من داري، وافتح الصندوق الفلاني، وائتني بالسفط الذي فيه على حالته بختمه.

فلم يلبث الخادم إلاّ قليلاً حتّى عاد وفي صحبته السفط، فإذا بالدرّاعة فيه مطويّة، ومدفونة بالطيب على حالها، لم تُلبس، ولم تُدنّس، ولم يُصبها شيء من الأشياء.

فقال لعليّ بن يقطين: ردّها إلى مكانها، وخذها وانصرف راشداً؛ فلن نصدّق بعدها عليك ساعياً. وأمر أن يُتبع بجائزة سنية، وأمر أن يُضرب الساعي ألف سوط، فضُرب، فلمّا بلغوا إلى خمسمائة سوط مات تحت الضرب قبل الألف.[١]

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار. والسهالوي في وسيلة النجاة ملخّصاً، وقال:

---

١. الفصول المهمّة: ص٢١٨.

روي: إنّ عليّ بن يقطين أرسل كتاباً إلى موسى بن جعفر عليهما السلام بالمدينة، فلمّا وصل الجماعة ـ الذين معهم الكتاب ـ إلى المدينة، لقيهم موسى بن جعفر عليهما السلام، فأخرج كتاباً قبل أن يُقرأ كتاب عليّ بن يقطين، وقال عليه السلام: فيه جواب ما في الكتاب.[١]

مع عيسى المدائني

روى الشبلنجي في نور الأبصار، قال: عن عيسى المدائني، قال: خرجت سنة إلى مكّة، فأقمت بها مجاوراً، ثمّ قلت: أذهب إلى المدينة فأُقيم بها سنة مثل ما أقمت بمكّة؛ فهو أعظم لثوابي.

فقدمت المدينة، فنزلت طرف المُصلّى إلى جنب دار أبي ذر، وجعلت أختلف إلى سيّدنا موسى بن جعفر عليهما السلام، فبينا أنا عنده في ليلة ممطرة، إذ قال عليه السلام لي: يا عيسى، قُم، فقد انهدم البيت على متاعك.

فقمت، فإذا بالبيت قد انهدم على المتاع، فاكتريت قوماً كشفوا عن متاعي، واستخرجت جميعه، لم يذهب لي غير سطل للوضوء.

فلمّا أتيته من الغد، قال عليه السلام: هل فقدت شيئاً من متاعك؛ فندعو الله لك بالخلف؟!

فقلت: ما فقدت غير سطل كان لي أتوضّأ منه.

فأطرق عليه السلام رأسه مليّاً، ثمّ رفعه عليه السلام، فقال: فقد ظننت أنّك أنسيته قبل ذلك. فأت جارية ربّ الدار، فاسألها عنه، وقل لها: أنسيت السطل في بيت الخلا، فردّيه.

---

١. نور الأبصار: ص٢١٠. وسيلة النجاة: ص٣٦٨ـ٣٦٩.

قال: فسألتها عنه، فردّته.[١]

ورواه ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة.[٢]

دعائه عليه السلام على عدوّه

روى ابن الصبّاغ في الفصول المهمّة، قال: ونقل صاحب كتاب نثر الدرر: إنّ موسى بن جعفر، الكاظم عليه السلام ذُكِر له: إنّ الهادي قد همّ بك.

قال عليه السلام لأهل بيته ومن يليه: ما تشيرون به عليّ من الرأي؟

فقالوا: نرى أن تتباعد عنه، وأن تُغيّب شخصك عنه؛ فإنّه لا يؤمننّ عليك من شرّه.

فتبسّم عليه السلام، ثمّ قال:

زعمت سُخينة[٣] أن ستغلب ربّها ... وليغلبنّ مغالب الغلاب

ثمّ إنّه عليه السلام رفع يده إلى السماء، فقال:

إلهي، كم من عدو شحذ لي ظبّة مديته، وداف لي قواتل سمومه، ولم تنم عنّي عين حراسته، فلمّا رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن كلمات الجوايح، صرفت ذلك عنّي بحولك وقوّتك، لا بحولي وقوّتي، وألقيته في الحفيرة التي احتفره إليّ خائباً ممّا أمّله في دنياه، متباعداً عمّا يرجوه في أُخراه، فلك الحمد على قدر ما عممتني فيه من نعمك، وما تولّيتني من جودك وكرمك.

اللهمّ، فخذه بقوّتك، وافلل حدّه عنّي بقُدرتك، واجعل له شغلاً فيما يليه،

---

١. نور الأبصار: ص١٣٨.

٢. الفصول المهمّة: ص٢١٦.

٣. السخينة: حَسَاء يُعمل من دقيق وسَمن، يؤكل في الجَدْب. وكانت قريش تُعيَّر بها. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج١ ص٢٣٧ باب الباء مع الجيم.

وعجزاً به عمّا ينويه.

اللهمّ، وأعدني عليه عدوة حاضرة، تكون من غيظي شفاءً، ومن حنقي عليه وفاءً.

وصل اللهمّ دعائي بالإجابة، وانظم شكايتي بالتعبير، وعرّفه عمّا قليل ما وعدت به من الإجابة لعبيدك المضطّرين، إنّك ذو الفضل العظيم، والمنّ الجسيم.

ثمّ، إنّ أهل بيته انصرفوا عنه. فلمّا كان بعد مدّة يسيرة حتّى اجتمعوا لقرائة الكتاب الوارد على موسى الكاظم عليه السلام بموت موسى الهادي، وفي ذلك يقول بعضهم:

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي   محلاً ولم يقطع بها الأرض قاطع[1]

التوسّل بقبره عليه السلام

روى الخطيب البغدادي في تاريخه، قال: أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الإسترابادي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلاّل يقول:

ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر عليهما السلام، فتوسّلت به إلاّ سهّل الله تعالى ما أُحبّ.[2]

واشتعل بالظالم قبره

روى محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول، قال: ولقد قرع سمعي

١. الفصول المهمّة: ص٢١٧.

٢. تاريخ بغداد: ج١ ص١٢٠.

ذكر واقعة عظيمة؛ وهي: إنّ من عظماء الخلفاء من كان له نائب كبير الشأن في الدنيا من مماليكه الأعيان في ولاية عامّة طالت فيها مدّته، وكان ذا سطوة وجبروت، فلمّا انتقل إلى الله تعالى اقتضت رعاية الخليفة له أن يقوم بدفنه في ضريح مجاور لضريح الإمام موسى بن جعفرعليهما السلام بالمشهد المطهّر.

وكان بالمشهد المطهّر نقيب معروف، مشهود له بالصلاح، كثير التردّد والملازمة لضريح السيّد الجليل، والخدمة له، قائم بوظائفها، فذكر هذا النقيب:

إنّه بعد دفن ذلك المتوفّى في ذلك القبر، بات بالمشهد، فرأى في منامه أنّ القبر قد انفتح، والنار تشتعل فيه، وقد انتشر منه دخان، ورائحة قتار[1] ذلك المدفون فيه إلى أن ملأت المشهد، وأنّ الإمام موسىعليه السلام واقف؛ فصاحعليه السلام لهذا النقيب بإسمه، وقال له: تقول للخليفة: يا فلان! ـ وسمّاه بإسمه ـ لقد آذيتني بمجاورة هذا الظالم. وقالعليه السلام كلاماً خشناً.

فاستيقظ النقيب وهو يرعد فرقاً، وخوفاً؛ فلم يلبث أن كتب ورقة وصيّرها منهيّاً فيها صورة الواقعة بتفصيلها.

فلمّا جن الليل جاء الخليفة إلى المشهد المطهّر بنفسه، ومعه خدم، واستدعى النقيب، ودخلوا إلى الضريح، وأمر بكشف ذلك القبر، ونقل ذلك المدفون إلى موضع آخر خارج المشهد، فلمّا كشفوه؛ وجدوا فيه رماد الحريق، ولم يجدوا للميّت أثراً.[2]

مع المهدي العباسي

روى الخطيب البغدادي في تاريخه، قال: حدّثني الحسين بن محمد الخلال،

١. القتار: رائحة العظم، أو اللحم المحترق.

٢. مطالب السؤول: ص٨٤.

حدّثنا أحمد بن محمد بن عمران، حدّثنا محمد بن يحيى الصولي، حدّثنا عون بن محمد، قال: سمعت إسحاق الموصلّي غير مرّة يقول: حدّثني الفضل بن الربيع، عن أبيه: إنّه لمّا حبس المهدي موسى بن جعفر عليهما السلام، رأى المهدي في النوم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقول: يا محمد! ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1].

قال الربيع: فأرسل إليّ ليلاً؛ فراعني ذلك، فجئته؛ فإذا هو يقرأ هذه الآية، وكان أحسن الناس صوتاً، وقال: عَليّ بموسى بن جعفر عليهما السلام. فجئته به، وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا أبا الحسن، إنّي رأيت أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في النوم يقرأ عليّ كذا. فتؤمنني أن تخرج عليّ أو على أحد من ولدي؟

فقال عليه السلام: والله، لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني.

قال: صدقت. يا ربيع، أعطه ثلاث آلاف دينار، وردّه إلى أهله إلى المدينة... إلخ.[2]

ورواه اليافعي في مرآة الجنان، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمّة، والشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول، والقرماني في أخبار الدول.[3]

---

١. سورة محمد صلى الله عليه وآله، الآية: ٢٢.

٢. تاريخ بغداد: ج١٣ ص٣٠.

٣. مرآة الجنان: ج١ ص٣٩٤. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٢. الفصول المهمّة: ص٢١٤. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٣ب٦٥. مطالب السؤول: ص٨٣. أخبار الدول: ص١٢٣.

وقُصم ظهر هارون

روى أبو الحسن عليّ بن الحسين بن علي المسعودي في مروج الذهب، قال:

وذكر عبد الله بن مالك الخزاعي، وكان على دار الرشيد وشرطته، قال: أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قطّ، فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك منه، فلّما صرت إلى الدار؛ سبقني الخادم فعرّف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول عليه، فدخلت فوجدته قاعداً على فراشه، فسلّمت عليه، فسكت ساعة، فطار عقلي، وتضاعف الجزع عليّ، ثمّ قال: يا عبد الله، أتدري لِمَ طلبتك في هذا الوقت؟

قلت: لا والله، يا أميرالمؤمنين!

قال: إنّي رأيت الساعة في منامي كأنّ جنيّاً قد أتاني ومعه حربة، فقال: إن خلّيت عن موسى بن جعفر الساعة، وإلاّ نحرتك بهذه الحربة. فاذهب فخلّ عنه.

قال: فقلت: يا أمير ال... أطلق موسى بن جعفر!؟ ثلاثاً.

قال: نعم، امض الساعة حتّى تُطلق موسى بن جعفر، وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام، قبلنا؛ فلك عندي ما تُحبّ، وإن أحببت المضيّ إلى المدينة؛ فالإذن في ذلك لك.

قال: فمضيت إلى الحبس لأُخرجه، فلمّا رآني موسى عليه السلام، وثب إليّ قائماً، وظنّ أنّي قد أُمرت فيه بمكروه.

فقلت: لا تخف! فقد أمرني بإطلاقك، وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام؛ قبلنا، فلك كلّ ما تحبّ... وأعطيته ثلاثين ألف درهم، وقلت له عليه السلام: لقد رأيت من أمرك عجبا.

قال عليه السلام: فإنّي أخبرك، بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا موسى،

حُبست مظلوماً، فقل هذه الكلمات؛ فإنّك لا تبيت هذه الليلة في الحبس.

فقلت: بأبي وأمّي ما أقول؟

قال‰: قل: يا سامع كلّ صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً، ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى، وبإسمك الأعظم الأكبر، المخزون المكنون، الذي لم يطّلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة، لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصى عدداً، فرّج عنّي.

فكان ما ترى.

قال: وله‰ أخبار ونوادر كثيرة، وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة تسع وعشرين ومائة... وتوفّي لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، توفّي في الحبس... وقيل: إنّه توفّي‰ مسموماً... ودُفن في مقابر الشونيزيين[1]، وقبره هناك مشهور يُزار، وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضّة، وأنواع الآلات، والفرش ما لا يحدّ... إلخ.[2]

ورواه السيّد عبّاس المكّي في نزهة الجليس، والمولوي السهالوي في وسيلة النجاة، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، وابن طولون الدمشقي في الشذورات الذهبيّة، والصفوري الشافعي في نزهة المجالس، والشيخ سليمان

---

١. وهي وراء المحلّة المعروفة بـ«التوثة» بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي. سمعت بعض شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديماً تُعرف بـ : مقبرة الشونيزي الصغير. والمقبرة التي وراء التوثة تُعرف بـ : مقبرة الشونيزي الكبير. وكان أخَوان يُقال لكلّ واحد منهما: الشونيزي. فدُفن كلّ واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين؛ ونُسبت المقبرة إليه. أُنظر تاريخ بغداد للخطيب: ج١ ص١٢٢.

٢. مروج الذهب: ج٣ ص٣٤٦.

القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة.[١]

هارون العباسي يعترف بإمامته عليه السلام

روى الشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودّة، قال:

وروى المأمون عن أبيه الرشيد: إنّه قال لبنيه في حقّ موسى الكاظم عليه السلام: هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده. أنا إمام الجماعة في الظاهر، والغلبة والقهر، وإنّه والله، أحقّ بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله منّي، ومن الخلق جميعاً. والله، لو نازعني في هذا الأمر لآخذنّ بالذي فيه عيناه، فإنّ الملك عقيم.

وقال الرشيد للمأمون: يا بني، هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر عليهما السلام؛ إن أردت العلم الصحيح تجد عند هذا.

قال المأمون: من حينئذ انغرس في قلبي حبّه.[٢]

مع هارون في المسجد الحرام

روى العمراوي في الروض الفائق، قال: حُكي: إنّه لمّا دخل هارون حرم مكّة ابتدء بالطواف، ومنع الناس من الطواف، فسبقه أعرابي وجعل يطوف معه، فشقّ ذلك على الأمير، والتفت إلى حاجبه كالمنكر عليه!

فقال الحاجب: يا أعرابي! خلّ الطواف ليطوف أمير ال...!

فقال الأعرابي: إنّ الله ساوى بين الأنام في هذا المقام والبيت الحرام، وقال

---

١. نزهة الجليس: ج٢ ص٤٧. وسيلة النجاة: ص٣٦٦. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٢. الشذورات الذهبيّة: ص١٩. نزهة المجالس: ج١ ص٨٦. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٤ ب٦٥.

٢. ينابيع المودّة: ج٣ ص١٦٥ب٦٥.

تعالى: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

فلمّا سمع الرشيد ذلك من الأعرابي أمر حاجبه بالكفّ عنه، ثمّ جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه؛ فسبقه الأعرابي فاستلمه، ثمّ أتى إلى المقام ليُصلّي فيه؛ فسبقه فصلّى فيه.

فلمّا فرغ الرشيد من صلواته وطوافه، قال للحاجب: ائتني بالأعرابي. فأتى الحاجب الأعرابي، وقال له: أجب أمير ال...!

فقال: ما لي إليه حاجة، إن كانت له حاجة فهو أحقّ بالقيام إليها.

فانصرف الحاجب مغضباً، ثمّ قصّ على الأمير حديثه.

فقال: صدق، نحن أحقّ بالقيام والسعي إليه.

ثمّ نهض الأمير! والحاجب بين يديه ووقفا بإزاء الأعرابي، وسلّم عليه.

فردّ عليه السلام.

فقال له الرشيد: يا أخا العرب، أأجلس ها هنا بأمرك؟

فقال له الأعرابي: ليس البيت بيتي، ولا الحرم حرمي؛ البيت بيت الله، والحرم حرم الله، وكلّنا فيها سواء، إن شئت تجلس، وإن شئت تنصرف.

فعظم ذلك على الرشيد حيث سمع ما لم يخطر في أُذُنه، وما ظنّ أحداً يواجهه بمثل ذلك، فجلس إلى جانبه، وقال له: يا أعرابي، أُريد أن أسألك عن فرضك، فإن قُمت به؛ فأنت بغيره أقوم، وإن عجزت عنه؛ فأنت عن غيره أعجز!

فقال له الأعرابي: سؤالك هذا سؤال متعلّم أو سؤال متعنّت؟

فعجب الرشيد من سرعة جوابه! وقال: بل سؤال متعلّم.

---

١. سورة الحجّ، الآية: ٢٥.

فقال الأعرابي: قم واجلس مقام السائل من المسؤول.

فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدي الأعرابي.

فقال له الأعرابي: قد جلست، سل عمّا بدا لك.

فقال: أخبرني عمّا فرضه الله عليك.

فقال له: تسألني عن أيّ فرض؟ واحد، أم عن خمسة فروض، أم عن سبعة عشر فرضاً، أم عن أربعة وثلاثين فرضاً، أم عن أربعة وتسعين فرضاً، أم عن واحدة من أربعين، أم عن واحدة في طول العمر، أم عن خمسة من مائتين؟

قال: فضحك الرشيد مستهزأ! ثمّ قال: سألتك عن فرض، فأتيتني بحساب الدهر؟

قال: يا هارون! لولا أنّ في الدين حساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1].

قال: فظهر الغضب في وجه الأمير، وتغيّر من حال إلى حال حين قال له: يا هارون، ولم يقل له: يا أميرالمؤمنين، وبلغ من ذلك مبلغاً شديداً، غير أنّ الله عصمه من ذلك الغضب، ورجع إلى عقله لما علم أنّ الله هو الذي أنطقه بذلك.

ثمّ قال له الرشيد: وتربة آبائي وأجدادي! إن لم تفسّر لي ما قلت؛ أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة.

فقال له الحاجب: يا أمير ال... اعف عنه، وهبه لله تعالى؛ لأجل هذا المقام الشريف.

فضحك الأعرابي من قولهما حتّى استلقى على قفاه!

---

١. سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

فقال له الرشيد: ممّ تضحك!؟

قال: عجباً منكما؛ فإنّ أحدكما يستوهب أجلاً قد حضر، والآخر يستعجل أجلاً لم يحضر!

فلمّا سمع الرشيد ما سمع منه؛ هانت عليه الدنيا، ثمّ قال: سألتك بالله، إلاّ ما فسّرت لي ما قلت، فقد تشوّقت نفسي إلى شرحه.

فقال الأعرابي: أمّا سؤالك عمّا فرض الله علي. فقد فرض الله عليّ فروضاً كثيرة. فقولي لك عن فرض واحد؛ هو: دين الإسلام.

وأمّا قولي لك عن خمسة فروض؛ فهي: الصلوات الخمس.

وأمّا قولي لك عن سبعة عشر؛ فهي: سبع عشر ركعة في اليوم والليلة.

وأمّا قولي لك عن أربعة وثلاثين؛ فهي: السجدات.

وأمّا قولي لك عن أربع وتسعين؛ فهي: التكبيرات.

وأمّا قولي لك عن واحدة من أربعين؛ فهي: الزكاة دينار من أربعين ديناراً.

وأمّا قولي لك عن واحدة في طول العُمر؛ فهي: حجّة في طول العُمر على الإنسان.

وأمّا قولي لك عن خمسة ومائتين؛ فهي: زكاة الورق.

فامتلأ الرشيد فرحاً وسروراً من تفسير هذه المسائل، ومن حُسن كلام الأعرابي، وعظم فطنته، واستعظم في عينه.

ثمّ إنّ الأعرابي قال للرشيد: سألتني فأجبتك، فإذا سألتك أنا تُجيبني؟

فقال الرشيد: سل.

فقال له الأعرابي: ما يقول الأمير في رجل نظر إلى امرأة وقت الصباح، فكانت عليه حراماً، فلمّا كان الظهر؛ حلّت له، فلمّا كان العصر؛ حرمت عليه،

فإذا كان المغرب؛ حلّت له، فإذا كان العشاء؛ حرمت عليه، فإذا كان الفجر؛ حلّت له، فإذا كان الظهر؛ حرمت عليه، فلمّا كان العصر؛ حلّت له، فلمّا كان المغرب؛ حرمت عليه، فلمّا كان العشاء؛ حلّت له؟!

فقال الرشيد: فقد أوقعتني في بحر لا يخلصني منه غيرك.

فقال الأعرابي: أنت أمير! وليس أحد فوقك، ولا ينبغي أن تعجز عن شيء، فكيف تعجز عن مسألتي!؟

فقال الرشيد: لقد عظّم قدرك العلم، ورفع ذكرك، فأُريد أن تُفسّر إليّ ما ذكرت؛ إكراماً لي، ولهذا البيت الشريف.

فقال الأعرابي: حبّاً وكرامة، أمّا قولي لك: في الرجل نظر إلى امرأة وقت الصباح، فكانت عليه حراماً؛ فهذا رجل نظر إلى أمة غيره؛ فهي حرام، فلمّا كان الظهر اشتراها؛ فحلّت له، فلمّا كان العصر أعتقها؛ فحرمت عليه، فلمّا كان المغرب تزوّجها؛ فحلّت له، فلمّا كان العشاء طلّقها؛ فحرمت عليه، فلمّا كان الفجر راجعها؛ فحلّت له، فلمّا كان الظهر ارتدّ عن الإسلام؛ فحرمت عليه، فلمّا كان العصر استُتب، فرجع؛ فحلّت له، فلمّا كان المغرب ارتدّت هي؛ فحرمت عليه، فلمّا كان العشاء استُتبت، فرجعت؛ فحلّت له.

قال: فتعجّبَ الرشيد، وفرح به، واشتدّ عجبه! ثمّ أمر بعشرة آلاف درهم.

فلمّا حضرت، قال ـ الأعرابي ـ : لا حاجة لي بها. وردّها إلى أصحابها.

قال ـ هارون ـ : فهل تريد أن أجري لك جرية تكفيك مدّة حياتك؟

قال: الذي أجرى عليك يُجري عليّ.

قال: فإن كان عليك دين؛ قضيناه.

فلم يقبل منه شيئاً، ثمّ أنشأ يقول:

هب الدنيا تؤاتينا سنينا ... فتكدر تارة وتلذّ حينا
فما أرضى بشيء ليس يبقى ... وأتركه غدا للوارثينا
كأنّي بالتراب عليّ يُحثى ... وبالأُخوان حولي نائحينا
ويوم تزفر النيران فيه ... وتُقسم جهرة للسامعينا
وعزّة خالقي وجلال ربّي ... لأنتقمنّ منكم أجمعينا

فلمّا فرغ من إنشاده؛ تأوّه الرشيد، وسأل عنه، وعن أهله وبلاده، فأخبروه: إنّه موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام؛ وكان عليه السلام تزيّ بزيّ الأعراب، زاهداً في الدنيا، وتورّعا عنها.

فقام وقبّل بين عينيه، ثمّ قرأ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1].[2]

احتجاجه عليه السلام مع هارون

روى الشبراوي في الإتحاف، قال: دخل موسى الكاظم عليه السلام على الرشيد، فقال له ـ الرشيد ـ لم زعمتم أنّكم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله منّا!؟

فقال عليه السلام: لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حيَ فخطب إليك كريمتك، هل كنت تُجيبه؟

قال: سبحان الله، وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم.

فقال عليه السلام: لكنّه لا يخطب إليّ، ولا أُزوّجه، لأنّه صلى الله عليه وآله ولدنا، ولم يلدكم.

وسأله أيضاً: لم قلتم: إنّا ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وجوّزتم للناس أن ينسبوكم إليه، وأنتم بنو علي، وإنّما يُنسب الرجل لأبيه!؟

فقال عليه السلام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا

---

١. سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

٢. الروض الفائق في المواعظ والرقائق: ٦٥.

﴿وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾[١]. وليس لعيسى عليه السلام أب، وإنّما أُلحق بذريّة الأنبياء من قبل أمّه، ولذلك أُلحقنا بذريّة النبي صلى الله عليه وآله من قبل أُمّنا فاطمة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٢]. ولم يدع عليه السلام في مباهلة النصارى غير علي وفاطمة، والحسن والحسين؛ وهما الأبناء.[٣]

ورواه ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة. والمناوي في الكواكب الدرّيّة. والراغب الإصفهاني في محاضرات الأدباء. والقرماني في أخبار الدول، وزاد فيه:

ثمّ قال: وهل كان يجوز له صلى الله عليه وآله أن يدخل على حرمك وهنّ منكشفات؟ فقال: لا.

فقال عليه السلام: لكنّه كان له أن يدخل على حرمي، ويجوز له ذلك؛ فلذلك نحن أقرب إليه صلى الله عليه وآله منكم.[٤]

وقال الآلوسي في تفسيره: والذاهبون إلى دخول ابن البنت في الذرّيّة يستدلّون بهذه الآية، وبها احتجّ موسى الكاظم عليه السلام على ما رواه البعض عن الرشيد.[٥]

---

١. سورة الأنعام، الآية: ٨٤ـ٨٥.

٢. سورة آل عمران، الآية: ٦١.

٣. الإتحاف بحبّ الأشراف: ص٥٤.

٤. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٠. الكواكب الدرّيّة: ج١ ص١٧٢. محاضرات الأدباء: ج٤ ص٦٣٤. أخبار الدول: ص١٢٣.

٥. تفسير روح المعاني: ج٧ ص٢١٣، مورد تفسير سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

فصل في
بعض كلماته عليه السلام الواردة
في كتب العامّة

فكّ المعروف

قال عليه السلام: المعروف لا يفكّه إلاّ المكافأة أو الشكر.[1]

لا تتمنّ الموت

حين سمع عليه السلام رجلاً يتمنّى الموت، قال له: هل بينك وبين الله قرابة يُحابيك لها!؟

قال: لا.

فقال عليه السلام: فهل لك حسنات قدّمتها تزيد على السيئات!؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فأنت إذن تتمنّى هلاك الأبد.[2]

إذا تغيّر صاحبك

وقال: إذا تغيّر صاحبك عليك فاعلم أنّ ذلك من ذنب أحدثته؛ فتب إلى الله من كلّ ذنب؛ يستقيم لك ودّه.[3]

من آداب التخلّي

وأراد أبو حنيفة الدخول على الإمام الصادق عليه السلام فبينما هو جالس في دهليزه ينتظر الإذن إذ خرج عليه موسى بن جعفر عليهما السلام وهو صبيّ خماسي من الدار، فقال أبو حنيفة: فأردت أن أسبر عقله، فقلت: أين يضع الغريب الغائط من

---

١. نهاية الإرب للنويري: ج٣ ص٢٤٨.

٢. الإتحاف في حُبّ الأشراف للشبراوي: ص٥٤.

٣. فيض القدير للمناوي: ج٥ ص٤٣٧ رقم٧٨٧٩.

بلدكم يا غلام؟

قال: فالتفت إليّ مسرعاً. وقال: توقّ شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقوارع الطرق، وتوار خلف الجدار، وأشل ثيابك، وسمّ باسم الله، وضعه حيث شئت.

قال أبو حنيفة: فقلت: مَن أنت؟

فقال عليه السلام: أنا موسى بن جعفر.[1]

قلّة الشكر

وقال عليه السلام: قلّة الشكر؛ تُزهّد في اصطناع المعروف.[2]

اقبلوا العذر

وإنّه عليه السلام قال لولده: يا بنيّ، إنّي موصيكم بوصيّة من حفظها؛ انتفع بها:

إذا أتاكم آتٍ فأسمع أحدكم في الأُذن اليمنى مكروهاً، ثمّ تحوّل إلى الأُذن اليسرى فاعتذر، وقال: لم أقل شيئاً. فاقبلوا عذره.[3]

مطالبته عليه السلام بفدك

روي: إنّ موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهما السلام ورد على المهدي محمد بن المنصور الدوانيقي، فرآه يردّ المظالم، فقال عليه السلام: يا أمير ال... ما بال مظلمتنا لا

---

١. فتح المُغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي: ج٢ ص١٥، متى يصحّ تحمّل الحديث. وإتحاف السادة المتّقين للزبيدي: ج٨ ص٤٦٧.

٢. نهاية الإرب للنويري: ج٣ ص٢٤٨.

٣. الفصول المهمّة للمالكي: ص٢٢.

تُرد!؟

فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن!؟

قال عليه السلام: فدك.

قال المهدي: حدّها لي.

فقال عليه السلام: حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل.

فقال له ـ المهدي ـ : كلّ هذا!؟

قال عليه السلام: نعم.

فقال: هذا كثير! وأنظر فيه.[1]

إذا صحبت رجلاً

وقال عليه السلام: إذا صحبت رجلاً وكان موافقاً لك، ثمّ غاب عنك، فاضطرب قلبك عليه، فارجع إلى نفسك، فانظر؛ فإن كنت اعوججت؛ فتب، وإن كنت مستقيماً، فاعلم أنّه ترك الطريق، وقف عند ذاك، ولا تقطع منه حتّى يتبيّن لك إن شاء الله تعالى.[2]

موعظته عليه السلام لهارون

وكتب إليه هارون: عظني، وأوجز. فكتب عليه السلام إليه: ما من شيء تراه عينك إلاّ وفيه موعظة.[3]

---

١. عمدة الأخبار في مدينة المختار للعبّاسي: ص٣٣٧.

٢. الحدائق الورديّة للنقشبندي: ص٤٠.

٣. حضيرة القدس وذخيرة الإنس للهندي: ص١٩٧.

بين البلاء والرخاء

وكتب عليه السلام إلى هارون، وكان في حبسه: لم ينقض عنّي يوم من البلاء إلاّ انقضى عنك يوم من الرخاء، ثمّ نمضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون.[١]

مندوحة

لا ريب أنّ واحدة من الغايات التي استوجبت بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام قد تركّزت على ضرورة تعليم الناس ما يوصلهم إلى الهدف الأرقى، والمثل الأسمى المميّز لهم عن غيرهم من باقي المخلوقات؛ وإلا فالمخلوقات جميعها أُمم أمثالنا بحسب ما أكّده محكم التنزيل في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[٢]. غير أنّ عدم وقوع التكليف[٣] عليها إنّما كان بمقتضى مُغايرتها العاقل ـ الإنسان، والجنّ، والملائكة ـ .

لذا تحتّم على من يبغي التنزّه عن الجهالة، وحيرة الضلالة، موافقة ما أجمع عليه سمعه، وبصره، وفؤاده في كلّ أمر يروم إقتفائه؛[٤] لئلا يُشاكل الأنعام بظاهر

---

١. صفة الصفوة لابن الجوزي: ج٢ ص١٨٧. الحدائق الورديّة للنقشبندي: ص٤٠. تاريخ الإسلام للذهبي: ج١ص١٤١٥، ترجمة موسى الكاظم عليه السلام.

٢. سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

٣. لايغيب عن الذهن إنّما كان ذلك لخروجها تخصّصاً عن ذوات العقول، وإلا فالحال من عدم وقوع التكليف يجري نفسه مع غير الراشدين من الصبيان مع كونهم من جنس المعقولات الممكنة. والفرق بين عدم وقوع التكليفين؛ فللأوّل: لازم بمقتضى امتناع آلة العقل فيه، وللثاني: آني يستمر لحين بلوغ الرشد فيه. وهذا مبحث دقيق، وعميق؛ استُقصي بحثه في مظانّه.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾. سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

ضلالها، أويكون أضلّ سبيلاً،[١] فيكون من النادمين يوم لا ينفع نفس ندم. وليشعر بالوقت نفسه بمدى أهمّية دور الحيادية، وعدم الإنحياز في المعرفة، والحكمة على تنزيه الإنسان، والرُقي به نحو السمو والرفعة، فضلاً عن وقايته من كلّ ما يمكن أن يدخل عليه من مضار التيّارات المنحرفة، والعقائد الفاسدة.

فلا ريب أنّ الدور المُميّز لنور العلم قد أكسب الإنسان طريقاً يمشي به في الناس، وجاهاً قد مُيّز به عن الناس؛ كما أشار المولى تعالى في محكم التنزيل بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

هذا بحدّ ذاته جدير بالوقوف من خلاله على معرفة مدى اللطف الإلهي لبني البشر؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

بيان معنى تعليم الحكمة

لا محيص للإنسان في حياته المحدودة ـ في هذه النشأة ـ من سنّة يستنّ بها فيما يُحبّ ويكره، ويجري عليها في حركاته وسكناته.

وتتبع هذه السنّة في نوعها ما عند الإنسان من الرأي في حقيقة الكون وحقيقة نفسه، وما بينهما من الربط، ويدلّ على ذلك ما نشاهده من اختلاف السنن والمناهج في الأقوام والأُمم باختلاف آرائهم وعقائدهم في حقيقة نشأة الوجود، والإنسان الذي هو جزء منها.

---

١. كما صوّره المولى ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

٢. سورة الجمعة، الآية: ٢.

٣. سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

فمن لا يرى لما وراء المادّة وجوداً، ويحصر الوجود في المادّي، ويُنهيه إلى الاتّفاق والصدفة، ويرى الإنسان مركّباً مادّيّاً محدود الحياة بين الولادة والموت، لا يرى لنفسه من السعادة إلاّ السعادة المادّيّة، ولا مقصد ولا غاية له في أعماله ومساعيه إلاّ المزايا المادّيّة من المال، والجاه، والمنصب، والمقام، ونحو ذلك، ولا بغية له ولا مطلوب إلاّ التمتّع والتلذّذ بأمتعة الدنيا وملذّاتها المادّيّة، وتنتهي كلّ هذه ـ حسب ما يزعم ـ لدى الموت الذي هو عنده انحلال وبطلان للتركيب المادّي.

وأمّا من يرى كينونة العالم عن سبب فوقه منزّه عن المادّيّة، وأنّ بعد دار الدنيا دار الآخرة؛ فيخالف في سنّته وطريقته ذلك الإنسان المادّي المحض، فيتوخّى في أعماله ومساعيه سعادة الدارين ـ الدنيا، والآخرة ـ ويختلف صور أعمال، ومساعي، وغايات، وآراء هذا الإنسان مع صور أعمال، ومساعي، وغايات، وآراء ذاك الإنسان المادّي.

والذي يعتقد بدار الآخرة يُراعي في أعماله ومساعيه جانب ما يراه لنفسه من الحياة الخالدة المؤبّدة، ويُذعن من الآراء بما يناسب ذلك، كاعتقاده بأنّه يجب على الإنسان أن يُمهّد لعالم البقاء، وأن يكون دائماً متوجّهاً إلى ربّه، وأن لا يُفرط في الإشتغال بعرض الحياة الدنيا الفانية.

والدهري الخاضع للمادّة والمحسوسات يُراعي في أعماله ومساعيه حياته الدنيويّة المادّيّة الفانية فحسب، كلّ ذلك مسلّم عند الكلّ، ولا يرتاب فيه أحد.

فالذي يعتقد بدار وراء هذه الدار الفانية، ويُذعن بأنّ تلك الدار باقية لا تفنى، والناس مجزيون فيها بأعمالهم الدنيويّة، إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشراً، فإمّا الخلود في النار، أو الخلود في الجنان.

والذي يعتقد بـ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

يَرَهُ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١]. فهو يسعى، ويعمل لسعادة الدارين، يعمل لدنياه؛ ليعيش فيها برفاه وسعة، عيشاً رغداً هنيئاً، ويكون لدى أقرانه، وبنظر أهل زمانه شخصيّة ذات شرافة، وعزّة، واحترام، ومكرمة، ويعمل لآخرته أعمالاً صالحة، يكون لله فيها رضى؛ فيجزيه بها في الآخرة أجراً وثواباً.

وأمّا الدهري؛ فهو رهين المادّة بحسب طبعه، وفاعلاً بها، ومنفعلاً عنها، فيرى بحسب ما يُخيّل إليه: إنّ الأصالة لحياته الدنيويّة المنقطعة، وأنّها هي الغاية الأخيرة، والغرض الأقصى من وجوده، فالحياة الدنيا لديه هي كلّ شيء، وكلّ ما تهواه نفسه كائناً ما كان هو خير وحسن، وكلّ ما لا تهواه نفسه كائناً ما كان فهو شرّ وضرّ.

والإسلام يدعو إلى الإعتقاد والعمل بما يُطابق مقتضى الفطرة الإنسانيّة التي فُطر الإنسان عليها؛ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ولا مريّة أنّ الفطرة لا تهتدي إلاّ إلى ما فيه كمالها الواقعي، وسعادتها الحقيقية، فما تهتدي إليه من الإعتقادات الأصليّة في المبدأ والمعاد، وما يتفرّع عليها من الآراء والعقائد الفرعيّة؛ علوم، وآراء حقّة لا تتعدّى سعادة الإنسان، وكذا ما ترغب فيه من الأعمال.

ولذلك سمّى الله سبحانه وتعالى هذا الدين المبني على الفطرة بـ«دين الحقّ» في مواضع من كلامه الحكيم؛ كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٣].

---

١. سورة الزلزلة، الآية: ٦ـ٨.

٢. سورة الروم، الآية: ٣٠.

٣. سورة الفتح، الآية: ٢٨.

وقوله سبحانه: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾[١].

والحقّ؛ هو: الرأي، والإعتقاد الذي يُطابقه الواقع، ويلازمه الرشد من غير غيّ. وهذا هو الحكمة ـ الرأي الذي أُحكم في صدقه فلا يتخلّله كذب، ويكون في نفعه فلا يتعقّبه ضرر ـ وقد أشار سبحانه وتعالى إلى اشتمال الدعوة على الحكمة بقوله: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢].

ووصف كلامه المنزل بها، فقال: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[٣].

وبعث الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله معلّماً للحكمة كما أشار تعالى بذلك في مواضع من كلامه كقوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٤].

والقرآن الحكيم يقول: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

ويقول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[٦].

ويقول: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[٧]. وغير ذلك من آيات الحكمة، والتعاليم القرآنية التي أُمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدعو بها الناس، قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٨]. وهي علوم وآراء جمّة صوّرت الحياة الدنيا خلافها في نفوس الناس؛ فنبّه تعالى لها في كتابه، وأمر

---

١. سورة الأحقاف، الآية: ٣٠.

٢. سورة النساء، الآية: ١١٣.

٣. سورة يس، الآية: ٢.

٤. سورة الجمعة، الآية: ٢.

٥. سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

٦. سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

٧. سورة يوسف، الآية: ٦٧.

٨. سورة النحل، الآية: ١٢٥.

بتعليمها رسوله ﷺ، وندب المؤمنين أن يتواصوا بها كما قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢].

وعلى هذا؛ فالشرع الحكيم، والعقل السليم، والعرف الفهيم، كلّهم يحكمون على أنّ خلفاء النبي ﷺ يجب أن يُماثلوه ﷺ في تلاوتهم لآيات الله، ويعملون جهدهم على أن يُزكّوا الأُمّة، ويُرشدوهم نحو طريق الحقّ، ويُقرّبوهم إلى طاعة الله، ويُبعّدوهم عن معصيته؛ فضلاً عن النصّ من قبل الشارع المقدّس على استخلافهم لرسول الله ﷺ.

فهذا ابن خلدون المعروف بعناده للحقّ، يقول: فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الأمور، والقبائل، والعصبيّات، وتختلف باختلاف المصالح، ولكلّ واحد منها حكم يخصّه؛ **لطفاً من الله بعباده**. وأمّا أن يكون القصد بالعهد ـ أي، عهد المأمون للإمام الرضا عليه السلام ـ حفظ التراث على الأبناء، فليس من المقاصد الدينيّة؛ إذ هو أمر من الله يخصّ به من يشاء من عباده، ينبغي أن تحسن فيه النيّة ما أمكن، خوفاً من العبث بالمناصب الدينيّة. والملك لله يؤتيه من يشاء.[٣]

ولا ريب؛ فهذا هو معنى خلافة النبوّة والرسالة، شرعاً، وعقلاً، وعُرفاً، وما

---

١. سورة العصر، الآية: ٣.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٣. تاريخ ابن خلدون: ج١ ص٢٦٢، الفصل الثلاثون: في ولاية العهد.

أقول: وهذا الأمر بشقّيه إنّما يؤكّد مدار الحكمة للأمثل، والأصلحّ في ولاية أمر الأُمّة؛ وإلا حاشا أن يكون من لطف الله تعالى توليته العصاة على رقاب الناس.

نعم، في مجريات الإيغال في المعصيّة، واستحقاق العقوبة، ممكن وقوعه، ولكن ليس من قبيل اللطف، وإنّما هو عن مشيئته سبحانه التي اقتضاها غضبه.

دونه لا يستحقّ منّا تضييع الوقت في الكلام عنه؛ لوضوح بطلانه، وتهافت عنوانه.

إذاً؛ فما ذكرناه في هذا الفصل لا يُدركه إلا من كان له نصيب من الشعور بالمسؤلية تجاه بني جنسه من البشر، ولا يراهن على حتميّة مماثلة[١] المُستخلَف لمن يخلِفه في أداء مهامّ التشريعات السماويّة، فيُشاكله في جميع صفاته الكماليّة، مُظهراً لخصاله، وأخلاقه، ومكرماته الإنسانية.

بعض ما قالوه في شهادته عليه السلام

كلام أبو الفرج الإصفهاني

روى أبو الفرج الإصفهاني، قال: وحجّ الرشيد في تلك السنة، فبدأ بقبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يارسول الله، إنّي أعتذر إليك من شئ أُريد أن أفعله؛ أُريد أن أحبس موسى بنَ جعفر؛ فإنّه يُريد التشتّت بين أُمّتك، وسفك دمائها!!

ثمّ أمر به، فأُخذ من المسجد، فأُدخل إليه، فقيّده، وأخرج من داره بغلان عليهما قبّتان مُغطّاتان، هو ـ أي، الإمام عليه السلام ـ في إحديهما، ووجّه مع كلّ واحد منهما خيلاً، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة، والأُخرى على طريق الكوفة؛ ليعمي على الناس أمره. وكان موسى في الّتي مضت إلى البصرة، فأمر الرسول

---

١. دليل معتقدنا بوجوب المماثلة؛ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ منكم من يُقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: لا، ولكنّه خاصف النعل. وكان أعطى علياً نعله يخصفها.

ثمّ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح. أُنظر مجمع الزوائد للهيثمي: ج٥ ص٣٣٨ رقم٨٩٥٠. كما تقدّم بحثه مفصّلاً في الجزء الأوّل، فراجع.

أن يُسلّمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ـ وكان على البصرة حينئذ ـ فمضى به، فحبسه عنده سنة، ثمّ كتب إلى الرشيد:

أن خُذه منّي وسلّمه إلى من شئت، وإلا خلّيت سبيله؛ فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجّة، فما أقدر على ذلك، حتّى إنّي لا تسمّع عليه إذا دعا، لعلّه يدعو علي، أو عليك، فما أسمعه يدعو إلا لنفسه، يسأل الله الرحمة، والمغفرة.

فوجّه من تسلّمه منه، وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد، فبقي عنده مدّة طويلة، وأراده الرشيد على شئ من أمره؛ فأبى! فكتب إليه ليُسلّمه إلى الفضل بن يحيى، فتسلّمه منه، وأراد ذلك منه؛ فلم يفعله! وبلغه أنّه عنده في رفاهيّة، وسعة، ودعة، وهو ـ أي، هارون ـ حينئذ بالرقّة[1]، فأنفذ مسروراً الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى فيعرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغه؛ أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامتثاله، وأوصل كتاباً منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد.

فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى، لا يدري أحد ما يريد، ثمّ دخل على موسى؛ فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد، والسندي بن شاهك، فأوصل الكتابين إليهما. فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضاً إلى الفضل بن يحيى، فركب معه، وخرج مشدوهاً دهشاً حتّى دخل على العباس، فدعا العباس بالسياط، وعقابين، فوجّه بذلك إليه السندي، فأمر بالفضل، فجُرّد، ثمّ ضربه مائة سوط، وخرج متغيّر اللون بخلاف ما دخل، فذهبت قوته، فجعل يُسلّم على الناس يميناً وشمالاً. وكتب مسرور بالخبر إلى

---

١. الرقّة: وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها، وبين حرّان ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة؛ لأنّها من جانب الفرات الشرقي. معجم البلدان للحموي: ج٣ ص٥٨.

الرشيد، فأمر بتسليم موسى إلى السندي بن شاهك، وجلس الرشيد مجلساً حافلاً، وقال:

أيّها الناس، إنّ الفضل بن يحيى قد عصاني، وخالف طاعتي، ورأيت أن ألعنه؛ فالعنوه. فلعنه الناس من كلّ ناحية حتّى ارتجّ البيت، والدار بلعنه. وبلغ يحيى بن خالد الخبر؛ فركب إلى الرشيد، فدخل من غير الباب الذي يدخل منه الناس حتّى جاءه من خلفه وهو لا يشعر، ثمّ قال له: إلتفت إلي يا أميرالمؤمنين! فأصغي إليه فزعاً!! فقال له: إنّ الفضل حدث، وأنا أكفيك ما تُريد! فانطلق وجهه، وسُرّ، فقال له يحيى: يا أميرالمؤمنين، قد غضضت من الفضل بلعنك إياه، فشرّفه بإزالة ذلك!

فأقبل على الناس، فقال: إنّ الفضل قد عصاني في شئ فلعنته، وقد تاب، وأناب إلى طاعتي؛ فتولّوه!

فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت؛ وقد تولّيناه.

ثمّ خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتّى وافى بغداد، فماج الناس، وارجفوا بكلّ شئ، وظهر إنّه ورد لتعديل السواد، والنظر في أعمال العمّال! وتشاغل ببعض ذلك، ثمّ دخل ودعا بالسندي، وأمره فيه ـ أي، بقتل الإمام عليه السلام ـ بأمره؛ فلفّه على بساط، وقعد الفرّاشون النصارى على وجهه.

وأمر السندي عند وفاته أن يُحضر مولى له ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب؛ ليُغسّله. ففعل ذلك.

قال ـ أي، السندي ـ : وسألته أن يأذن لي في أن أُكفّنه. فأبى، وقال عليه السلام:

إنّا أهل بيت؛ مهور نسائنا، وحجّ صرورتنا[1]، وأكفان موتانا من طاهر أموالنا،

---

١. الصرورة: يقال للذي يحجّ لأوّل مرّة.

وعندي كفني.

فلمّا مات أدخل عليه الفقهاء، ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي، وغيره، فنظروا إليه لا أثر به، وشهدوا على ذلك، وأُخرج، فوضع على الجسر ببغداد، فنودي: هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا إليه. فجعل الناس يتفرّسون في وجهه وهو ميّت... قالوا: وحُمل، فدُفن عليه السلام في مقابر قريش.[١]

كلام الكنجي الشافعي

قال الكنجي الشافعي: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي، حدّثنا محمد بن أحمد الواعظ، حدّثنا الحسين بن القاسم، حدّثني أحمد بن وهب، أخبرني عبد الرحمن بن صالح الأزدي، قال:

حجّ هارون الرشيد، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن عمّ ـ مفتخراً بذلك على غيره ـ .

فتقدّم موسى بن جعفر عليهما السلام، وقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه.

فتغيّر وجه الرشيد، وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقّاً!! وتبيّن الغيظ في وجهه، فقبض على موسى عليه السلام، وذهب به معه إلى بغداد، وحبسه زماناً طويلاً، ثمّ أمر السندي بن شاهك حتّى سمّه، فوعك موسى عليه السلام ومات بعد ثلاثة أيام.[٢]

ورواه محمد خان البدخشي في مفتاح النجا. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.[٣]

---

١. مقاتل الطالبيين: ص٣٣٤.

٢. كفاية الطالب: ص٣١٠.

٣. مفتاح النجا: ص١٧٥، تاريخ بغداد: ج١٢ ص٢٧.

كلام ابن الصبّاغ المالكي

قال ابن الصبّاغ المالكي: روى أحمد بن عبد الله بن عمّار، عن محمد بن علي النوفلي، قال: أخذ الرشيد موسى بن جعفر عليهما السلام، وأوصى القوم الذين كانوا معه أن يُسلّموه إلى عيسى بن جعفر بن منصور ـ وكان على البصرة يومئذ والياً ـ فسلّموه إليه.

فتسلّمه منهم، وحبسه عنده سنة، فبعد السنة كتب إليه في سفك دمه عليه السلام، وإراحته منه.

فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصّه، وثقاته اللائذين به، والناصحين له، فاستشارهم بعدما أراهم ما كتب إليه الرشيد.

فقالوا: نشير عليك بالإستعفاء من ذلك، وأن لا تقع فيه.

فكتب عيسى إلى الرشيد يقول: يا أمير ال... كتبت إليّ في هذا الرجل، وقد اختبرته طول مقامه في حبسي بمن حبسته معه عيناً عليه لننظر حيلته وأمره، وطويّته بمن له المعرفة والدراية، ويجري من الإنسان مجرى الدم، فلم يكن بمن له سوء قطّ، ولم يذكر أمير ال... إلا بخير، ولم يكن عنده تطلّع إلى ولاية، ولا خروج، ولا شيء من أمر الدنيا، ولا قطّ دعا على أمير ال... ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلاّ بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين، مع ملازمته للصيام والعبادة. فإن رأى أمير ال... أن يُعفني من أمره، ويُنفذ مَن يتسلّمه منّي، أو لأسرحت سبيله، فإنّي منه في غاية الحرج.

وروي: إنّ شخصاً من بعض العيون التي كانت عليه في السجن رفع إلى عيسى بن جعفر: إنّه سمعه عليه السلام يقول في دعائه:

اللهمّ، إنّك تعلم أنّي كنت أسألك أن تُفرغني لعبادتك. اللهمّ، وقد فعلت؛ فلك الحمد.

فلمّا بلغ الرشيد كتاب عيسى بن جعفر؛ كتب إلى السندي بن شاهك: أن يتسلّم موسى بن جعفر الكاظمعليه السلام من عيسى، وأمره فيه بأمره. فكان الذي تولّى به قتله السندي أن يجعل له سمّاً في طعام، وقدّمه إليه، وقيل: في رطب، فأكل منه موسى بن جعفرعليهما السلام، ثمّ إنّهعليه السلام أقام موعوكاً ثلاثة أيام، ومات.

ولمّا مات موسى بن جعفرعليهما السلام أدخل السندي بن شاهك الفقهاء، ووجوه الناس من أهل بغداد، وفيهم أبو الهيثم بن عدي، وغيره ينظرون أنّه ليس به أثر من جراح، أو مغل، أو خنق، وأنّه مات حتف أنفه.[1]

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار.[2]

كلام ابن كُثير

قال ابن كُثير: وموسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الهاشمي، ويُقال له: الكاظم. ولد سنة ثمان، أو تسع وعشرين ومائة، وكان كثير العبادة، والمروءة؛ إذا بلغه عن أحد أنّه يؤذيه، أرسل إليه بالذهب والتُحف. ولد له من الذكور والأُناث أربعون نسمة. وأهدى له مرّة عبد عصيدة، فاشتراه، واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار، وأعتقه، ووهب المزرعة له.

وقد استدعاه المهدي إلى بغداد؛ فحبسه، فلمّا كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب، وهو يقول له: يا محمد! ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.[3] فاستيقظ مذعوراً، وأمر به، فأُخرج من

---

١. الفصول المهمّة: ص٢٢٠.

٢. نور الأبصار: ص٢٠٤.

٣. سورة محمدصلى الله عليه وآله، الآية: ٢٢.

السجن ليلاً، فأجلسه معه، وعانقة، وأقبل عليه، وأخذ عليه العهد أن لا يخرج عليه، ولا على أحد من أولاده. فقال: والله، ما هذا من شأني، ولا حدثت فيه نفسي.

فقال: صدقت. وأمر له بثلاثة آلاف دينار، وأمر به فرُدّ إلى المدينة، فما أصبح الصباح إلا وهو على الطريق.

فلم يزل بالمدينة حتّى كانت خلافة الرشيد، فحجّ، فلمّا دخل ليُسلّم على قبرالنبي صلى الله عليه وآله، ومعه موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، فقال الرشيد: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عمّ.

فقال موسى عليه السلام: السلام عليك يا أبت.

فقال الرشيد: هذا هو الفخر يا ابا الحسن. ثمّ لم يزل ذلك في نفسه حتّى استدعاه في سنة تسع وستّين، وسجنه، فأطال سجنه، فكتب إليه موسى عليه السلام رسالة يقول فيها:

أمّا بعد يا...! إنّه لم ينقض عنّي يوم من البلاء، إلا انقضى عنك يوم من الرخاء؛ حتّى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون.

توفّي لخمس بقين من رجب من هذه السنة ببغداد، وقبره هناك مشهور، وفيها توفّي.[1]

كلام البدخشي

قال الحافظ الميرزا محمد البدخشي: وسبب حبسه عليه السلام أنّه لمّا حجّ الرشيد ودخل المدينة توجّه إلى زيارة النبي صلى الله عليه وآله ومعه الناس، فتقدّم إلى قبر رسول

---

١. البداية والنهاية: ج٦ ص١٨٣، ترجمة موسى بن جعفر عليهما السلام.

الله ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عمّ ـ مفتخراً بذلك على غيـره ـ

فتقدّم موسى بن جعفر عليهما السلام، وقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه.

فتغيّر وجه الرشيد، وتبيّن الغيظ فيه، فقبض على موسى عليه السلام، وذهب بـه معـه إلى بغداد وحبسه زماناً طويلاً، ثمّ أمر السندي بن شاهك حتّـى سـمّه، فوعـك[1] موسى عليه السلام، ومات بعد ثلاثة أيام.

ورواه ابن الصبّان في إسعاف الراغبين، وزاد: فلم يخرج من حبسه إلاّ مقيداً، ميّتاً، مسموماً.[2]

كلام ابن حجر

قال ابن حجر: ولمّا اجتمعا ـ أي، الإمام الكاظم عليه السلام، وهـارون ـ أمـام الوجـه الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، قال الرشيد: السلام عليك يـا ابـن عمّ. مُسمعا من حوله.

فقال الكاظم عليه السلام: السلام عليك يا أبت.

فلم يحتملها ـ هارون ـ وكانت سبباً لإمساكه له عليه السلام، وحمله معه إلى بغـداد، وحبسه، فلم يخرج من حبسه إلاّ ميّتاً، مُقيّداً.[3]

---

١. الوعك: الحمّى، وعك: أي، عارضه الحمّى.

٢. إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ص٢٤٨.

٣. الصواعق المحرقة: ج٢ ص٥٩٣.

كلام عبد الغفّار الأفغاني

قال محمد عبد الغفّار الأفغاني: ثمّ نقله من المدينة أسيراً إلى البصرة، وأرسل كتاباً إلى واليها عيسى بن جعفر بن المنصور ليقتله في سجنه، وخاف هذا الوالي واعتذر. فأرسل الرشيد كتاباً آخر إلى السندي بن شاهك بتسلّمه، والقيام بقتله عليه السلام؛ فسمّه هذا... إلخ.

وقال الأفغاني أيضا: كان عمر الإمام ـ موسى بن جعفر عليهما السلام ـ ٥٥سنة، ومدّة إمامته ٣٥سنة، وقد دُفن بمقابر قريش في بغداد، المسمّاة اليوم بـ : «الكاظميّة».

وقد حذا حذو بني أُميّة بنو العباس الهاشميّون أيضاً في قتل أهل البيت عليهم السلام لأجل الدنيا الفانية.[1]

كلام ابن خلّكان

قال ابن خلّكان: وقال الخطيب ـ البغدادي ـ : كانت ولادته عليه السلام سنة ثمان وعشرين بالمدينة، وتوفّي عليه السلام لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة، وقيل: إنّه توفّي مسموماً.. إلخ.[2]

كلام الشهرستاني

قال الشهرستاني: ثمّ إنّ موسى لمّا خرج وأظهر الإمامة؛ حمله هارون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر، ثمّ أشخصه إلى بغداد فحبسه عند السندي بن شاهك. وقيل: إنّ يحيى بن خالد بن برمك سمّه في رطب، فقتله

---

١. أئمة الهدى: ص١٢٢.

٢. وفيات الأعيان: ج٥ ص٣١٠.

وهو في الحبس، ثمّ أُخرج ودُفن في مقابر قريش ببغداد.[١]

كلام ابن خلدون

قال ابن خلدون: واختصّ الإثنا عشريّة بإسم «الإماميّة» لهذا العهد، ومذهبهم أنّ الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظمعليهما السلام.

وخرج دعاته بعد موت أبيهعليه السلام؛ فحمله هارون من المدينة وحبسه عند عيسى بن جعفر، ثمّ أشخصه إلى بغداد وحبسه عند ابن شاهك.

ويقال: إنّ يحيى بن خالد سمّه في رطب، فقتله. وتوفّي سنة ثلاث وثمانين ومائة.[٢]

---

١. الملل والنحل: ج١ ص١٦١، الفصل السادس.

٢. تاريخ ابن خلدون: ج٤ ص٣٧.

فصل في
بعض ما ورد عن
الإمام الكاظم عليه السلام
في كتب الشيعة

البحث في بيان شيء من أحوال السابع من خلفاء رسول الله ﷺ الإثني عشر، الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، يُحتّم علينا ضرورة سبر ما أمكن إخفاءه ـ بمُحتدّ نفوس الجهالة، وشخوص الضلالة ـ من تاريخ أهل البيت عليهم السلام.

فكان له عليه السلام هيبة الأنبياء، وبهاء الرسل عليهم السلام، فما من بصر وقع على رسم شخصه عليه السلام إلاّ أهاب بصاحبه، آخذاً بمجامع فؤاده، بما كان من أبي نؤاس لأن يصوّر ما أيقنه القلب من هيبة وقاره عليه السلام حينما التقاه عليه السلام في الطريق، فانبرى قائلاً:

إذا أبصرتك العين من غير ريبة	وعارض فيك الشكّ أثبتك القلب
ولو أنّ ركبا أمّموك لقادهم	نسيمك حتّى يستدلّ بك الركب
جعلتك حسبي في أموري كلّها	وما خاب من أضحى وأنت له حسب[1]

لقد كانت هذه الأبيات تمثّل لأبي نؤاس دفعة من دفعات الروح التي أجالت به إلى ذلك في وقت كان مادح أهل البيت عليهم السلام فيه لا ينال سوى العقوبة بسخط السلطان، غير أنّ واقعية الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ومثاليته التي لاندّ لها في عصره وزمانه، أيقظة ضمائر رموز كثير من الأُمّة، وشخصياتها وإن كان على مستوى المديح العاطر، أوالإشارة العابرة.

كما وبهرت أنوار الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام القدسيّة شاعر المعرّة أبا العلاء، فأجاد في قصيدته التي رثى بها الشريف أحمد، حفيد الإمام عليه السلام، ووالد الشريفين: المرتضى، والرضي، بقوله:

---

١. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٣٢، باب إمامة موسى الكاظم عليه السلام.

ويخـال موسـى جـدّكم لجلالـه في النفس صاحب سورة الأعراف[1]

ولم يكن أبو العلاء يظّن بأحد خيراً أو يمدح إنساناً إلاّ أن يختبره ويطّلع على واقع أمره، وقد انتهت إليه أنباء الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليهما السلام، وعرف أنّه نسخة لا ثاني لها في دورها؛ فلذا ذهب مع المادحين، والواصفين.

كان عليه السلام فريد عصره

صار الإمام موسى الكاظم عليه السلام مضرب المثل في عبادته، واجتهاده في طاعة الله عزّ وجلّ، لذلك لُقّب بـ : «العبد الصالح». وبهذا اللقب قد عُرف عليه السلام عند رواة الحديث، فكان الراوي عنه يقول: حدثّني العبد الصالح.

كما كان من أشهر ألقابه عليه السلام «الكاظم» لما كان من كظمه الغيظ عمّا فعل به عليه السلام الظالمون من إيذاء، وتنكيل، وإرهاق حتّى قضى نحبه شهيداً، مسموماً في سجن هارون العبّاسي، ولم يُبد لأحد آلامه وأشجانه، بل قابل ذلك كلّه بالشكر لله، والثناء عليه سبحانه وتعالى، فضلاً عن ترادف كظمه عليه السلام لصبره على الآلام والخطوب التي لاقاها من حكّام الجور، وفراعنة زمانه طغاة العباسيين الذين جرّعوه نغب التُهم، وقابلوه بجميع ألوان الإساءة والنقم؛ فلُقّب بـ : «الصابر».

نعم، وكانت له عليه السلام ألقاب أُخرى تدلّ على مظاهر شخصيته، ومناحي عظمته، منها:

السيّد

وكان عليه السلام يُلقّب بـ : «السيّد» لأنّه قرم سادات المسلمين. وقد مدحه بهذا اللقب الشاعر الشهير أبو الفتح بقوله:

---

١. ديوان سقط الزند للمعري: ص٣٦.

أنـا للـسيّد الـشريف غـلام حيثمـا كنـت فليبلـغ سـلامي
وإذا كنــت للـشريف غلامــاً فأنـا الحـرّ والزمـان غلامـي[١]

الوفي

وكان عليه السلام يُلقّب بالوفي، لأنّه عليه السلام كان أوفى الناس في عصره بعهوده، ومواثيقه، ومواعيده. فقد كان عليه السلام وفيّا باراً بإخوانه وشيعته، بل حتّى بأعدائـه، والحاقـدين عليه.

الأمين

قد تجسّدت الأمانة بكلّ ما تحمله من معنى فـي شخـصيّة الإمـام العظيمـة، حتّى لُقّب بـ : «الأمين» لما كان منه عليه السلام في مُماثلته جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله من أمانـة على شؤون الدين وأحكامه، فحاز على هذا اللقب بأهلية، وجدارة.

باب الحوائج

كما واشتهر بين العامّ والخاصّ من المـسلمين بلقـب «بـاب الحـوائج» فمـا قصده عليه السلام مكـروب أو صـاحب حاجـة إلاّ وفـرّج الله عز وجل عنـه كربـه، وقُـضيت حوائجه، وما استجار بضريحه أحد إلاّ ورجع إلى أهله فرحـاً مـسروراً، مثلـوج القلب، مستريح الفكر ممّا ألمّ به من طوارق الزمان، وفجـائع الأيـام. وقـد آمـن بذلك جمهور شيعته، بل عموم المسلمين على اختلاف طبقاتهم، ونزعاتهم.

فهذا شيخ الحنابلة، وعميدهم الروحي أبو علي الخلال يقول: ما همّنـي أمـر فقصدت قبر موسى بن جعفر عليهما السلام إلاّ سهّل الله تعالى لي ما أُحبّ.[٢]

---

١. أخبار الدول للقرماني: ص١١٣.

٢. تاريخ بغداد: ج١ ص١٢٠، باب ما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهّاد بالجانب الغربي في أعلا المدينة.

وقال الإمام الشافعي: قبر موسى الكاظم عليه السلام ترياق مجرّب لإجابة الدعاء.[١]

وقد أثقلت كوارث الدهر، ومصائب الأيّام كوكبة من الشعراء والأدباء، ففزعوا إليه عليه السلام، ولاذوا بضريحه متوسّلين به إلى الله في رفع محنهم، وكشف ما ألمّ بهم من البلاء، والمكروه؛ ففرّج الله عنهم ذلك، ومنهم الحاج محمد جواد البغدادي، فقد سعى إلى مثوى الإمام عليه السلام في حاجة يطلب قضائها وهو يقول:

يا سمي الكليم جئتك أسعى ... نحو مغناك قاصداً من بلادي
ليس تقضى لنا الحوائج إلاّ ... عند باب الرجاء جدّ الجواد

وقد شطرهما سيّد شعراء عصره، وفقيه زمانه السيّد مهدي بحر العلوم، بقوله:

يا سمي الكليم جئتك أسعى ... والهوى مركبي وحبّك زادي
مسّني الضرّ وانتحى بي فقري ... نحو مغناك قاصداً من بلادي
ليس تقضى لنا الحوائج إلاّ ... عند باب الحوائج المعتاد
عند بحر الندى ابن جعفر موسى ... عند باب الرجاء جدّ الجواد[٢]

وخمّسهما الخطيب عبّاس البغدادي، بقوله:

لم تزل للأنام تحسن صنعاً ... وتجير الذي أتاك وترعى
وإذا ضاقت الفضا بي ذرعاً ... يا سميّ الكليم جئتك أسعى

والهوى مركبي وحبّك زادي

أنت غيث للمجد بين ولولا ... فيض جدواكم الوجود اضمحلا
قسماً بالذي تعالى وجلا ... ليس تقضى لنا الحوائج إلا

عند باب الرجاء جدّ الجواد

---

١. تُحفة العالم لبحر العلوم: ج٢ ص٢٠. والبصائر لمنكر التوسّل بأهل المقابر للهندي الحنفي: ص٤٢.

٢. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام للقرشي: ج١ ص٥٢.

وممّن نظم في ذلك عبد الباقي العمري، بقوله:

لــــذ واســـتجر متوسّــــلا   إن ضـــاق أمــرك أن تعـــسّر
بــأبي الرضـا جـدّ الجـواد   محمـد موســى بـن جعفـر[1]

وفي مناقب ابن شهر آشوب:

لأبي الحسن المعاذ:

زر ببغـداد موسـى بـن جعفـر   قبر موسى مديحه ليس ينكر
هـو بـاب إلى المهيمن تقـضى   منـه حاجاتنـا وتحبـى وتجـبر
هـو حـصني وعـدّتي وغيـاثي   ومـلاذي ومـوئلي يـوم أُحشر
صائم القيظ كاظم الغيظ في   الله مصفى بـه الكبائر تُغفـر
كم مـريض وافـى اليـه فعافا   وأعمــى أتــاه صـحّ وأبـصر

وفيه أيضاً: وقال الناشئ:

ببغـــداد وإن ملئــت قــصورا   قبـــور أغـــشت الآفـــاق نـــورا
ضريح السابع المعصوم موسى   إمـــام يحتـــوي مجـــدا وخـــيرا
بأكنـاف المقـابر مـن قـريش   لـه جـدث غـدا بهجـا نـضيرا
وقـبر محمـد في ظهـر موسـى   يغـشي نـور بهجتـه الحـضورا
همـا بحـران مـن علـم وحلـم   تجــاوز في نفاسـتها البحــورا
إذا غـارت جـواهر كـلّ بحـر   فجوهرهـــا يُنـــزّه أن يغـــورا
يلـوح على السواحل من بغـاه   تحـصل كفّـه الـدرّ الخطـيرا[2]

نعم، كان الإمام عليه السلام في حياته مفزعاً، وملجأ لعموم المسلمين، وكذلك كان عليه السلام بعد وفاته حصناً منيعاً لمن استجار به؛ لأنّ الله عزّ وجلّ منحه ما يوجب قضاء

---

١. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام للقرشي: ج١ ص٥٢.
٢. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٤٢.

حوائج المستجيرين بضريحه المقدّس، ولذلك اعتقد أغلب المسلمين أنّ الله يكشف البلاء، ويدفع الضرّ بالإلتجاء إلى ضريحه عليه السلام.

ورؤي في بغداد امرأة مذهولة قد فقدت رشدها، وهامت في تيّار من الهواجس والهموم؛ لأنّها أُخبرت أنّ ولدها ارتكب جريمة، وألقت عليه السلطة المحلّية القبض، وأودعته السجن، فأخذت تهرول نحو ضريح الإمام الكاظم عليه السلام؛ مستجيرة به.

فرآها بعض الأوغاد ممّن لا يؤمن بالإمام، فقال لها: إلى أين!؟

فقالت: إلى موسى بن جعفر؛ فإنّه قد حُبس ابني.

فقال لها بسخريّة واستهزاء: إنّه قد مات في الحبس!

فاندفعت تقول بحرارة وقد لذعها قوله: اللهمّ، بحقّ المقتول في الحبس أن تُريني القدرة.

فاستجاب الله دعاءها، فأُطلق سراح ولدها، وأُودع ابن المستهزئ في ظلمات السجون بجرم ذلك الشخص، وهكذا أراد الله أن يُريها القدرة، ويُري ذلك الشخص ـ المستهزئ ـ كرامة الإمام عليه السلام عنده عزّ شأنه.[1]

النص عليه عليه السلام بالإمامة

تظافرت جهود خلصاء الشيعة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، متعاضدة على توثيق ما نصّ عليه الإمام عليه السلام من أمر إنتقال الخلافة بعده إلى وريثه الشرعي الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام؛ بُغية جني ثمار صراط الحقّ من لدن الأئمّة عليهم السلام

١. راجع مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٢٢.

بحكم الوصيّة؛ لئلا تذهب بالناس المذاهب، ويطيش بعقولهم إعتقاد المفاسد؛ كما صار إليه جملة من المتزلزلة قلوبهم، والغاوية نفوسهم، حتّى أتبعهم جمع من سوقة الناس وجُهّالها.

إلى المتابع الفاضل جملة من رواة النصّ لبعض المرويات.

١. إسحاق بن الإمام الصادق عليه السلام

روى يعقوب بن جعفر الحميري، عن إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام، قال: كنت عند أبي عليه السلام يوماً فسأله علي بن عمر بن علي، فقال: جُعلت فداك، إلى من نفزع، ويفزع الناس بعدك؟

فقال عليه السلام: إلى صاحب هذين الثوبين الأصفرين، والغديرتين، وهو الطالع عليك من الباب!

فما لبثنا أن طلع علينا كفّان آخذتان بالبابين حتّى انفتحتا؛ ودخل علينا أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام وهو صبيّ، وعليه ثوبان أصفران.[1]

٢. علي بن الإمام الصادق عليه السلام

روى محمد بن الوليد، قال: سمعت علي بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: سمعت أبي، جعفر بن محمد عليهما السلام يقول لجماعة من خاصّته وأصحابه: استوصوا بموسى ابني خيراً؛ فإنّه أفضل ولدي، ومن أخلف من بعدي، وهو

---

١. الكافي للكليني: ج١ ص٣٠٨، باب: الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، ح٥. الإرشاد للمفيد: ص٣٢٦. إعلام الورى للطبرسي: ص٢٩٩.

القائم مقامي، والحجّة لله عزّ وجلّ على كافّة خلقه من بعدي.[١]

أقول: وكان علي بن جعفر شديد التمسّك بأخيه موسى عليه السلام، والإنقطاع إليه، والتوفّر على أخذ معالم الدين منه، وله مسائل مشهورة، وأجوبة رواها سماعاً منه.[٢]

٣. معاذ بن كثير

روى محمد بن يحيى، والحسين بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن علي بن الحسين بن علي، عن إسماعيل بن مهران، عن أبي جميلة، عن معاذ بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

إنّ الوصيّة نزلت من السماء على محمد صلى الله عليه وآله كتاباً؛ لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصيّة.

فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد، هذه وصيّتك في أُمّتك عند أهل بيتك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّ أهل بيتي يا جبرئيل؟!

قال: نجيبُ الله، وذريّته؛ ليرثك علم النبوّة كما ورثه إبراهيم عليه السلام؛ وميراثه - أي، ميراث إبراهيم عليه السلام - لعلي عليه السلام، وذريّتك من صلبه.

فقال: وكان عليها خواتيم.

ففتح علي عليه السلام الخاتم الأوّل، ومضى لما فيها.

ثمّ فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني، ومضى لما أُمر به فيها.

---

١. إعلام الورى للطبرسي: ص٢٩٩. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٦٥ ح١.

٢. وهي المعروفة بالجعفريّات، المطبوعة مع قرب الإسناد.

فلمّا توفّي الحسن عليه السلام، ومضى؛ فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث، فوجد فيها: أن قاتل فاقتل، وتقتل، واخرج بأقوام للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك. ففعل عليه السلام.

فلمّا مضى عليه السلام ـ شهيداً ـ دفعها إلى علي بن الحسين عليهما السلام قبل ذلك، ففتح الخاتم الرابع، فوجد فيها: أن اصمت، وأطرق لما حُجب العلم.

فلمّا توفّي، ومضى، دفعها إلى محمد بن علي عليهما السلام، ففتح الخاتم الخامس، فوجد فيها: أن فسّر كتاب الله، وصدّق أباك، وورّث ابنك، واصطنع الأُمّة، وقُم بحقّ الله عزّ وجلّ، وقل الحقّ في الخوف والأمن، ولا تخش إلا الله.

ففعل عليه السلام، ثمّ دفعها إلى الذي يليه.

قال: قلت له: جُعلت فداك، فأنت هو؟

قال: فقال عليه السلام: ما بي إلاّ أن تذهب يا معاذ فتروي عليّ.

قال: فقلت: أسال الله الذي رزقك من آبائك هذه المنزلة، أن يرزقك من عقبك مثلها قبل الممات.

قال عليه السلام: قد فعل الله ذلك يا معاذ.

قال: فقلت: فمن جُعلت فداك!؟

قال عليه السلام: هذا الراقد. وأشار بيده إلى العبد الصالح ـ الإمام الكاظم عليه السلام ـ وهو راقد.[1]

---

١. الكافي للكليني: ج١ ص٢٧٩، باب: إنّ الأئمّة لم يفعلوا شيئاً إلا بعهد الله تعالى، ح١. الإرشاد للمفيد: ص٣٢٦. إعلام الورى للطبرسي: ص٢٩٩. عوالم العلوم للبحراني: ج١ ص٣٣ ح١.

٤. إبراهيم الكرخي

روى علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن جدّه أحمد بن أبي عبد الله الرقّي، عن أبيه محمد بن خالد، عن محمد بن سنان، وأبي علي الزرّاد معاً، عن إبراهيم الكرخي، قال: دخلت على أبي عبد الله ـ الصادق عليه السلام ـ فإنّي لجالس عنده إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وهو غلام، فقمت إليه، فقبّلته، وجلست.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا إبراهيم، أما إنّه صاحبك من بعدي، أما ليهلكنّ فيه أقوام[١]، ويسعد آخرون، فلعن الله قاتله، وضاعف على روحه العذاب.

أما ليخرجنّ الله من صلبه خير أهل الأرض في زمانه، سمي جدّه، ووارث علمه، وأحكامه، وفضائله، معدن الإمامة، ورأس الحكمة، يقتله جبّار بني فلان بعد عجائب طريفة؛ حسداً له، ولكنّ الله بالغ أمره ولو كره المشركون.

يخرج الله من صلبه تكملة اثني عشر إماماً مهديّاً، اختصّهم الله بكرامته، وأحلّهم دار قدسه، المُنتظرّ للثاني عشر منهم عليه السلام كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّ عنه.

قال: فدخل رجل من موالي بني أُميّة، فانقطع الكلام! فعُدت إلى أبي عبد الله عليه السلام إحدى عشرة مرّة أُريد منه أن يستتم الكلام؛ فما قدرت على ذلك، فلمّا

---

١. إشارة إلى الفطحيّة الذين لم يُسلّموا بإمامته عليه السلام، وقالوا بانتقال الإمامة من الإمام الصادق عليه السلام إلى إبنه عبد الله الأفطح. وكذلك الواقفيّة الذين وقفوا عليه عليه السلام، ولم يُسلّموا بإمامة الإمام علي بن موسى عليهما السلام وقالوا: إنّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لم يمت، وسيخرج بعد الغيبة. راجع إختيار معرفة الرجال للطوسي: ج٢ ص٥٢٤ رقم٤٧٢، في الفطحيّة، وص٧٥٥ رقم٨٦٠، في الواقفة. والملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص١٤٨و١٥٠.

كان قابل السنة الثانية دخلت عليه وهو جالس، فقال عليه السلام: يا إبراهيم، هو المفرّج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد، وبلاء طويل، وجزع، وخوف. فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان، حسبك يا إبراهيم!!

قال إبراهيم: فما رجعت بشيء أسرّ من هذا لقلبي، ولا أقرّ لعيني.[1]

٥. ابن حازم

روى ابن أبي نجران، عن ابن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأبي أنت وأمّي، إنّ الأنفس يُغدى عليها ويراح، فإذا كان ذلك فمَن؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان ذلك، فهذا صاحبكم. وضرب بيده على منكب أبي الحسن الأيمن، وهو فيما أعلم يومئذ خماسي، وعبد الله بن جعفر جالس معنا.[2]

٦. داود بن كثير

روى محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن الحسن بن موسى الخشّاب، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن زكريّا بن آدم، عن داود بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام، جُعلت فداك، وقدّمني للموت قبلك، إن كان كون فإلى مَن؟

قال عليه السلام: إلى ابني موسى. فكان ذلك الكون. فو الله، ما شككت في موسى عليه السلام طرفة عين قطّ، ثمّ مكثت نحواً من ثلاثين سنة، ثمّ أتيت أبا الحسن موسى عليه السلام،

---

١. كمال الدين للصدوق: ص٣٣٤ ح٥، وص٦٤٧ ح٨. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٣٤.

٢. الإرشاد للمفيد: ص٣٢٤. إعلام الورى للطبرسي: ص٢٩٧. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٣٦ ح٧.

فقلت له: جُعلت فداك، إن كان كون فإلى مَن؟

قال عليه السلام: فإلى علي ابني. قال: فكان ذلك الكون. فو الله، ما شككت في علي عليه السلام طرفة عين قطّ.[١]

٧. الحسن بن هارون

روى جعفر بن سماعة، عن محمد بن الحسن، عن أبيه الحسن بن هارون، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ابني هذا ـ أي، أبا الحسن موسى عليه السلام ـ هو القائم ـ أي، بعده عليه السلام ـ وهو من المحتوم.[٢]

٨. زرارة بن أعين

روي عن زرارة بن أعين، إنّه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، وعن يمينه سيّد ولده؛ موسى عليه السلام، وقُدّامه مرقد مُغطى، فقال عليه السلام لي: يا زرارة، جئني بداود بن كثير الرقّي، وحمران، وأبي بصير!

ودخل عليه المفضّل بن عمر، فخرجت فأحضرت من أمرني بإحضاره، ولم تزل الناس يدخلون واحداً إثر واحد حتّى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً.

فلمّا حشد المجلس، قال عليه السلام: يا داود ـ الرقيّ ـ اكشف لي عن وجه اسماعيل، فكشف ـ داود ـ عن وجهه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا داود، أحيّ هو أم ميّت؟!

قال داود: يا مولاي، هو ميّت.

---

١. عيون أخبار الرضا للصدوق: ج٢ ص٣٢ ح٦. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٥٤ ح٢.

٢. الغيبة للطوسي: ص٤٧ رقم٣٣.

فجعل يعرض عليه السلام ذلك على رجل رجل حتّى أتى على آخر مَن في المجلس، وكلّ يقول: هو ميّت يا مولاي.

فقال عليه السلام: اللهمّ اشهد.

ثمّ أمر بغسله، وحنوطه، وإدراجه في أثوابه.

فلمّا فرغ منه، قال عليه السلام للمفضل ـ ابن عمر ـ : يا مفضّل، احسر[1] عن وجهه. وحسر عن وجهه، فقال عليه السلام: أحي هو أم ميّت؟!

فقال: ميّت.

فقال: اللهمّ، اشهد، واشهدوا ـ أنتم الجماعة ـ فإنّه سيرتاب المبطلون، يُريدون إطفاء نور الله بأفواههم ـ ثمّ أومأ إلى موسى عليه السلام ـ والله، مُتمّ نوره ولو كره المشركون.

ثمّ حثوا عليه التراب، ثمّ أعاد عليه السلام علينا القول، فقال: الميّت، المُحنّط، المُكفّن، المدفون في هذا اللحد؛ مَن هو؟!

قُلنا: إسماعيل.

قال عليه السلام: اللهمّ، اشهد.

ثمّ أخذ عليه السلام بيد موسى عليه السلام، وقال: هو حقّ، والحقّ معه ومنه إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.[2]

---

١. حسر الشيء: كشفه.

٢. الغيبة للنعماني: ص٣٢٧ رقم٨. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٤٨.

٩. هارون بن خارجة، وسلمة بن محرز

قال الشيخ الصدوق: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، قال: حدّثنا محمد بن عيسى بن عبيد، قال: حدّثنا علي بن الحكم، وعلي بن الحسن، عن نافع الورّاق، عن هارون بن خارجة، قال: قال لي هارون بن سعد العجلي: قد مات إسماعيل الذي كنتم تمدّون أعناقكم إليه، وجعفر شيخ كبير يموت غداً أو بعد غد، فتبقون بلا إمام.

فلم أدر ما أقول له، فأخبرت أبا عبد الله عليه السلام بمقالته.

فقال عليه السلام: هيهات هيهات! أبى الله. والله، إن ينقطع هذا الأمر حتّى ينقطع الليل والنهار، فإذا رأيته، فقل له: هذا موسى بن جعفر عليه السلام يكبر، ويزوّجه، فيولد له ولد، فيكون خلفاً إن شاء الله.[1]

وروى الورّاق، عن سعد، عن اليقطيني، عن يونس، عن صفوان بن يحيى، عن أبي أيّوب الخزّاز، عن سلمة بن محرز، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ رجلاً من العجليّة[2] قال لي: كم عسى أن يبقى لكم هذا الشيخ!؟ إنّما هو سنة أو سنتين حتّى يهلك، ثمّ تصيرون ليس أحد تنظرون إليه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألا قلت له: هذا موسى بن جعفر عليهما السلام قد أدرك ما يدرك

---

١. كمال الدين للصدوق: ص٦٥٧ ح٢. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٤٩ ح١.

٢. العجليّة: فرقتان، الأُولى: المغيرية. أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي؛ قالوا: الله عزّ شأنه على صورة رجل من نور على رأسه تاج. ويقولون: الإمام المنتظر زكريا بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وهو حي، مُقيم في جبل حاجز.

الثانية: المنصوريّة. أصحاب أبو منصور العجلي؛ عزى نفسه إلى الباقر عليه السلام؛ فتبرء منه، وطرده، وادّعى الإمامة لنفسه. قالوا: الإمامة لمحمد بن علي بن الحسين، ثمّ انتقلت عنه إلى أبي منصور. وزعموا: إنّ أبا منصور عرج إلى السماء.

الرجال، وقد اشترينا له جارية تباح له، فكأنّك به إن شاء الله قد ولد له فقيه خلف.[١]

١٠. سليمان بن خالد

روى ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، قال: دعا أبو عبد الله عليه السلام أبا الحسن يوماً ونحن عنده عليه السلام، فقال لنا: عليكم بهذا بعدي؛ فهو والله، صاحبكم بعدي.[٢]

١١. صفوان الجمّال

روى الوشّاء، عن عليّ بن الحسين، عن صفوان الجمّال، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صاحب هذا الأمر ـ بعده ـ ؟

قال عليه السلام: صاحب هذا الأمر لا يلهو، ولا يلعب.

وأقبل أبو الحسن وهو صغير ومعه بهمة[٣]، ويقول لها: اسجدي لربّك. فأخذه أبو عبد الله عليه السلام وضمّه إليه، وقال: بأبي أنت وأُمّي، مَن لا يلهو ولا يلعب.[٤]

١٢. طاهر بن محمد

روى المفضّل، عن طاهر بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال ـ طاهر ـ : رأيته يلوم عبد الله ولده، ويعظه، ويقول له: ما يمنعك أن تكون مثل أخيك؟! فو الله، إنّي لأعرف النور في وجهه.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج٢ ص٣٨ ح٢٠.

٢. الإمامة والتبصرة للقمّي: ص٧٠ رقم٥٧. الإرشاد للمفيد: ص٣٢٥.

٣. البَهَمَة: أولاد البقر، والمعز، والضأن.

٤. الإرشاد للمفيد: ص٣٢٥.

فقال عبد الله: وكيف، أليس أبي وأبوه واحداً؟ وأصلي وأصله واحداً؟

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنّه من نفسي، وأنت ابني.[١]

١٣. عبد الله بن سنان

روي عن الحسين بن علي بن معمّر، عن أبيه، عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام ـ وذكر البداء لله ـ فقال عليه السلام: فما أخرج الله إلى الملائكة، وأخرجه الملائكة إلى الرسل، فأخرجه الرسل إلى الآدميين، فليس فيه بداء، وأنّ من المحتوم أنّ ابني هذا هو القائم عجل الله فرجه.[٢]

١٤. عبد الله بن الفضل الهاشمي

روي عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فدخل عليه رجل من طوس... فدخل موسى بن جعفر عليهما السلام فأجلسه ـ أبو عبد الله عليه السلام ـ على فخذه وأقبل يُقبّل ما بين عينيه، ثمّ التفت إليه فقال له: يا طوسي، إنّه الإمام، والخليفة، والحجّة بعدي... الحديث.[٣]

١٥. عبد الرحمن بن الحجّاج

روى أبو علي الأرجاني، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، قال: دخلت على جعفر بن محمد عليهما السلام في منزله، وهو في بيت كذا من داره، في مسجد له،

---

١. الكافي للكليني: ج١ ص٣١٠، باب: الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، ح١٠. إعلام الورى للطبرسي: ص٣٩٨. الإرشاد للمفيد: ص٣٢٥.

٢. الغيبة للطوسي: ص٥٢ رقم٤٢. عوال العوالم للبحراني: ج٢١ ص٦٢ ح٧.

٣. الأمالي للصدوق: ص٦٨٤ رقم ١١.

وهو عليه السلام يدعو وعلى يمينه موسى بن جعفر عليهما السلام يؤمّن على دُعائه؛ فقلت له عليه السلام: جعلني الله فداك، قد عرفت انقطاعي إليك، وخدمتي لك، فمَن ولي الناس بعدك؟

قال عليه السلام: يا عبد الرحمن، إنّ موسى قد لبس الدرع، وساوى عليه.

فقلت له: لا أحتاج بعد هذا إلى شيء.[1]

١٦. عيسى شلقان

روي عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى شلقان، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أُريد أن أسأله عن أبي الخطّاب، فقال عليه السلام لي مبتدأ قبل أن أجلس: يا عيسى، ما منعك أن تلقى ابني فتسأله عن جميع ما تُريد؟!

قال عيسى: فذهبت إلى العبد الصالح عليه السلام وهو قاعد في الكتّاب، وعلى شفتيه أثر المداد، فقال عليه السلام لي مبتدءاً: يا عيسى، إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على النبوّة، فلم يتحوّلوا عنها أبداً، وأخذ ميثاق الوصيين على الوصيّة، فلم يتحوّلوا عنها أبداً، وأعار قوماً الإيمان زماناً، ثمّ سلبهم إيّاه؛ إنّ أبا الخطّاب ممّن أعاره الإيمان، ثمّ سلبه الله.

فضممته إليّ، وقبّلت بين عينيه، ثمّ قلت: بأبي أنت وأُمّي ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

---

١. الكافي للكليني: ج١ ص٣٠٨، باب: الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، ح٣. الإرشاد للمفيد: ص٣٢٤.

٢. سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

ثمّ رجعت إلى أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي ما صنعت يا عيسى؟!

قلت له عليه السلام: بأبي أنت وأُمّي، أتيته فأخبرني مبتدءاً من غير أن أسأله عن جيمع ما أردت أن أسأله عنه، فعلمت والله عند ذلك، إنّه صاحب هذا الأمر.

فقال ـ أبو عبد الله عليه السلام ـ : يا عيسى، إنّ ابني هذا الذي رأيت لو سألته عمّا بين دفّتي المصحف لأجابك فيه بعلم... فعلمت ذلك اليوم أنّه عليه السلام صاحب هذا الأمر.[١]

١٧. عيسى بن عبد الله العلوي

روى ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب واليقطيني معاً، عن ابن أبي نجران، عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن خاله الصادق عليه السلام، قال: قلت له عليه السلام: إن كان كون، ولا أراني الله يومك، فبمَن أئتم؟

فأومى عليه السلام إلى موسى عليه السلام.

فقلت له: فإن مضى فإلى مَن؟

قال عليه السلام: فإلى ولده.

قلت: فإن مضى ولده وترك أخاً كبيراً وابناً صغيراً، فبمَن أئتم؟

قال عليه السلام: بولده، ثمّ هكذا أبداً.

فقلت: فإن أنا لم أعرفه، ولم أعرف موضعه؛ فما أصنع؟

قال عليه السلام: تقول: اللهمّ، إنّي أتولّى مَن بقى من حججك من ولد الإمام الماضي.

---

١. قرب الإسناد للحميري: ص١٤٣. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٣٨ ح١٠.

فإنّ ذلك يجزيك.[1]

١٨. مسمع كردين

روى محمد بن عبد الجبّار، عن أبي عبد الله البرقي، عن فضالة، عن مسمع كردين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: دخلت عليه وعنده إسماعيل، قال: ونحن إذ ذاك نأتم به بعد أبيه... فذكر في حديث طويل: أنّه سمع رجل أبا عبد الله عليه السلام خلاف ما ظنّ فيه.

قال ـ مسمع ـ فأتيت رجلين من أهل الكوفة كانا يقولان به فأخبرتهما.

فقال واحد منهما: «سمعت وأطعت، ورضيت وسلّمت».

وقال الآخر، وأهوى بيده إلى جيبه فشقّه: لا والله، لا سمعت ولا أطعت، ولا رضيت حتّى أسمعه منه.

قال: ثمّ خرج متوجّهاً إلى أبي عبد الله عليه السلام وتبعته، فلمّا كنّا بالباب فاستأذنّا، فأذن لي فدخلت قبله، ثم أذن له فدخل.

فلمّا دخل قال له أبو عبد الله عليه السلام: يا فلان أيريد! كلّ أمرئ منكم أن يؤتى صحفاً منشّرة، إنّ الذي أخبرك به فلان الحقّ.

قال: جُعلت فداك، إنّي أشتهي أن أسمعه منك.

قال عليه السلام: إنّ فلاناً أمامك، وصاحبك من بعدي ـ يعني، أبا الحسن عليه السلام ـ فلا يدّعيها فيما بيني وبينه إلاّ كاذب مفتر.

فالتفت إلي الكوفي، وكان يحسن كلام النبطيّة، وكان صاحب قبالات، فقال

---

١. كمال الدين للصدوق: ج٢ ص٣٤٩ ح٤٣. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٥٥ ح٥.

لي: درفه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ «درفه» بالنبطيّة: خذها. أجل فخذها. فخرجنا من عنده.[1]

١٩. المفضّل بن عمر

روى موسى الصيقل، عن المفضّل بن عمر، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فدخل أبو ابراهيم موسى عليه السلام، وهو غلام، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: استوص به، وضع أمره عند من تثق به من أصحابك.[2]

٢٠. نصر بن قابوس

روى والد الشيخ الصدوق، علي بن الحسين بن بابويه القمّي، قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عبد الله بن محمد الحجّال، قال: حدّثنا سعيد بن أبي الجهم، عن نصر بن قابوس، قال: قلت لأبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام: إنّي سألت أباك عليه السلام: من الذي يكون بعدك؟ فأخبرني إنّك أنت هو، فلمّا توفّي أبو عبد الله عليه السلام ذهب الناس يميناً وشمالاً، وقلت أنا وأصحابي بك، فأخبرني من الذي يكون بعدك؟

قال عليه السلام: إبني علي عليه السلام.[3]

---

١. بصائر الدرجات للصفّار: ص٣٣٩ ح٧.

٢. الإرشاد للمفيد: ص٣٢٤.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج٢ ص٣٩ ح٢٦. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٥٧ ح٨.

٢١. وليد بن صبيح

روى ابن عقدة، عن القاسم، عن محمد بن الحسين، عن عيسى بن هشام، عن درست بن منصور، عن الوليد بن صبيح، قال: كان بيني وبين رجل يُقال له: «عبد الجليل» صداقة، فقدم، فقال لي: إنّ أبا عبد الله عليه السلام أوصى إلى إسماعيل.

قال: فقلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ عبد الجليل حدثني بأنّك أوصيت إلى إسماعيل في حياته قبل موته بثلاث سنين.

فقال عليه السلام: يا وليد، لا والله، فإن كنت فعلت فإلى فلان ـ يعني، أبا الحسن موسى عليه السلام ـ وسمّاه.[1]

٢٢. يزيد بن أسباط

روي عن يزيد بن أسباط، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في مرضته التي مات فيها، فقال لي: يا يزيد، أترى هذا الصبي! إذا رأيت الناس قد اختلفوا فيه، فاشهد عليّ بأنّي أخبرتك: إنّ يوسف عليه السلام إنّما كان ذنبه عند إخوته حتّى طرحوه في الجبّ، الحسد له حين أخبرهم: إنّه رأى أحد عشر كوكباً، والشمس، والقمر وهم له ساجدون. وكذلك لا بدّ لهذا الغلام من أن يُحسد.

ثمّ دعا موسى عليه السلام، وعبد الله، وإسحاق، ومحمداً، والعبّاس، وقال لهم: هذا وصي الأوصياء، وعالم علم العلماء، وشهيد على الأموات والأحياء.

ثمّ قال عليه السلام: يا يزيد، ستُكتب شهادتهم، ويُسألون.[2]

---

١. الغيبة للنعماني: ص٣٢٦ ح٣. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٤٣ ح١.

٢. مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٣٥.

٢٣. يزيد بن سليط الزيدي

روى والد الشيخ الصدوق، علي بن الحسين بن بابويه القمّي، وابن الوليد، وابن المتوكّل، والعطّار، وما جيلويه، جميعاً، قالوا: حدثّنا محمد العطّار، عن الأشعري، عن عبد الله محمد الشامي... عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري، عن يزيد بن سليط الزيدي، قال:

لقينا أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكّة، ونحن جماعة، فقلت له عليه السلام: بأبي أنت وأمّي، أنتم الأئمّة المطهّرون، والموت لا يعرى منه أحد، فأحدث إليّ شيئاً ألقيه إلى من يخلفني.

فقال عليه السلام لي: نعم، هؤلاء ولدي، وهذا سيّدهم ـ وأشار إلى ابنه موسى عليه السلام ـ وفيه العلم، والحكم، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حُسن الخُلق، وحُسن الجوار، وهو باب من أبواب الله عزّ وجلّ، وفيه أُخرى هي خير من هذا كلّه!

فقال له عليه السلام أبي: فما هي بأبي أنت وأُمّي!؟

قال عليه السلام: يُخرج الله منه غوث هذه الأُمّة، وغياثها، وعلمها، ونورها، وفهمها، وحكمها، خير مولود، وخير ناشيء، يحقن الله به الدماء، ويُصلح به ذات البين، ويلمّ به الشعث[1]، ويُشعب به الصدع[2]، ويكسو به العاري، ويُشبع به الجائع، ويؤمّن به الخائف، ويُنزل به القطر، ويأتمر له العباد، خير كهل، وخير ناشيء، يُبشّر به عشيرته قبل أوان حلمه، قوله حكم، وصمته علم، يبيّن للناس ما يختلفون فيه.

---

١. لمّ الله شعثه: أصلح، وجمع ما تفرّق من أموره.

٢. صدع القوم: فرقهم. والشعب ضدّ الصدع.

قال: فقال أبي: بأبي أنت وأُمّي، فيكون له ولده بعده!؟

قال عليه السلام: نعم. ثمّ قطع الكلام.

قال يزيد: ثمّ لقيت أبا الحسن ـ موسى بن جعفر عليهما السلام ـ بعد، فقلت له: بأبي أنت وأُمّي، إنّي أُريد أن تخبرني بمثل ما أخبر به أبوك.

قال: فقال عليه السلام: كان أبي عليه السلام في زمن ليس هذا مثله.

قال يزيد: فقلت: من يرضى منك بهذا؛ فعليه لعنة الله.

قال: فضحك عليه السلام، ثمّ قال: أُخبرك يا أبا عمارة، إنّي خرجت من منزلي؛ فأوصيت في الظاهر إلى بنيّ، وأشركتهم مع علي ابني، وأفردته بوصيّتي في الباطن.

ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وأميرالمؤمنين عليه السلام معه، ومعه خاتم، وسيف، وعصا، وكتاب، وعمامة؛ فقلت له عليه السلام: ما هذا؟!

فقال عليه السلام: أمّا العمامة؛ فسلطان الله عزّ وجلّ، وأمّا السيف؛ فعزّة الله عزّ وجلّ، وأمّا الكتاب؛ فنور الله عزّ وجلّ، وأمّا العصا؛ فقوّة الله عزّ وجلّ، وأمّا الخاتم؛ فجامع هذه الأُمور.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والأمر يخرج إلى علي ابنك ـ الرضا عليه السلام ـ.

قال: ثمّ قال عليه السلام: يا يزيد، إنّها وديعة عندك، فلا تُخبر بها إلا عاقلاً، أو عبداً امتحن الله قلبه للإيمان، أو صادقاً، ولا تُكفّر[1] نعم الله تعالى، وإن سُئلت عن الشهادة؛ فأدّها، فإنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[2] و﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[3].

---

١. كفّر: يعني، أخفى، وستر.

٢. سورة النساء، الآية: ٥٨.

٣. سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

فقلت: والله، ما كنت لأفعل هذا أبداً.

قال: ثمّ قال أبو الحسن عليه السلام: ثمّ وصفه لي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: علي ابنك الذي ينظر بنور الله، ويسمع بتفهيمه، وينطق بحكمته، يُصيب ولا يخطئ، ويعلم ولا يجهل، قد مُلئ حكماً وعلماً، وما أقلّ مقامك معه، إنّما هو شيء كأن لم يكن، فإذا رجعت من سفرك، فأصلح أمرك، وأفرغ ممّا أردت؛ فإنّك منتقل عنه، ومجاور غيره، فاجمع ولدك، وأشهد الله عليهم جميعاً، وكفى بالله شهيداً.

ثمّ قال عليه السلام: يا يزيد، إنّي أُوخذ في هذه السنة، وعلي الرضا عليه السلام ـ ابني سمي علي بن أبي طالب عليه السلام، وسمي علي بن الحسين عليهما السلام؛ أُعطي فهم الأوّل، وعلمه، ونصره، ورداءه، وليس له أن يتكلّم إلا بعد هارون بأربع سنين، فإذا مضت أربع سنين؛ فسله عمّا شئت؛ يُجيبك إن شاء الله تعالى.[1]

فائدة

لاريب أنّ التصريحات المتكرّرة للإمام الصادق عليه السلام بخصوص امتناع الخيَرة[2] لأحد في تعيين الإمام ـ فضلاً عنها نهّجاً راسخاً قد سلكه رسول الله صلى الله عليه وآله من أوّل الإيذان به من قبل المولى تعالى. وعلى مسلكه صلى الله عليه وآله سار آل البيت عليهم السلام ـ واختصاصها بالله سبحانه وتعالى، إنّما هي رسالة تأكّيد منه عليه السلام لإيقاف توسّع شراشر[3] السقيفة ـ التي لا زالت ومنذ ذلك اليوم تعصف بشبهة خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في الأُمّة الإسلاميّة، خصوصاً وأنّ كثير من النفوس المتهملجة، الناعقة

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج١ ص٢٣ ح٩. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٥١ ح١.

٢. لقوله تعالى في سورة القصص، الآية: ٦٨: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

٣. شراشر: أطراف الشيء.

وراء كلّ ناعق، ما انفكّت متأهّبة لإذكاء أوارها مُجدّداً؛ فشبّهوا على الأُمّة بادي‌ء أمرهم، فقالوا: بإمامة محمد بن الحنفيّة؛ ليصرفوها عن أخويه: الحسن والحسين إبنا علي بن أبي طالب عليهم السلام.[١] ثمّ بإمامة زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام؛ ليدفعوها عن المنصوص عليه من قبل أبيهما الإمام محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام.[٢] ثمّ بإمامة إسماعيل، وعبد الله ابنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام؛ ليدفعوها عن أخيهما الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.[٣] ثمّ بعد ذلك توقّفوا عند الإمام موسى الكاظم؛ ليدفعوها عن ولده الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.[٤] ثمّ بإمامة محمد بن الإمام علي الهادي عليه السلام،[٥] ثمّ أوغلوا في شُبهتهم على الأُمّة بعد شهادة الإمام الحادي عشر، أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام بادّعائهم: عدم الخَلَف فيه؛ حتّى صاروا إلى أخيه عليه السلام جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام؛[٦] كلّ ذلك إمعاناً منهم بتفرقة صفّ المسلمين، وتضليلهم في معتقدهم.[٧] فضلاً عنه عليه السلام كان قد منهج تصريحاته بشكل وقائي تجاه السموم الواردة عن أعداء الدين الحنيف؛ لما يعلم ما سيؤل إليه الأمر مع مَن يخلفه عليه السلام من بعده، خصوصاً وقد حوّم عند بعض المتشيعه في

---

١. وهم: الكيسانيّة.

٢. وهم: الزيديّة.

٣. وهم: الإسماعيليّة، والفطحيّة.

٤. وهم: الواقفيّة.

٥. وهم: المحمّديّة. الذين قالوا: بإمامة أبي جعفر محمد بن علي الهادي عليه السلام، وأنّه حي، لم يمت.

٦. وهم: الجعفريّة؛ أتباع جعفر أخو الإمام الحسن بن علي الهادي عليه السلام.

٧. أقول: لم يسلم من سريان عدوى السقيفة في الأُمّة الإسلاميّة سوى المخلصين من الشيعة الذين جاهدوا قدر إيمانهم للحيلولة دون نفاذ شرارها إلى أنفسهم. وما أصاب جمع المتشيّعة ـ الذين يدّعون أنّهم شيعة؛ ولايحملون منها سوى الإسم ـ من وابل نيرانها، إنّما يدلّ على وحدة السنخيّة بينهم وبين المؤمنين بالسقيفة، وما تمخّضت عنه.

أيامه عليه السلام إعتقاد الإمامة[1] في ولده إسماعيل؛ ممّا حتّم أن قد بيّن عليه السلام لهم أنّ الإمامة إنّما هي أمر مفروغ عنه من الله تعالى، يمنحها لمن يشاء من عباده.

وعليه؛ فالإثني عشريّة يعتقدون بأنّ تعيين إمام المسلمين، خليفة الرسول الأمين صلى الله عليه وآله، إنّما هو إصطفاء مولوي من قبل الله سبحانه، ليس لأحد فيه الخيَرة، فالله سبحانه هو الذي يختار الإمام من بين عباده، كما يختار أنبياءه، ورسله عليهم السلام.

١. روي: إنّ أبا بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فذكروا الأوصياء، وذكر إسماعيل. فالتفت عليه السلام إليّ قائلاً: لا والله، يا أبا محمد، ما ذاك إلينا، وما هو إلا لله عز وجل، يُنزل واحداً بعد واحد. بصائر الدرجات للصفّار: ص٤٩٣، الجزء العاشر: باب في الأئمّة إنّهم يعلمون العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله في الوصيّة إلى الذين من بعده، ح١٤.

من علومه عليه السلام

كان الإمام موسى الكاظم عليه السلام أعلم أهل زمانه بجميع معالم الدين، وبأنواع العلوم العقليّة والنقليّة، وكان عليه السلام أعرف أهل عصره بالمعارف الإلهيّة جمعاء، وكان علمه لَدُنّياً ومعارفه إلهاميّاً كعلم الأنبياء والأوصياء ومعارفهم، ولم يكن علمه اكتسابياً كالأناس العاديين.

وقد أقام المتكلّمون من علماء الشيعة على ذلك أدلّة وبراهين لا تقبل الجدل والإرتياب.

وبوفور العلم قد شهد له عليه السلام أبوه الإمام الصادق عليه السلام، فقال بحقّه لعيسى شلقان: إنّ ابني هذا الذي رأيت لو سألته عمّا بين دفّتي المصحف لأجابك فيه بعلم.[1]

وقال عليه السلام لإبن سُليط الزيدي: وفيه عليه السلام العلم، والحكم، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم.[2]

ويكفي في الدلالة على سعة علومه رواية العلماء عنه في أنواع الفنون من علوم الدين، ومعارفه... حتّى عُرف عليه السلام بين الرواة بـ«العالم».

قوله عليه السلام في التوحيد

المعرفة بالله

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: محمد بن الحسن، عن عبد الله بن

---

١. أُنظر قرب الإسناد للحميري: ص١٤٣.

٢. أُنظر عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج١ ص٢٣ ح٩.

الحسن العلوي. وعلي بن إبراهيم، عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني جميعاً، عن الفتح بن يزيد، عن أبي الحسنعليه السلام، قال: سألته عن أدنى المعرفة ـ بالله ـ ؟

فقالعليه السلام: الإقرار بأنّه لا إله غيره، ولا شبه له ولا نظير، وأنّه قديم، مثبت، موجود، غير فقيد، وأنّه ليس كمثله شيء.[1]

لا جسم ولا صورة

روى الصدوق في التوحيد، قال: حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقّاق، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن سهل بن زياد، عن إبراهيم بن محمد الهمداني، قال: كتبت إلى الرجل ـ يعني، أبا الحسنعليه السلام ـ : إنّ من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: جسم. ومنهم من يقول: صورة ـ يعني: ذو صورة ـ !؟

فكتبعليه السلام بخطّه: سبحان من لا يُحدّ، ولا يُوصف، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم. أو قالعليه السلام: البصير.[2]

لا يبلغ كُنه صفته

روى الكليني في أصول الكافي، قال: سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن إبراهيم، عن محمد بن حكيم، قال: كتب أبو الحسن موسىعليه السلام إلى أبي:

إنّ الله أعلى، وأجل، وأعظم من أن يبلغ كُنه صفته. فصفوه بما وصف به

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٨٦، باب أدنى المعرفة، ح١.

٢. التوحيد: ص١٠٠، في بيان الواحد، والتوحيد، والموحّد، ح٩.

نفسه، وكفّوا عمّا سوى ذلك.[١]

صفات الله تعالى

روى أحمد بن أبي عبدالله البرقي في المحاسن، قال: عن أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن حفص، عن أخي مرزام، عن الفضل بن يحيى، قال: سأل أبي أبا الحسن موسى بن جعفرعليهما السلام عن شيء من الصفة، فقالعليه السلام: لا تجاوز عمّا في القرآن.[٢]

منتهى علمه أم رضاه!

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن الكاهلي، قال: كتبت إلى أبي الحسنعليه السلام في دعاء: الحمد لله منتهى علمه. فكتب إليّ: لا تقولنّ: منتهى علمه؛ فليس لعلمه منتهى، ولكن قُل: منتهى رضاه.[٣]

العلم الأزلي

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن أيّوب بن نوح، إنّه كتب إلى أبي الحسنعليه السلام يسأله عن اللهعزّ وجلّ؛ أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكوّنها، أو لم يعلم ذلك حتّى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق، وما كوّن عندما كوّن؟

فوقّععليه السلام بخطّه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه

---

١. الكافي: ج١ ص١٠٢، باب أدنى المعرفة، ح٦.

٢. المحاسن: ج١ ص٢٣٩، باب جوامع التوحيد، ح٢١٤.

٣. الكافي: ج١ ص١٠٧، باب صفات الذات، ح٣.

بالأشياء بعدما خلق الأشياء.

وفيه أيضاً: عن جعفر بن محمد بن حمزة، قال: كتبت إلى الرجلعليه السلام أسأله: إنّ مواليك اختلفوا في العلم؛ فقال بعضهم: لم يزل الله عالم قبل فعل الأشياء. وقال بعضهم: لا تقول: لم يزل الله عالماً، لأنّ معنى يعلم يفعل، فإن أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً.

فإن رأيت جعلني الله فداك، أن تُعلّمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه؟

فكتبعليه السلام بخطّه: لم يزل الله عالماً تبارك وتعالى ذكره.[١]

هكذا علم الله

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن مُعلّى بن محمد، قال: سُئل العالمعليه السلام: كيف علم الله؟

قالعليه السلام: عَلم، وشاء، وأراد، وقدّر، وقضى، وأمضى. فأمضى ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد. فبعلمه كانت المشية، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء. والعلم متقدّم على المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء.

فلله تبارك وتعالى البداء فيما عَلِم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء؛ فلا بداء. فالعلم في المعلوم قبل كونه، والمشيئة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المُراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات، ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذوي لون، وريح، ووزن، وكيل، وما

---

١. الكافي: ج١ ص١٠٧ـ١٠٨، باب صفات الذات، ح٤ و٥.

دبّ ودرج من إنس، وجنّ، وطير، وسباع، وغير ذلك ممّا يُدرك بالحواس.

فلله تبارك وتعالى فيه البداء ممّا لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المُدرك؛ فلا بداء. والله يفعل ما يشاء، فبالعلم عَلِم الأشياء قبل كونها، وبالمشيّة عرّف صفاتها وحدودها، وأنشأها قبل إظهارها، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدّر أقواتها، وعرف أوّلها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم.[1]

---

١. الكافي: ج١ ص١٤٨، باب البداء، ح١٦.

قال العلامة محمد باقر المجلسي: هذا الحديث من غوامض الأخبار، ومتشابهاتها، ولعلّه إشارة إلى اختلاف مراتب تقدير الأشياء في الألواح السماويّة، أو اختلاف مراتب تسبّب أسبابها إلى وقت حصولها...

ثمّ قال: قوله عليه السلام: «قبل تفصيلها وتوصيلها» أي، من لوح المحو والإثبات، أو في الخارج.

وقوله عليه السلام: «فإذا وقع العين المفهوم المُدرك» أي، فُصّل ومُيّز في اللوح، أو أُوجد في الخارج.

ولعلّ تلك الأُمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها في لوح المحو والإثبات، وقد جعلها الله من أسباب وجود الشيء وشرائطه، لمصالح...

فالمشيّة؛ كتابة وجود زيد وبعض صفاته مثلاً مجملاً. والإرادة؛ كتابة العزم عليه بتّاً مع كتابة بعض صفاته أيضاً. والتقدير؛ تفصيل بعض صفاته وأحواله، لكن من نوع من الإجمال أيضا. والقضاء؛ تفصيل جميع الأحوال، وهو مقارن للإمضاء ـ أي، الفصل والإيجاد ـ والعلم بجميع تلك الأُمور أزليّ قديم، فقوله عليه السلام: «بالمشيّة عرّف» على صيغة التفعيل، وشرح العلل كناية عن الإيجاد.

ثمّ قال: وقال بعض الأفاضل: الظاهر من السؤال، إنّه: كيف علم الله؟ أبعلم مُستند إلى الحضور العيني والشهود في وقته لموجود عيني، أو في موجود عيني كما في علومنا، أو بعلم مُستند إلى الذات سابق على خلق الأشياء!؟

فأجاب عليه السلام: بأنّ العلم سابق على وجود المخلوق بمراتب، فقال عليه السلام «عَلِم وشاء، وأراد وقدّر، وقضى، وأمضى» فالعلم؛ ما به ينكشف الشيء. والمشيّة؛ ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فينا ميلاً دون المشيّة له سبحانه؛ لتعاليه عن التغيّر، والاتّصاف بالصفة الزائدة. والإرادة؛ تحريك الأسباب نحوه، وبحركة نفسانيّة، بخلاف الإرادة فيه سبحانه. والقدر؛ التحديد، وتعيين الحدود والأوقات. والقضاء؛ هو الإيجاب. والإمضاء؛ هو الإيجاد. فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب.

وقوله عليه السلام: «فأمضى ما قضى» أي، فأوجد ما أوجب، وأوجب ما قدّر، وقدّر ما أراد.

ثمّ استأنف البيان على وجه أوضح، فقال عليه السلام: «بعلمه كانت المشيّة» وهي مسبوقة بالعلم «وبمشيّته كانت الإرادة» وهي مسبوقة بالمشيّة «وبإرادته كان التقدير» والتقدير مسبوق بالإرادة «وبتقديره كان القضاء» والإيجاب وهو مسبوق بالتقدير، إذ لا إيجاب إلا للمحدّد، والموقوت بقضائه، وإيجابه كان الإمضاء والإيجاد «ولله تعالى البداء فيما عَلِم متى شاء» فإنّ الدخول في العلم أوّل مراتب السلوك إلى الوجود العيني، وله البداء فيما عَلِم متى شاء أن يبدو، وفيما أراد وحرّك الأسباب نحو تحريكه متى شاء قبل القضاء والإيجاب، فإذا وقع القضاء والإيجاب متلبّساً بالإمضاء والإيجاد؛ فلا بداء.

فعُلم أنّ في العلوم العلم قبل كون المعلوم وحصوله في الأذهان والأعيان، وفي المشاء المشيّة قبل عينه، ووجوده العيني.

وفي أكثر النسخ «المنشأ» ولعلّ المُراد: الإنشاء قبل الإظهار كما في آخر الحديث. وفي المُراد «الإرادة قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها» وحضورها العيني في أوقاتها «والقضاء بالإمضاء، وهو المبرم» الذي يلزمه وجود المقتضى.

وقوله عليه السلام: «من المفعولات» يحتمل تعلّقه بالمبرم، ويكون قوله عليه السلام: «ذوات الأجسام» ابتداء الكلام، ويحتمل كونه من الكلام المستأنف وتعلّقه بما بعده. والمعنى، إنّ هذه الأشياء المحدثة؛ لله فيه البداء قبل وقوع أعيانها، فإذا وقع العيني؛ فلا بداء«فبالعلم عَلِم الأشياء قبل كونها وحصولها» وأصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم ولو في غيره بصورته المتجدّدة، ولا يوجب نفس العلم والإنكشاف بما هو علم، وانكشاف الأشياء إنشاؤها. وبالمشيّة معرفتها بصفاتها وحدودها.

أنشأها إنشاءً قبل الإظهار والإدخال في الوجود العيني، وبالإرادة وتحريك الأسباب نحو وجودها العيني ميّز بعضها عن بعض؛ بتخصيص تحريك الأسباب نحو وجود بعض دون بعض، وبالتقدير قدّرها وعيّن وحدّد أقواتها وأوقاتها وآجالها، وبالقضاء وإيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها، ودلّهم عليها بدلائلها، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب ما يوجبه الموجب بعد العلم بالموجب، وبالإمضاء والإيجاد أوضح تفصيل عللها، وأبان أمرها بأعيانها، وذلك تقدير العزيز العليم. فبالعليم أشار إلى مرتبة العلم، وبالعزيز إلى مرتبة المشيّة والإرادة، وبإضافة التقدير إلى العزيز العليم إلى تأخّره عن العزّ بالمشيّة والإرادة اللتين يغلب بهما على جميع الأشياء، ولا يغلبه فيهما أحد ممّا سواه.

وبتوسيط العزيز بين التقدير والعلم إلى تأخّره عن مرتبة العلم، وتقدّم مرتبة العلم عليه كتقدّمه على التقدير.

وقال بعضهم: أشار عليه السلام بقوله إلى ستّة مراتب، بعضها مترتّب على بعض:

أوّلها: العلم. لأنّه المبدأ الأوّل لجميع الأفعال الاختياريّة، فإنّ الفاعل المختار لا يصدر عنه فعل إلاّ بعد

القصد والإرادة، ولا يصدر عنه القصد والارادة إلاّ بعد تصوّر ما يدعوه إلى ذلك الميل، وتلك الإرادة والتصديق به تصديقاً جزماً أو ظنّاً راجحاً. فالعلم مبدأ مبادي الأفعال الاختياريّة. والمُراد به هنا: هو العلم الأزلي الذاتي الإلهيّ، أو القضائي المحفوظ عن التغيّر، فينبعث منه ما بعده، وأشار عليه السلام إليه بقوله: «عَلِم» أي، دائماً من غير تبدّل.

وثانيها: المشيّة. والمُراد بها: مُطلق الإرادة، سواء بلغت حدّ العزم والإجماع، أم لا. وقد تنفكّ المشيّة فينا عن الإرادة الحادثة.

وثالثها: الإرادة. وهي: العزم على الفعل، أو الترك بعد تصوّره، وتصوّر الغاية المترتّبة عليه من خير أو نفع أو لذّة. لكن الله بريء عن أن يفعل لأجل غرض يعود إلى ذاته.

ورابعها: التقدير. فإنّ الفاعل لفعل جزئي من أفراد طبيعة واحدة مشتركة إذا عزم على تكوينه في الخارج، كما إذا عزم الإنسان على بناء بيت؛ فلا بدّ قبل الشروع أن يُعيّن مكانه الذي يبني عليه، وزمانه الذي يشرع فيه، ومقداره الذي يكونه عليه من كبر أو صغر، أو طول أو عرض، وشكله ووضعه ولونه، وغير ذلك من صفاته وأحواله. وهذه كلّها داخلة في التقدير.

وخامسها: القضاء. والمُراد منه هنا: إيجاب الفعل، واقتضاء الفعل من القوّة الفاعلة المباشرة. فإنّ الشيء ما لم يجب؛ لم يوجد. وهذه القوّة الموجبة لوقوع الفعل منّا؛ هي القوّة التي تقوم في العضلة والعصب من العضو الذي توقع القوّة الفاعلة فيها قبضاً وتشنيجاً، أو بسطاً وإرخاء، أو لا، فيتبعه حركة العضو، فتتبعه صورة الفعل في الخارج من كتابة أو بناء أو غيرهما. والفرق بين هذا الإيجاب وبين وجود الفعل في العين كالفرق بين الميل الذي في المتحرّك وبين حركته، وقد ينفكّ الميل عن الحركة كما تحسّ يدك من الحجر المسكّن باليد في الهواء.

ومعنى هذا الإيجاب والميل من القوّة المحرّكة، إنّه لولا هناك اتّفاق مانع أو دافع من خارج؛ لوقعت الحركة ضرورة، إذ لم يبق من جانب الفاعل شيء منتظر.

فقوله عليه السلام: «وقضى» إشارة إلى هذا الإقتضاء والإيجاب الذي ذكرنا أنّه لابدّ من تحقّقه قبل الفعل، قبليّة بالذات لا بالزمان، إلاّ أن يدفعه دافع من خارج، وليس المُراد منه القضاء الأزلي؛ لأنّه نفس العلم، ومرتبة العلم قبل المشيّة، والإرادة، والتقدير.

وسادسها: نفس الإيجاد. وهو أيضاً متقدّم على وجود الشيء المقدّر في الخارج. ولهذا يعدّه أهل العلم والتحقيق، من المراتب السابقة على وجود الممكن في الخارج، فيقال: أوجب؛ فوجب، فأوجد؛ فوجد. ثمّ أراد عليه السلام الإشارة إلى الترتيب الذاتي بين هذه الأمور؛ لأنّ العطف بالواو سابقاً لم يفد الترتيب.

فقال عليه السلام: «فأمضى ما قضى» ولمّا لم يكن أيضاً صريحاً في الترتيب صرّح بإيراد باء السببيّة، فقال عليه السلام: «فبعلمه كانت المشيئة»، ثمّ لمّا كانت الباء أيضاً محتملة للتلبّس والمصاحبة وغيرهما؛ زاد في التصريح،

فقال عليه السلام: «والعلم متقدّم على المشيّة».

وقوله عليه السلام: «والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء» أراد به: إنّ التقدير واقع على القضاء الجزئي بإمضائه، وإيقاع مقتضاه في الخارج.

ثمّ بيّن عليه السلام أنّ البداء لايقع في العلم الأزلي، ولا في المشيّة والإرادة الأزليّتين، ولا بعد تحقّق الفعل بالإمضاء، بل لله البداء في عالم التقدير الجزئي، وفي لوح المحو والإثبات.

ثمّ أراد عليه السلام أن يُبيّن أنّ لهذه الموجودات الواقعية في الأكوان الماديّة لها ضرب من الوجود والتحقّق في عالم القضاء الإلهي قبل عالم التقدير التفصيلي.

فقال عليه السلام: «فالعلم في المعلوم» لأنّ العلم وهو صورة الشيء مجرّدة عن المادّة، نسبته إلى المعلوم به نسبة الوجود إلى المهيّة الموجودة، فكلّ علم في معلومه، بل العلم والمعلوم متّحدان بالذات، متغايران بالإعتبار، وكذلك حكم قوله عليه السلام: «والمشيّة في المشاء، والإرادة في المراد قبل قيامه» أي، قبل قيام المراد قياماً خارجيّاً.

وقوله عليه السلام: «والتقدير لهذه المعلومات» يعني، إنّ هذه الأنواع الطبيعية، والطبايع الجسمانيّة التي بيّنا موجودة في علم الله الأزلي ومشيّته وإرادته السابقتين على تقديرها وإثباتها في الألواح القدريّة والكتب السماويّة، فإنّ وجودها القدري أيضاً قبل وجودها الكوني في موادّها السفليّة عند تمام استعداداتها وحصول شرائطها ومعدّاتها، وإنّما يمكن ذلك بتعاقب أفراد وتكثّر أشخاص فيما لا يمكن استبقاؤه إلا بالنوع دون العدد، ولا يتصوّر ذلك إلا فيما يقبل التفصيل والتركيب، والتفريق والتمزيج، فأشار عليه السلام بتفصيلها إلى كثرة أفرادها الشخصيّة، وبتوصيلها إلى تركّبها من العناصر المختلفة.

وأراد بقوله عليه السلام: «عياناً، ووقتا» وجودها الخارجي الكوني الذي يدركه الحسّ الظاهري فيه عياناً.

وقوله عليه السلام: «والقضاء بالإمضاء» يعني، إنّ الذي وقع فيه إيجاب ما سبق في عالم التقدير جزئياً، أو في عالم العلم الأزليّ كليّاً بإمضائه، هو الشيء المبرم الشديد من جملة المفعولات كالجواهر العلويّة، والأشخاص الكريمة، وغير ذلك من الأمور الكونيّة التي يعتني لوجودها من قبل المبادىء العلويّة.

ثمّ شرح عليه السلام المفعولات التي تقع في عالم الكون؛ التي منها المبرم، ومنها غير المبرم، القابل للبداء قبل التحقّق، وللنسخ بعده، وبيّن أحوالها وأوصافها، فقال عليه السلام: «ذوات الأجسام» يعني، إنّ صورها الكونيّة ذوات أجسام ومقادير طويلة، عريضة، عميقة، لا كما كانت في العالم العقلي صوراً مفارقة عن المواد والأبعاد. ثمّ لم يكتف بكونها ذوات أجسام؛ لأنّ الصورة التي في عالم التقدير العلمي أيضاً ذوات أبعاد مجرّدة عن المواد، بل قيّدها بالمدركات بالحواسّ من ذوي لون وريح، وهما من الكيفيات المحسوسة.

وبقوله عليه السلام: «مادبّ ودرج» أي، قبل الحركة، وهي نفس الإنفعالات الماديّة؛ لتخرج بهذه القيود الصور المفارقة، سواء كانت عقليّة كليّة، أو إدراكية جزئية.

الإرادة

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عن صفوان بن يحيى، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله، ومن الخلق؟

ثمّ أورد عليه السلام لتوضيح ما أفاده من صفة الصور الكونيّة التي في هذا العالم الأسفل أمثلة جزئيّة بقوله عليه السلام: «من إنس، وجنّ، وطير، وسباع، وغير ذلك ممّا يُدرك بالحواسّ».

ثمّ كرّ عليه السلام راجعاً إلى ما ذكره سابقاً من أنّ البداء لا يكون إلا قبل الوقوع في الكون الخارجي، بل إنّما يقع في عالم التقدير؛ تأكيداً بقوله عليه السلام: «فلله تبارك وتعالى فيه البداء» أي، فيما من شأنه أن يُدرك بالحواسّ، ولكن عندما لم يوجد عينه الكوني، فأمّا إذا وقع؛ فلا بداء.

وقوله عليه السلام: «والله يفعل ما يشاء» أي، يفعل في عالم التكوين ما يشاء في عالم التصوير والتقدير.

ثمّ استأنف عليه السلام كلاماً في توضيح تلك المراتب بقوله عليه السلام: «فبالعلم عَلِم الأشياء» أي، علماً عامّاً، أزليّاً، ذاتيّاً، إلهيّاً، أوعقليّاً قضائياً قبل كونها في عالمي التقدير والتكوين، وبالمشيّة عرف صفاتها الكليّة، وحدودها الذاتية، وصورها العقليّة. فإنّ المشية متضمّنة للعلم بالمشيء قبل وجوده في الخارج، بل المشيّة إنشاء للشيء إنشاءً علمياً كما أنّ الفعل إنشاءٌ له إنشاءً كونياً، ولذا قال عليه السلام: «وانشاؤها قبل إظهارها» أي، في الخارج على المدارك الحسيّة. وبالإرادة ميّز أنفسها؛ لأنّ الإرادة كما مرّ: هي العزم التامّ على الفعل بواسطة صفة مرجّحة تُرجّح أصل وجوده، أو نحواً من أنحاء وجوده، فيها يتميّز الشيء في نفسه فضل تميّز لم يكن قبل الإرادة. «وبالتقدير قدّر أقواتها» لأنّه قد مرّ أنّ التقدير عبارة عن تصوير الأشياء المعلومة أوّلاً على الوجه العقلي الكلّي، جزئية مقدّرة بأقدار معيّنة، متشكّلة بأشكال وهيئات شخصيّة، مقارنة لأوقات مخصوصة على الوجه الذي يظهر في الخارج قبل إظهارها وإيجادها.

قوله عليه السلام: «وبالقضاء» وهو إيجابه تعالى لوجودها الكوني. «أبان للناس أماكنها، ودلّهم عليها» لأنّ الأمكنة، والجهات، والأوضاع ممّا لا يمكن ظهورها على الحواسّ البشريّة الا عند حصولها الخارجي في موادّها الكونيّة الوضعيّة، وذلك لا يكون إلا بالإيجاب، والإيجاد الذين عبّر عليه السلام عنهما بالقضاء والإمضاء، كما قال عليه السلام: «وبالإمضاء» وهو ايجادها في الخارج«شرح» أي، فصّل عللها الكوني: «وأبان أمرها» أي، أظهر وجودها على الحواسّ الظاهرة.

«وذلك تقدير العزيز العليم» أي، وذلك الشرح، والتفصيل، والإبانة، والإظهار صورة تقدير الله العزيز الذي عَلِم الأشياء قبل تقديرها في لوح القدر، وقبل تكوينها في مادّة الكون. راجع مرآة العقول: ج٣ ص١٤٢.

فقال عليه السلام: الإرادة من الخلق: الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله تعالى؛ فإرادته: إحداثه لا غير ذلك؛ لأنّه لا يروي[١]، ولا يهمّ، ولا يتفكّر. وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي صفات الخلق، فإرادة الله؛ الفعل لا غير ذلك، يقول له: كُن فيكون، بلا لفظ، ولا نطق بلسان، ولا همّة، ولا تفكّر، ولا كيف لذلك كما أنّه لا كيف له.[٢]

لفظ الجلالة

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد الرقّي، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: سُئل عن معنى الله؟

فقال عليه السلام: استولى على ما دقّ وجل.[٣]

الأسماء والصفات

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: عليّ بن إبراهيم، عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني ومحمد بن الحسن، عن عبد الله بن الحسن العلوي، جميعاً، عن الفتح ابن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، الواحد الأحد، الصمد، لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولو كان كما يقول المشبّهة لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنّه المنشئ، فرق بين من جسّمه وصوّره

---

١. رويت في الأمر: نظرت، وفكّرت.

٢. الكافي: ج١ ص١٠٩، باب الإرادة أنّها من صفات الفعل، ح٣.

٣. الكافي: ج١ ص١١٤، باب معاني الأسماء واشتقاقها، ح٣.

وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبه هو شيئاً.

قلت: أجل جلعني الله فداك، لكنّك قلت: الأحد الصمد، وقلت: لا يشبهه شيء، والله واحد، والإنسان واحد، أليس قد تشابهت الوحدانيّة؟

قال عليه السلام: يا فتح أحلت[١]، ثبّتك الله؛ إنّما التشبيه في المعاني، فأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دالّة على المسمّى، وذلك أنّ الإنسان وإن قيل: واحد، فإنّه يُخبر بأنّه جثّة واحدة، وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد؛ لأنّ أعضاءه مختلفة، وألوانه مختلفة. ومَن ألوانه مختلفة؛ غير واحد، وهو أجزاء مُجزّأة، ليست بسواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق.

فالإنسان واحد في الإسم، ولا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله واحد، لا واحد غيره، لا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا زيادة ولا نقصان. فأمّا الإنسان المخلوق، المصنوع، المؤلّف من أجزاء مختلفة، وجواهر شتّى، غير أنّه بالإجتماع؛ شيء واحد.

قلت: جُعلت فداك، فرّجت عنّي، فرّج الله عنك، فقولك: اللطيف الخبير. فسّره لي كما فسّرت الواحد؛ فإنّي أعلم أنّ لطفه على خلاف لطف خلقه للفصل[٢]، غير أنّي أُحب أن تشرح ذلك لي.

فقال عليه السلام: يا فتح، إنّما قلنا: اللطيف؛ للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف. أو لا ترى، وفّقك الله، وثبّتك، إلى أثر صنعه في النبات اللطيف، وغير اللطيف، ومن الخلق اللطيف، ومن الحيوان الصغار، ومن البعوض، والجرجس[٣]، وما هو

١. أي، أتيت بالمحال.

٢. أي، للفرق الظاهر بينه وبين الخلق.

٣. الجرجس ـ بكسر المعجمتين ـ : البعوض الصغار. فهو من قبيل عطف الخاصّ عل العامّ.

أصغر منها، ما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأُنثى، والحدث المولود من القديم، فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه، واهتدائه للسفاد[١]، والهرب من الموت، والجمع لما يُصلحه، وما في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار، والمفاوز والقفار، وإفهام بعضها عن بعض؛ منطقها، وما يفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثمّ تأليف ألوانها حمرة مع صفرة، وبياض مع حمرة، وإنّه ما لا تكاد عيوننا تستبينه؛ لدمامة خلقها[٢]؛ لا تراه عيوننا، ولا تلمسه أيدينا؛ علمنا أنّ خالق هذا الخلق لطيف، لطف بخلق ما سمّيناه، بلا علاج، ولا أداة، ولا آلة. وأنّ كلّ صانع شيء؛ فمِن شيء صنع، والله الخالق، اللطيف، الجليل، خلق وصنع لا من شيء.[٣]

مقولة النزول

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: عن محمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن إسماعيل البرمكي، عن علي بن عبّاس الخراذيني، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: ذكر عنده عليه السلام قوم يزعمون: إنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا.

فقال عليه السلام: إنّ الله لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنّما منظره[٤] في القرب والبُعد سواء، لم يبُعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شيء، بل يُحتاج إليه، وهو ذو الطول، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

---

١. السفاد: نزو ذكر الحيوان، والسباع على الأُنثى.

٢. الدميم: الحقير، وقيل: القصير.

٣. الكافي: ج١ ص١١٨، الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله وأسماء المخلوقين، ح١.

٤. منظره: نظره، وعلمه، وإحاطته؛ هذا إذا كان مصدراً ميمياً، وما ينظر إليه في القرب والبعد منه؛ سواء.

أمّا قول الواصفين: إنّه ينزل تبارك وتعالى. فإنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص، أو زيادة. وكلّ مُتحرك مُحتاج إلى من يُحرّكه، أو يتحرّك به. فمن ظنّ بالله الظنون؛ هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرّك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود؛ فإنّ الله ﷻ عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين، وتوهّم المتوهّمين. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[١].[٢]

كن فيكون

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر، عنه ﷺ قال: لا أقول: إنّه قائم؛ فأُزيله عن مكانه، ولا أحدّه بمكان يكون فيه، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم، ولكن كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[٣]. بمشيئته من غير تردّد في نفس، صمداً فرداً، لم يحتج إلى شريك يذكر له ملكه، ولا يفتح له أبواب علمه.[٤]

الكيفوفيّة والأينونيّة

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: علي بن إبراهيم، عن المختار بن محمد بن المختار، ومحمد بن الحسن، عن عبد الله بن الحسن العلوي، جميعاً عن

---

١. سورة الشعراء، الآية: ٢١٧ـ٢١٩.

٢. الكافي: ج١ ص١٢٥، باب الحركة والإنتقال، ح١.

٣. سورة البقرة، الآية: ١١٧، وسورة آل عمران، الآية: ٤٧، وسورة الأنعام، الآية: ٧٣، وسورة النحل، الآية: ٤٠، وسورة مريم، الآية: ٣٥، وسورة يس، الآية: ٨٢، وسورة غافر، الآية: ٦٨.

٤. الكافي: ج١ ص١٢٥، باب الحركة والإنتقال، ح٢.

الفتح بن يزيد الجرجاني، قال: ضمّني وأبا الحسن عليه السلام الطريق في منصرفي من مكّة إلى خراسان، وهو عليه السلام سائر إلى العراق، فسمعته يقول: من اتّقى الله؛ يُتّقى، ومن أطاع الله؛ يُطاع. فتلطّفت في الوصول إليه فوصلت، فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام.

ثمّ قال عليه السلام: يا فتح، من أرضى الخالق؛ لم يُبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق؛ فقمن[1] أن يُسلّط الله عليه سخط المخلوق. وإنّ الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه.

أنّى يوصف الذي تعجز الحواسّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخاطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا وصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون. نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه؛ قريب، وفي قربه؛ بعيد، كيّف الكيف، فلا يُقال: كيف. وأيّن الأين، فلا يُقال: أين. إذ هو منقطع الكيفوفيّة، والأينونيّة.[2]

كذلك يوصف ربّنا

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: عن فتح بن عبد الله، مولى بني هاشم، قال: كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد، فكتب إلي:

الحمد لله المُلهم عباده حمده... وقمع وجوده جوائل[3] الأوهام... أوّل الديانة به؛ معرفته، وكمال معرفته؛ توحيده. وكمال توحيده؛ نفي الصفات عنه بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة، وشهادتهما

---

١. قمن: الخليق والجدير.

٢. الكافي: ج١ ص١٣٧، باب جوامع التوحيد، ح٣.

٣. جوائل ـ مفردها جول ـ: ما يطوف في الفكر.

جميعاً بالتثنية. الممتنع منه الأزل، فمن وصف الله؛ فقد حدّه، ومن حدّه؛ فقد عدّه، ومن عدّه؛ فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: علام؟ فقد جهله، ومن قال: أين؟ فقد أخلى منه، ومن قال: ما هو؟ فقد نعته، ومن قال: إلام؟ فقد غاياه.

عالم إذ لا معلوم، وخالق إذ لا مخلوق، وربّ إذ لا مربوب، وكذلك يوصف ربّنا، وفوق ما يصفه الواصفون.[١]

لوازم الإمكان

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن خالد، عن زكريا بن عمران، عنه عليه السلام، قال: لا يكون شيء في السماوات والأرض إلا بسبع: بقضاء، وقدر، وإرادة، ومشيئة، وكتاب، وأجل، وإذن، فمن زعم غير هذا؛ فقد كذّب على الله، أو ردّ على الله.[٢]

---

١. الكافي: ج١ ص١٤٠، باب جوامع التوحيد، ح٦.

٢. الكافي: ج١ ص١٤٩، في أنّه لا يكون شيء في السماء والأرض إلا بسبعة، ح٢.

قال العلامة الحلّي في شرحه على التجريد: يُطلق القضاء: على الخلق والإتمام. قال الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ سورة فصّلت، الآية: ١٢. أي، خلقهن وأتمّهن. وعلى الحكم، والإيجاب. كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ سورة الإسراء، الآية: ٢٣. أي، أوجب، وألزم. وعلى الإعلام، والإخبار. كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ سورة الإسراء، الآية: ٤. أي، أعلمناهم، وأخبرناهم.

ويُطلق القدر: على الخلق. كقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ سورة فصّلت، الآية: ١٠. والكتابة. كقول الشاعر:

واعلم بأنّ ذا الجلال قدّ قدّر ... في الصحف الأولى التي كان سطر

والبيان. كقوله تعالى: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ سورة النمل، الآية: ٥٧. أي، بيّنا، وأخبرنا بذلك.
إذا ظهر هذا؛ فنقول للأشعري: ما تعني بقولك: إنّه تعالى قضى أعمال العباد، وقدّرها!؟

إن أردت به: الخلق، والإيجاد. فقد بيّنا بطلانه، وإنّ الأفعال مستندة إلينا. وإن عني به: الإلزام. لم يصحّ إلا في الواجب خاصّة. وإن عني به: إنّه تعالى بيّنها، وكتبها، وعلم أنّهم سيفعلونها. فهو صحيح؛ لأنّه تعالى قد كتب ذلك أجمع في اللوح المحفوظ، وبيّنه لملائكته. وهذا المعنى الأخير هو المتعيّن؛ للإجماع على وجوب الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، ولا يجوز الرضا بالكفر، وغيره من القبائح، ولا ينفعهم الإعتذار بوجوب الرضا به من حيث أنّه فعله.

وعدم الرضا من حيث الكسب؛ لبطلان الكسب أولاً.

وثانيا نقول: إن كان الكفر كسباً بقضائه تعالى وقدره؛ وجب الرضا به من حيث هو كسب؛ وهو خلاف قولكم، وإن لم يكن بقضاء وقدر؛ بطل إسناد الكائنات بأجمعها إلى القضاء والقدر. راجع كشف المُراد: ص٣٤١، المسألة: ٨، في القضاء والقدر.

وقال العلامة المجلسي في المرآة:

قال السيّد المرتضى في كتاب الغرر والدرر: إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ سورة يونس، الآية: ١٠٠.

فظاهر الكلام يدلّ على أنّ الإيمان إنّما كان لهم فعله بإذنه وأمره. وليس هذا مذهبكم، فإن حُمل الإذن ههنا على الإرادة؛ اقتضى أنّه مَن لم يقع منه الإيمان؛ لم يرده الله منه. وهذا أيضاً بخلاف قولكم: ثمّ جعل الرجس ـ الذي هو العذاب ـ على الذين لا يعقلون. ومَن كان فاقداً عقله، لا يكون مكلّفاً، فكيف يستحقّ العذاب، وهذا بالضدّ من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله إنّه قال: أكثر أهل الجنّة البُله.

يُقال له: في قوله ـ تعالى ـ : ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وجوه:

منها: أن يكون الإذن: الأمر. ويكون معنى الكلام، إنّ الإيمان لا يقع من أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه، ويأمر به. ولا يكون معناه ما ظنّه السائل من أنّه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه. ويجري هذا المجرى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

ومعلوم أنّ معنى قوله: ليس لها في هذه الآية. هو ما ذكرناه، وإن كان الأشبه في الآية التي فيها ذكر الموت، أن يكون المراد بالإذن: العلم.

ومنها: أن يكون هو التوفيق، والتيسّير، والتسهيل. ولا شبهة في أنّ الله تعالى، يوفّق لفعل الإيمان، ويلطف فيه، ويُسهّل السبيل إليه.

ومنها: أن يكون الإذن: العلم. من قولهم: أذنت لكذا، وكذا. إذا سمعته وعلمته. وآذنت فلاناً بكذا، وكذا. إذا أعلمته. فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات، وأنّه ممّن لا تخفى عليه الخفيّات.

وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإذن ـ بكسر الألف، وتسكين الذال ـ : عبارة عن العلم.

عِقد الكينونة

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: علي بن محمد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن علي بن إبراهيم

وزعم أنّ الذي هو العلم: الأذن ـ بالتحريك ـ واستشهد بقول الشاعر: «إن همّي في سماع وأذن» وليس الأمر على ما توهّمه هذا المتوهّم؛ لأنّ الأذن: هو المصدر، والأذن: هو اسم الفعل، ويجري مجرى الحذر في أنّه مصدر، والحذر ـ بالتسكين ـ الإسم على أنّه لو لم يكن مسموعاً إلا الأذَن ـ بالتحريك ـ لجاز التسكين، مثل: مَثَل ومثل، وشَبَه وشبه، ونظائر ذلك كثيرة.

ومنها: أن يكون الإذن: العلم. ومعناه: إعلام الله المكلّفين بفضل الإيمان، وما يدعو إلى فعله؛ فيكون معنى الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾ إلا بإعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الإيمان، ويدعوها إلى فعله. فأمّا ظنّ السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ، فباطل؛ لأنّ الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهّمه؛ لأنّه إذا قال: إنّ الإيمان لم يقع إلا وأنا مُريد له. لم ينف أن يكون مُريداً لما لم يقع. وليس في صريح الكلام، ولا في دليله شيء من ذلك.

فأمّا قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾. فلم يعن به الناقصي العقول، وإنّما أراد تعالى: الذين لا يعقلون، ولا يعلمون ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى، والإعتراف بنبوّة رسله عليهم السلام، والإنقياد إلى طاعتهم، وصفهم: بأنّهم لا يعقلون؛ تشبيهاً، كما قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٨.

وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأمور، أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بـ : الجنون، وفقد العقل. فأمّا الحديث الذي أورده السائل شاهداً له، فقد قيل فيه: إنّه صلى الله عليه وآله لم يرد بـ«البله»: ذوي الغفلة، والنقص، والجنون. وإنّما أراد صلى الله عليه وآله: البله عن الشرّ، والقبيح. وسمّاهم: بلهاً عن ذلك. من حيث لا يستعملونه، ولا يعتادونه، لا من حيث فقد العلم به. ووجه تشبيه من هذه حالته بـ«الأبله» ظاهر. مرآة العقول: ج٢ ص١٥٣.

أقول: روى ورّام بن أبي فراس في: عن الصادق عليه السلام في معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: دخلت الجنّة؛ فرأيت أكثر أهلها البُله.

قال: قلت: ما الأبله؟

قال عليه السلام: العاقل في الخير، والغافل في الشر، الذي يصوم في كل شهر ثلاثة أيام. راجع تنبيه الخواطر ونَزهة النواظر: ج١ ص٣٠٩، في صفة المُسائلة.

الهاشمي، قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول:

لا يكون شيء إلا ما شاء الله، وأراد، وقدّر، وقضى.

قلت: ما معنى: شاء؟

قال عليه السلام: ابتداء الفعل.

قلت: ما معنى: قدّر؟

قال عليه السلام: تقدير الشيء من طوله، وعرضه.

قلت: ما معنى: قضى؟

قال عليه السلام: إذا قضى؛ أمضاه. فذلك الذي لا مردّ له.[1]

بين المشيئة والإرادة

روى الكليني في أُصول الكافي، بسنده: عنه عليه السلام، قال: إنّ لله إرادتين، ومشيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم؛ ينهي؛ وهو يشاء، ويأمر؛ وهو لا يشاء؛ أوَ ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة، وشاء ذلك؛ ولو لم يشأ أن يأكلا، لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى. وأمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى.[2]

---

١. الكافي: ج١ ص١٥٠، باب المشيئة والإرادة، ح١.

٢. الكافي: ج١ ص١٥١، باب المشيئة والإرادة، ح٤.

في هامش هذا الخبر، وضمن تعليقه على أُصول الكافي، قال العلامة السيّد الطباطبائي:

للمشيئة والإرادة إنقسام إلى: الإرادة التكوينيّة الحقيقيّة، والإرادة التشريعيّة الإعتباريّة. فإنّ إرادة الإنسان التي تتعلّق بفعل نفسه؛ نسبة حقيقيّة تكوينيّة تؤثّر في الإعضاء الإنبعاث إلى الفعل، ويستحيل معها تخلّفها عن المطاوعة، إلا لمانع. وأمّا الإرادة التى تتعلّق منّا بفعل الغير، كما إذا أمرنا بشئ أو نهينا عن شئ؛ فإنّها إرداة بحسب الوضع والإعتبار، لا تتعلّق بفعل الغير تكوينيّاً، فإنّ إرادة كلّ شخص إنّما تتعلّق بفعل نفسه من طريق الإعضاء، والعضلات؛ ومن هنا كانت إرادة الفعل أو الترك من الغير لا

تؤثّر في الفعل بالإيجاد والإعدام، بل تتوقّف على الإرادة التكوينيّة من الغير بفعل نفسه، حتّى يوجد أو يترك عن اختيار فاعله لا عن اختيار آمره وناهيه. إذا عرفت ذلك علمت أنّ الإرادتين يُمكن أن تختلفا من غير ملازمة، كما أنّ المعتاد بفعل القبيح ربّما ينهي نفسه عن الفعل بالتلقين، وهو يفعل من جهة إلزام ملكته الرذيلة الراسخة، فهو يشاء الفعل بإرادة تكوينيّة، ولا يشاؤه بإرادة تشريعيّة، ولا يقع إلا ما تعلّقت به الإرادة التكوينيّة.

والإرادة التكوينيّة هي التي يُسمّيهاﷺ بـ : إرادة حتم. والتشريعيّة هي التي يُسمّيهاﷺ بـ : إرادة عزم.

وإرادته تعالى التكوينيّة تتعلّق بالشيء من حيث هو موجود، ولا موجود إلا وله نسبة الإيجاد إليه تعالى بوجوده بنحو يليق بساحة قُدسه تعالى. وإرادته التشريعية تتعلّق بالفعل من حيث أنّه حسن وصالح، غير القبيح الفاسد، فإذا تحقّق فعل موجود قبيح؛ كان منسوباً إليه تعالى من حيث الإرادة التكوينيّة بوجه، ولو لم يرده، لم يوجد، ولم يكن منسوباً إليه تعالى من حيث الإرادة التشريعية؛ فإن الله لا يأمر بالفحشاء.

فقولهﷺ: إنّ الله نهى آدمﷺ عن الأكل، وشاء ذلك. وأمر إبراهيمﷺ بالذبح، ولم يشأه.

أراد بالأمر والنهي: التشريعيين منهما، وبالمشيئة وعدمها: التكوينيين منهما.

واعلم؛ إنّ الرواية مشتملة على كون المأمور بالذبح إسحاق دون إسماعيل؛ وهو خلاف ما تظافرت عليه أخبار الشيعة.

فصل في

بعض معجزاته وكراماته عليه السلام

ظننت أنّك أنسيته

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: عن عيسى المدائني، قال: خرجت سنة إلى مكة فأقمت بها، ثم قلت: أقيم بالمدينة مثل ما أقمت بمكّة فهو أعظم لثوابي؛ فقدمت المدينة فنزلت طرف المصلّى إلى جنب دار أبي ذر، فجعلت أختلف إلى سيّدي ـ موسى بن جعفر عليهما السلام ـ فأصابنا مطر شديد بالمدينة، فأتينا أبا الحسن عليه السلام يوماً، فسلمنا عليه، وأنّ السماء تهطل[1].

فلمّا دخلت، ابتدأني فقال لي: وعليك السلام يا عيسى، إرجع؛ فقد انهدم بيتك على متاعك. فانصرفت؛ فإذا البيت قد انهدم على المتاع، فأكتريت قوماً يكشفون عن متاعيّ، فاستخرجته، فما ذهب لي شيء، ولا افتقدته، غير سطل كان لي.

فلمّا أتيته من الغد مُسلّماً عليه، قال عليه السلام: هل فقدت شيئاً من متاعك؛ فندعو الله لك بالخلف؟

فقلت: ما فقدت شيئاً غير سطل كان لي أتوضأ فيه، فقدته. فأطرق عليه السلام مليّاً، ثمّ رفع رأسه إليّ فقال لي: قد ظننت أنّك أنسيته، فسل جارية ربّ الدار، وقل لها: أنت رفعت السطل، فرُدّيه، فإنّها ستردّه عليك.

فلمّا انصرفت أتيت جارية ربّ الدار، فقلت لها: إنّي أنسيت سطلاً في الخلاء ودخلتِ، فأخذتيه، فردّيه أتوضّأ فيه. قال: فردّته.[2]

---

١. هطل المطر: نزل متتابعاً، متفرّقاً، عظيم القطر.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٤١.

آجرك الله في أبيك

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: بيان بن نافع التفليسي، قال: خلّفت والدي مع الحرم في الموسم، وقصدت موسى بن جعفر عليهما السلام، فلمّا أن قربت منه، هممت بالسلام عليه، فأقبل بوجهه عليّ، وقال: برّ حجّك يا بن نافع، آجرك الله في أبيك؛ فإنّه قد قبضه إليه فيه هذه الساعة، فارجع فخُذ في جهازه. فبقيت متحيّراً عند قوله عليه السلام، وقد كنت خلّفته وما به علّة.

فقال عليه السلام: يا بن نافع، أفلا تؤمن؟ فرجعت؛ فإذا أنا بالجواري يلطمن خدودهنّ. فقلت: ما ورائكنّ؟ قُلن: أبوك فارق الدنيا... الخ.[1]

أعظم الله أجرك في أخيك

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: عن علي بن أبي حمزة، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام جالساً إذ أتاه رجل من الري، يُقال له: جُندب. فسلّم عليه، ثمّ جلس، فسأل أبا الحسن عليه السلام، فأكثر السؤال، ثمّ قال عليه السلام له: يا جُندب، ما فعل أخوك؟ فقال: الخير، وهو يُقرئُك السلام. فقال عليه السلام له: أعظم الله أجرك في أخيك. فقال له: ورد إليّ كتابه من الكوفة لثلاثة عشر يوماً بالسلامة!

فقال عليه السلام له: يا جُندب، والله، مات بعد كتابه إليك بيومين، ودفع إلى امرأته مالاً، وقال لها: ليكن هذا المال عندك، فإذا قدم أخي، فادفعيه إليه، وقد أودعته في الأرض في البيت الذي كان يسكنه، فإذا أنت أتيتها، فتلطّف لها، وأطمعها في نفسك؛ فإنّها ستدفعه إليك.

قال علي ـ بن أبي حمزة ـ: وكان جُندب رجلاً جميلاً. وقال: فلقيت جُندباً

---

١. المناقب: ج٣ ص٤٠٦.

بعدما فُقد أبو الحسن عليه السلام، فسألته عمّا قال أبو الحسن عليه السلام، فقال: يا علي، صدق والله، سيّدي، وما زاد ولا نقص، لا في الكتاب، ولا في المال.[1]

تحوّل عن منزلك

روى الحميري في قُرب الإسناد، قال: عن الحسن بن علي بن النعمان، عن عثمان بن عيسى، عن إبراهيم بن عبد الحميد، قال: كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام: تحوّل عن منزلك. قال عثمان بن عيسى: فاغتمّ ـ إبراهيم بن عبد الحميد ـ بذلك، وكان منزله منزلاً وسطاً بين المسجد ـ يعني، مسجد النبي صلى الله عليه وآله ـ والسوق، فلم يتحوّل، فعاد إليه الرسول: تحوّل عن منزلك. فبقي ـ ولم يتحوّل ـ ثمّ عاد إليه الثالثة: تحوّل عن منزلك.

فذهب وطلب منزلاً: قال عثمان بن عيسى: وكنت في المسجد، ولم يجيء إلى المسجد إلا عتمة، فقلت له: ما خلّفك؟ فقال: ما تدري ما اصابني اليوم؟ قلت: لا، قال: ذهبت أستقي الماء من البئر لأتوّضا فخرج الدلو مملوءاً خُرءاً وقد عجنا وخبزنا بذلك الماء.

فطرحنا خبزنا وغسّلنا ثيابنا، فشغلني عن المجيء، ونقلت متاعي إلى البيت الذي اكتريته، فليس بالمنزل إلا الجارية، الساعة أنصرف وآخذ بيدها. فقلت: بارك الله لك. ثمّ افترقنا، فلمّا كان سحراً، خرجنا إلى المسجد، فجاء، فقال: ما ترون ما حدث في هذه الليلة!؟

قلت: لا. قال: سقط والله، منزلي السفليّ والعلوي.[2]

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٤١.

٢. قُرب الإسناد: ص٣٣٧ رقم١٢٤١.

علم المنايا والبلايا

روى الطبري في دلائل الإمامة، بسنده: عن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت العبد الصالح عليه السلام ينعي إلى رجل نفسه، قلت في نفسي: إنّه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته! فالتفت إلي شبه المغضب، فقال: يا إسحاق! كان رشيد الهجري من المستضعفين، وكان يعلم علم المنايا والبلايا، والحجّة أولى بعلم ذلك. ثمّ قال: يا إسحاق! إصنع ما أنت صانع، عمرك قد فُني، وأنت تموت إلى سنتين، وأخوك، وأهل بيتك لا يلبثون إلا يسيراً حتّى تفترق كلمتهم، ويخون بعضهم بعضاً.

قال إسحاق: فقلت: إنّي استغفر الله ممّا عرض في صدري.

قال سيف: فلم يلبث إسحاق بن عمّار إلا يسيراً حتّى مات، وما ذهبت الأيام حتّى أفلس ولد عمّار، وقاموا بأموال الناس.[١]

وقد آمنتم الجراد

روى الحميري في قرب الإسناد، قال: الحسن بن علي بن النعمان، عن عثمان بن عيسى قال: قال أبو الحسن عليه السلام لإبراهيم بن عبد الحميد وهو ذاهب إلى قبا، وأبو الحسن عليه السلام داخل إلى المدينة: يا إبراهيم قال: لبيك، قال عليه السلام: إلى أين؟ قال: إلى قبا، فقال عليه السلام: في أيّ شيء؟ فقال: إنّا كنّا نشتري في كل سنة هذا التمر فأردت أن آتي رجلاً من الأنصار فأشتري منه من التمار، فقال عليه السلام: وقد آمنتم الجراد؟

[قال عثمان بن عيسى: قال إبراهيم]: فدخل عليه السلام ـ المدينة ـ، ومضيت أنا

---

١. دلائل الإمامة: ص٣٢٥ رقم٢١، أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام.

فأخبرت أبا العز، فقال: لا والله لا أشتري العام نخلة.

فما مرّة بنا خامسة حتى بعث الله جراداً فأكل عامة ما في النخل.[١]

إنّ في عمرها قلّة

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: قال هشام بن الحكم: أردت شراء جارية بمنى؛ وكتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أُشاوره، فلم يرد عليّ جواباً، فلمّا كان الطواف؛ مرّ بي يرمي الجمار على حمار، فنظر إلي وإلى الجارية من بين الجواري، ثمّ أتاني كتابه عليه السلام: لا أرى بشرائها بأساً إن لم يكن في عمرها قلّة!

قلت: لا والله، ما قال لي هذا الحرف إلا وههنا شيء، لا والله لا أشتريها، قال: فما خرجت من مكّة حتى دفنت.[٢]

قضى الله حاجتك

روى الحميري في قُرب الإسناد، قال: أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي الوشا، قال: حججت أيام خالي إسماعيل بن إلياس، فكتبنا إلى أبي الحسن الأول عليه السلام، وكتب خالي: إنّ لي بنات، وليس لي ذَكَر، وقد قلّ رجالنا، وقد خلّفت امرأتي وهي حامل، فادعو الله أن يجعله غلاماً، وسمّه. فوقّع في الكتاب: قد قضى الله سبحانه وتعالى حاجتك، وسمّه محمداً. فقدمنا الكوفة وقد وُلد لي غلام قبل دخول الكوفة بستّة أيّام، ودخلنا يوم سابعه، فقال أبو محمد: هو والله اليوم رجل له أولاد.[٣]

---

١. العوالم: ج٢١ ص١٠٣ ح١٠ وقرب الإسناد: ص١٤٥.

٢. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٤٣.

٣. قُرب الإسناد: ص٣٣١ رقم١٢٣١.

ستأتيكم ريح سوداء

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: حدّث إسماعيل بن موسى، قال: كنّا مع أبي الحسن عليه السلام في عمرة، فنزلنا بعض قصور الأمراء، وأُمر بالرحيل، فشُدّت المحامل، وركب بعض الغلمان، وكان أبو الحسن عليه السلام في بيت، فخرج فقام على بابه، فقال: حُطّوا! حُطّوا! قال إسماعيل: وهل ترى شيئاً!؟

فقال عليه السلام إنّه ستأتيكم ريح سوداء مظلمة تطرح بعض الإبل. فحطّوا، وجاءت ريح سوداء.

قال إسماعيل بن موسى: فاشهد لقد رأيت جملاً كان لي عليه كنيسة[1] كنت أركب فيها أنا، وأحمد أخي، ولقد قام ثمّ سقط على جنبه بالكنيسة.[2]

الحاجتك الى الدرّاعة

روى الراوندي في الخرائج والجرائح، قال: روى إبراهيم بن الحسن بن راشد، عن علي بن يقطين، قال: كنت واقفاً عند هارون الـ ... إذ جاءت هدايا ملك الروم، وكان فيها دراعة ديباج سوداء، لم أر أحسن منها، فرآني أنظر إليها؛ فوهبها لي، وبعثتها الى أبي إبراهيم عليه السلام ومضيت عليها تسعة أشهر.

فانصرفت يوماً من عند هارون، بعد أن تغدّيت بين يديه. فلمّا دخلت داري، قام إليّ خادمي الذي يأخذ ثيابي، بمنديل على يده، وكتاب لطيف خاتمه رَطِب، وقال: أتاني رجل بهذه الساعة، فقال: أوصله إلى مولاك ساعة يدخل.

---

١. الكنيسة: شيء يُغرز في المحمل والرحل، ويلقى عليه ثوب يستظل به الراكب ويستتر به. مجمع البحرين للطريحي: ج٤ ص١٠٠ «مادّة كنس».

٢. كشف الغمة: ج٢ ص٢٤٣.

قال علي بن يقطين: ففضضت الكتاب؛ فإذا فيه: يا علي، هذا وقت حاجتك الى الدرّاعة! فكشفت طرف المنديل عنها ورأيتها، وعرفتها.

ودخل عليّ خادم لهارون بغير إذن، فقال: أجب أمير الـ ..... قلت: أيّ شيء حدث؟! قال: لا أدري. فركبت ودخلت عليه، وعنده عمر بن بزيع واقفاً بين يديه، قال: ما فعلت بالدرّاعة التي وهبتها لك؟ فقلت: خُلع أمير الـ ... عليّ كثيرة، من دراريع وغيرها، فعن أيّها تسألني!؟ قال: درّاعة الديباج السوداء الروميّة المُذهّبة.

قلت: ما عسى أن أصنع بها، ألبسها في أوقات، وأُصلّي فيها ركعات، وقد كنت دعوت بها عند منصرفي من دار أمير الـ ... الساعة لألبسها.

فنظر إلي عمر بن بزيع، فقال: قُل له ليرسل حتّى يُحضرنها.

فأرسلت خادمي، حتّى جاء بها.

فلمّا رأها؛ قال: يا عمر، ما ينبغي أن نقبل على علي بعدها شيئاً.

قال: فأمر لي بخمسين ألف درهم، حُملت مع الدرّاعة إلى داري.

قال علي بن يقطين: وكان الساعي ابن عمّ لي؛ فسوّد الله وجهه، وكذّبه، والحمد لله.[1]

فأخرجعليه السلام ديناري

روى الإربلي في كشف الغمّة، بسنده: عن الأصبغ بن موسى، قال: بعث معي رجل من أصحابنا إلى أبي إبراهيمعليه السلام بمائة دينار، وكانت معي بضاعة لنفسي، وبضاعة له؛ فلمّا دخلت المدينة صببتُ عليّ الماء، وغسلت بضاعتي، وبضاعة

---

١. الخرائج والجرائح: ج٢ ص٦٥٦ ح٩.

الرجل، وذررت عليها مسكاً، ثمّ إنّي عددت بضاعة الرجل؛ فوجدتها تسعة وتسعين ديناراً، فأعدت عدّها، وهي كذلك، فأخذت دينار آخر لي، فغسلته، وذررت عليه المسك، وأعدتها في صُرّة كما كانت، ودخلت عليه عليه السلام في الليل، فقلت له عليه السلام: جُعلت فداك، إنّ معي شيئاً أتقرّب به إلى الله تعالى.

فقال عليه السلام: هات. فناولته دنانيري، وقلت له: جُعلت فدا ك، إنّ فلاناً مولاك بعث إليك معي بشيء.

فقال عليه السلام: هات. فناولته الصُرّة، قال عليه السلام: صبّها. فصببتها، فنثرها بيده، وأخرج ديناري، ثمّ قال عليه السلام: إنّما بعث إلينا وزناً لا عدداً.[1]

إختياره عليه السلام لأُمّ الرضا عليها السلام

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: وروى هشام بن أحمر: إنّه ورد تاجر من المغرب ومعه جوار، فعرضهّن على أبي الحسن عليه السلام، فلم يختر منهنّ، وقال عليه السلام: أرنا. فقال: عندي أُخرى وهي مريضة. فقال عليه السلام: ما عليك أن تعرضها؟! فأبى! فانصرف عليه السلام، ثمّ أنّه عليه السلام أرسلني من الغد إليه، وقال: قل له: كم غايتك فيها؟ فقال ـ التاجر ـ : ما أنقصها من كذا، وكذا. فقلت: قد أخذتها، وهو ـ أي، المبلغ ـ لك. فقال: وهي لك. ولكن من الرجل!؟ فقلته: رجل من بني هاشم. فقال: من أي بني هاشم؟ فقلت: ما عندي أكثر من هذا.

فقال: أُخبرك عن هذه الوصيفة: إنّي اشتريتها من أقصى المغرب، فلقيتني امرأة من أهل الكتاب، فقالت: ما هذه الوصيفة معك!؟ فقلت: اشتريتها لنفسي. فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه عند مثلك، إنّ هذه الجارية ينبغي أن تكون عن

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٤٤.

خير أهل الأرض، ولا تلبث عنده إلا قليلاً حتى تلد منه غلاماً؛ ما يولـد بـشرق الأرض ولا غربها مثله، يدين له شرق الأرض وغربها. قال ـ هشام ـ: فأتيته عليه السلام بها، فلم تلبث إلا قليلاً حتى ولدت علياً الرضا عليه السلام.[۱]

لا يرى بيت الله أبداً

روى الحميري في قُرب الإسناد، قال: عن موسى بن جعفـر البغـدادي، عـن الوشا، عن علي بن أبي حمزة، قال: سـمعت أبـا الحـسن عليه السلام يقـول: لا والله، لا يرى أبو جعفر ـ الدوانيقي ـ بيت الله أبداً. فقدمت الكوفـة، فـأخبرت أصـحابنا بذلك.

فلم يلبث ـ الدوانيقي ـ أن خرج، فلمّا بلغ الكوفة، قال لي أصحابنا في ذلك، فقلت: لا والله، لا يرى بيت الله أبداً. فلمّا صار إلى البستان، اجتمعوا أيضاً إلـيّ، وقالوا: بقي بعد هذا شيء؟! فقلت: لا والله، لا يرى بيت الله أبداً. فلمّا نـزل بئـر ميمون، أتيت أبا الحسن عليه السلام؛ فوجدته قد سجد، وأطال السجود، ثمّ رفـع رأسـه اليّ، فقال: أُخرج فانظر ما يقول الناس. فخرجت؛ فـسمعت الواعيـة علـى أبـي جعفر ـ الدوانيقي ـ فرجعت فأخبرته، فقال عليه السلام: الله أكبر! ما كان ليرى بيت الله.[۲]

متى يكون أجلي؟

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: عن أبـي الحـسن الرضـا عليه السلام، قـال أبـي، موسى بن جعفر عليهما السلام لعلي بن أبي حمزة: إنّك لتلقى رجـلاً مـن أهـل المغـرب؛ يسألك عنّي، فقل: هو الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله الـصادق عليه السلام. فـإذا سـألك

---

۱. كشف الغمّة: ج۲ ص۲۷۲.
۲. قُرب الإسناد: ص۳۳۷ رقم ۱۲٤۰.

عن الحلال والحرام؛ فأجبه. قال: ما علامته؟ قال عليه السلام: رجل طويل، جسيم، اسمه: يعقوب بن يزيد. وهو رائد قومه. وإن أراد الدخول إليّ، فأحضره عندي.

قال علي بن أبي حمزة: فو الله، إنّي لفي الطواف، إذ أقبل رجل جسيم، طويل، فقال لي: إنّي أُريد أن أسألك عن صاحبك. قلت: عن أيّ الأصحاب؟ قال: عن موسى بن جعفر عليهما السلام. قلت: فما اسمك؟ قال: يعقوب بن يزيد. قلت: من أين أنت؟ قال: من المغرب. قلت: من أين عرفتني؟ قال: أتاني آت في منامي، فقال لي: إلق علي بن أبي حمزة، فسله عن جميع ما تحتاج إليه. فسالت عنك، فدُللت عليك. فقلت: اقعد في هذا الموضع حتّى أفرغ من طوافي، وأعود إليك.

فطفت، ثمّ أتيته فكلمته، فرأيته رجلاً عاقلاً، فطناً، فالتمس منّي الوصول إلى موسى بن جعفر عليهما السلام، فأوصلته، فلمّا رآه، قال عليه السلام: يا يعقوب بن يزيد، قدمت أمس، ووقع بينك وبين أخيك خصومة في موضع كذا حتّى تشاتمتما، وليس هذا من ديني، ولا من دين آبائي، فلا أنا آمر بهذا أحداً من شيعتنا، فاتّق الله، فإنكما ستتفرّقان عن قريب بموت؛ فأمّا أخوك، فيموت في سفرته هذه قبل أن يصل إلى أهله، وتندم أنت على ما كان منك إليه، فإنّكما تقاطعتما، وتدابرتما؛ فقطع الله عليكما أعماركما.

فقال الرجل: يا بن رسول الله، فأنا متى يكون أجلي؟ قال عليه السلام: كان قد حضر أجلك، فوصلت عمّتك بما وصلتها في منزل كذا، وكذا؛ فنسأ الله في أجلك عشرين حجّة. قال علي بن أبي حمزة: فلقيت الرجل من قابل بمكّة، فأخبرني أن أخاه توفّي، ودفنه في الطريق قبل أن يصل إلى أهله.[1]

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٤٥.

إني لراجع إلى الحجاز

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: أبـو خالـد الرمّـاني، وأبـو يعقـوب الزبالي، قال كلّ واحد منهما: استقبلت أبـا الحسـنعليه السلام بـالأجفر[1] فـي المقدّمـة الأولى على المهدي، فلمّا خرج، ودّعته وبكيت، فقال لـي: مـا يُبكيـك؟ قلـت: حملك هؤلاء، ولا ادري ما يحدث.

قال: فقال لي: لا بأس علي منه فـي وجهـي هـذا، ولا هـو بـصاحبي، وإنّـي لراجع إلى الحجاز، ومارّ عليك في هذا الموضع راجعاً؛ فانتظرني في يـوم كـذا، وكذا، في وقت كذا، وكذا؛ فإنّك تلقاني راجعاً. قلت له: خير البشرى. لقد خفته عليك. قال: فلا تخف. فترصّدته ذلك الوقت، في ذلك الموضع؛ فإذا بالسواد قد أقبل، ومناد ينادي من خلفي، فأتيته؛ فإذا هو أبو الحسنعليه السلام على بغلة له، فقـال لي: إيّها أبا خالد. قلت: لبيك يا ابن رسول الله، الحمـد لله الـذي خلّـصك مـن أيديهم.

فقال: أما أنّ لي عودة إليهم، لا اتخلّص من أيديهم.[2]

هكذا توضأ

روى المفيد في الإرشاد، قال: روى محمد بـن إسـماعيل، عـن محمـد بـن الفضل، قال: اختلفت الرواية بين أصحابنا في مسح الرجلين؛ فكتـب علـي بـن يقطين إلى أبي الحسنعليه السلام. فكتب إليه أبو الحسنعليه السلام: فهمت ما ذكرت.. والذي آمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً.. وتغسل رجليك...

---

١. الأجفر: موضع في طريق مكّة.

٢. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٤٠٦.

وسُعي بعلي بن يقطين إلى الرشيد: إنّه رافضي، مخالف لك. فقال الرشيد لبعض خاصّته: قد كثر عندي القول في علي بن يقطين ـ والقرف[1] له بخلافنا، وميله إلى الرفض، ولست أرى في خدمته لي تقصيراً، وقد امتحنته مراراً، فما ظهرت منه عليَّ ما يُقرف به، وأُحبّ أن استبرئ أمره من حيث لا يشعر بذلك فيحترز منّي.

فقيل له: إنّ الرافضة تخالف الجماعة في الوضوء؛ فتخفّفه، ولا ترى غُسل الرجلين؛ فامتحنه من حيث لا يعلم، بالوقوف على وضوئه. فقال: أجل، إنّ هذا الوجه يظهر به أمره.

ثمّ تركه مدّة، وناطه بشيء من الشغل في الدار حتّى دخل وقت الصلاة، وكان علي بن يقطين دعا بالماء للوضوء، فتمضمض ثلاثاً، ومسح رأسه، وأُذنيه، وغسل رجليه. والرشيد ينظر إليه، فلمّا رآه وقد فعل ذلك، لم يملك نفسه حتّى أشرف عليه بحيث يراه، ثمّ ناداه: كذب يا علي بن يقطين مَن زعم أنّك من الرافضة... إلخ.[2]

إلي إلي

روى المازندراني في المناقب، قال: اجتمع الناس على عبد الله بن جعفر بعد وفاة [أبيه] الصادق عليه السلام فدخل عليه هشام بن سالم، ومحمد بن النعمان، صاحب الطاق، فسألاه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مائتي درهم؛ خمسة دراهم. فقالا: ففي مائة؟ قال: درهمين ونصف. فخرجا يقولان: إلى المرجئة، إلى القدريّة، إلى المعتزلة، إلى الزيديّة. فرأيا شيخاً يؤمي إليهما، فأتبعاه خائفين أن

---

١. القرف: الإتّهام.

٢. الإرشاد: ج٢ ص٢٢٧.

يكون عيناً من عيون أبي جعفر ـ الدوانيقي ـ فلمّا ورد هشام على باب موسى عليه السلام، فإذا خادم بالباب، فقال له: ادخل رحمك الله. فلمّا دخل، قال عليه السلام: إليّ إليّ، لا إلى المرجئة، ولا إلى القدريّة، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الزيدية.

فقال هشام: مضى أبوك موتاً؟

قال عليه السلام: نعم. قال: فمن لنا بعده؟ قال عليه السلام: إنشاء الله أن يهديك، هداك.

قال: إنّ عبد الله يزعم أنّه إمام. قال عليه السلام: عبد الله يُريد أن لا يُعبد الله. قال: فمن لنا بعده؟ قال عليه السلام: إن شاء الله أن يهديك، هداك. قال: فأنت هو؟ قال عليه السلام: وما أقول ذلك، قال: عليك إمام؟ قال عليه السلام: لا. قال: أسألك كما كنت أسأل أباك؟ قال عليه السلام: سل؛ تُخبر، ولا تُذع، فإن أذعت؛ فهو الذبح.[1]

وروى الصفّار في البصائر، قال: حدثّنا يعقوب بن يزيد، عن محمد بن الحسن بن زياد الميثمي، قال: حدثّنا الحسن الواسطي، عن هشام بن سالم، قال: لمّا دخلت إلى عبد الله بن أبي عبد الله، فسألته، فلم أر عنده شيئاً؛ فدخلني من ذلك ما الله به عليم، وخفت أن لا يكون أبو عبد الله عليه السلام ترك خلَفاً؛ فأتيت قبر النبي صلى الله عليه وآله، فجلست عند رأسه أدعو الله، واستغيث به، ثمّ فكّرت، فقلت: أصير على الزنادقة، ثمّ فكّرت فيما يدخل عليهم، ورأيت قولهم يفسد، ثمّ قلت: لا بل قول الخوارج، فآمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأضرب بسيفي حتّى أموت، ثمّ فكّرت في قولهم، وما يدخل عليهم، فوجدته يفسد، ثمّ قلت: إلى المرجئة، ثمّ فكّرت فيما يدخل عليهم، فإذا قولهم يفسد. فبينا أنا أُفكّر في نفسي، وأمشي، إذا مرّ بعض موالى أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: يجب أن أستأذن لك على أبي الحسن عليه السلام. فقلت: نعم. فذهب فلم يلبث أن عاد إلي، فقال: قم، وادخل

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٤٠٩.

عليه. فلمّا نظر إلي أبو الحسنعليه السلام، فقال لي مبتدأ: يا هشام، لا إلى الزنادقة، ولا إلى الخوارج، ولا إلى المرجئة، ولا إلى القدريّة، ولكن إلينا.

قلت: أنت صاحبي. ثمّ سألته، فأجابني عمّا أردت.[1]

لا أرى به بأسا

روى الكشّي في رجاله، قال: حمدويه، وإبراهيم ابنا نصير، عن محمد بن عيسى، عن الوشا، عن هشام بن الحكم، قال: كنت في طريق مكّة، وأنا أُريد شراء بعير، فمرّ بي أبو الحسنعليه السلام، فلمّا نظرت إليه، تناولت رقعة فكتبت إليه: جُعلت فداك، إنّي أُريد شراء هذا البعير، فما ترى؟

فنظر إليه، فقالعليه السلام: لا أرى في شراه بأساً، فإن خفت عليه ضعفاً فألقمه[2].

فاشتريته، وحملت عليه، فلم أرَ منكراً حتّى إذا كُنت قريباً من الكوفة في بعض المنازل، وكان عليه حمل ثقيل؛ رمى بنفسه، واضطرب للموت، فذهب الغلمان ينزعون عنه، فذكرت الحديث، فدعوت بلقم، فما ألقموه إلاّ سبعاً حتّى قام بحمله.[3]

درهم شُطيطة

روى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: علي بن راشد، وغيره في خبر طويل: إنّه اجتمعت العصابة الشيعة بنيسابور، واختاروا محمد بن علي النيسابوري؛ فدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم، وألفي شقّة من

---

١. بصائر الدرجات: ص٢٥١ ح٤.

٢. اللقم: ما يُلقم من طعام، ونحوه.

٣. رجال الكشّي: ص٢٧١ رقم٤٨٩.

الثياب، وأتت شُطيطة بدرهم صحيح، وشقّة خام من غزل يدها تساوي أربعة دراهم، فقالت: إنّ الله لا يستحي من الحق.[١]

قال: فثنيت درهمها، وجاؤا بجزء فيه مسائل ملىء سبعين ورقة، في كلّ ورقة مسأله، وباقي الورق بياض؛ ليُكتب الجواب تحتها، وقد حزمت كلّ ورقتين بثلاث حزم، وخُتم عليها بثلاث خواتيم، على كلّ حزام خاتم، وقالوا: ادفع إلى الإمام عليه السلام ليله، وخذ منه في غد، فإن وجدت الجزء صحيح الخواتيم؛ فاكسر منها خمسة، وانظره؛ هل أجاب عن المسائل؟ وإن لم تنكسر الخواتيم؛ فهو الإمام المستحقّ للمال، فادفع إليه، وإلا فردّ إلينا أموالنا.

فدخل ـ يعني، محمد بن علي النيسابوري ـ على الأفطح، عبد الله بن جعفر، وجرّبه، وخرج عنه قائلاً: ربّ اهدني إلى سواء الصراط.

قال: فبينما أنا واقف إذا أنام بغلام يقول: أجب مَن تُريد! فأتى بي دار موسى بن جعفر عليهما السلام، فلمّا رأني، قال لي: لمَ تقنط يا أبا جعفر!؟ ولِمَ تفزع إلى اليهود والنصارى!؟ فأنا حجّة الله ووليه؛ ألم يُعرّفك أبو حمزة على باب مسجد جدّي صلى الله عليه وآله!؟ وقد أجبتك عمّا في الجزء من المسائل بجميع ما تحتاج إليه منذ أمس، فجئني به، وبدرهم شُطيطة الذي وزنه درهم ودانقان الذي في الكيس الذي فيه أربعمائة درهم للوازواري، والشقّة التي في رزمة الأخوين البلخيين.

قال: فطار عقلي من مقاله، وأتيت بما أمرني، ووضعت ذلك قبله؛ فأخذ درهم شُطيطة وإزارها، ثمّ استقبلني، وقال:

إنّ الله لا يستحيي من الحقّ. يا أبا جعفر، أبلغ شُطيطة سلامي، واعطها هذه الصرّة ـ وكانت أربعين درهماً ـ ثمّ قال عليه السلام: واهديت لكِ شقّة من أكفاني من

---

١. إقتباس لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾. من سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

قطن قريتنا صيداء قرية فاطمة عليها السلام، وغزل أُختي حليمة بنت أبي عبد الله، جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ثمّ قال: وقل لها: ستعيشين تسعة عشر يوماً من وصل أبى جعفر، ووصول الشقّة، والدراهم؛ فانفقي على نفسك منها ستّة عشر درهماً، واجعلي أربعة وعشرين صدقة منك، وما يلزم عنك، وأنا أتولّى الصلاة عليك، فإذا رأيتني يا أبا جعفر، فاكتم علي؛ فإنّه أبقى لنفسك! ثمّ قال: واردد الأموال إلى أصحابها، وافكك هذه الخواتيم عن الجزء، وانظر هل أجبناك عن المسائل أم لا، من قبل ان تجيئنا بالجزء؟!

فوجدت الخواتيم صحيحة، ففتحت منها واحداً من وسطها؛ فوجدت فيه مكتوباً: ما يقول العالم عليه السلام في رجل، قال: نذرت لله لأعتقنّ كلّ مملوك كان في رقّي قديماً، وكان له جماعة من العبيد؟

الجواب بخطّه عليه السلام: ليعتقنّ مَن كان في مُلكه من قبل ستّة أشهر، والدليل على صحّة ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾[1]. من ليس له من ستّة أشهر.

وفككت الختم الثاني؛ فوجدت ما تحته: ما يقول العالم عليه السلام في رجل قال: والله، لأتصدّقن بمال كثير فيما يتصدّق؟

الجواب تحته بخطّه عليه السلام: إن كان الذي حلف من أرباب شياه؛ فليتصدّق بأربع وثمانين شاة، وإن كان من أصحاب النعم؛ فليتصدّق بأربع وثمانين بعيراً، وإن كان من أرباب الدراهم؛ فليتصدّق بأربع وثمانين درهماً، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[2]. عددت مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل نزول تلك الآية؛ فكانت أربعة وثمانين موطناً.

---

١. سورة يس، الآية: ٣٩.

٢. سورة التوبة، الآية: ٢٥.

فكسرت الختم الثالث؛ فوجدت تحته مكتوباً: ما يقول العالمعليه السلام في رجل نبش قبر ميّت، وقطع رأس الميّت، وأخذ الكفن؟

الجواب بخطّهعليه السلام: يقطع السارق؛ لأخذ الكفن من وراء الجزر، ويلزم مائة دينار؛ لقطع رأس الميّت؛ لأنّا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن أُمّه قبل أن يُنفخ فيه الروح، فجعلنا في النطفة عشرين ديناراً... المسألة إلى آخرها.

فلمّا وافى ـ يعني، محمد بن علي النيسابوري ـ خراسان؛ وجد الذين ردّ عليهم أموالهم، ارتدوا إلى الفطحيّة، وشُطيطة على الحقّ، فبلّغها سلامهعليه السلام، وأعطاها صرّته، وشقّته، فعاشت كما قالعليه السلام، فلمّا توفّيت شُطيطة، جاء الإمامعليه السلام على بعير له، فلمّا فرغ من تجهيزها، ركب بعيره، وانثنى نحو البريّة، وقال: عرّف أصحابك، واقرأهم منّي السلام، وقُل لهم: إنّي، ومَن يجري مجراي من الأئمّة، لا بدّ لنا من حضور جنائزكم في أي بلد كنتم؛ فاتّقوا الله في أنفسكم.[١]

هذه جوابات كتبكم

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: إنّ إسماعيل بن سالم، قال: بعث إليّ علي بن يقطين، واسماعيل بن أحمد، فقالا لي: خُذ هذه الدنانير؛ فأت الكوفة، فألق فلاناً، فاستصحبه، واشتريا راحلتين، وأمضيا بالكتب، وما معكما من مال، فادفعاه إلى موسى بن جعفرعليهما السلام.

فسرنا حتّى إذا كنّا ببطن الرملة، وقد اشترينا علفاً، ووضعنا بين الراحلتين، وجلسنا نأكل، فبينما نحن كذلك؛ إذ طلع علينا موسى بن جعفرعليهما السلام على بغلة

---

١. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٤٠٩.

له، أو بغل، وخلفه شاكري، فلمّا رأيناه، وثبنا له، وسلّمنا عليه.

فقال عليه السلام: هاتا ما معكما، فأخرجناه، ودفعناه إليه، وأخرجنا الكتب، ودفعناها إليه، فأخرج عليه السلام كتباً من كُمّه، فقال: هذه جوابات كتبكم، فانصرفوا في حفظ الله تعالى.

فقلنا: قد فُني زادنا وقد قربنا من المدينة، فلو أذنت لنا فزرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وتزوّدنا زاداً.

فقال عليه السلام: أبقي معكما من زادكما شيء؟

فقلنا: نعم.

قال عليه السلام: إئتوني به، فأخرجناه إليه، فقبضه بيده، وقال: هذه بلغتكم إلى الكوفة، إمضيا في حفظ الله، فرجعنا، وكفانا الزاد إلى الكوفة.[1]

استجابة دعائه عليه السلام

روى الإربلي في كشف الغمّة، قال: عن مولى لأبي عبد الله عليه السلام، قال: كنّا مع أبي الحسن عليه السلام حين قدم به البصرة، فلمّا أن كان قرب المدائن، ركبنا في أمواج كثيرة، وخلفنا سفينة فيها امرأة تُزّف إلى زوجها، وكانت لهم جلبة.

فقال عليه السلام: ما هذه الجلبة!؟

قلنا: عروس.

فما لبثنا أن سمعنا صيحة، فقال عليه السلام: ما هذا!؟

فقالوا: ذهبت العروس لتغترف الماء فوقع منها سوار من ذهب؛ فصاحت.

فقال عليه السلام: احبسوا، وقولوا لملاحهم يحبس، فحبسنا، وحبس ملاحهم، فاتّكأ

---

١. كشف الغمّة: ج٢ ص٢٤٩.

على السفينة، وهمس قليلاً، وقال عليه السلام: قولوا لملاّحهم يتّزر بفوطة[1] وينزل ويتناول السوار.

فنظرنا؛ فإذا السوار على وجه الأرض، وإذا ماء قليل، فنزل الملاّح فأخذ السوار، فقال عليه السلام: أعطها، وقل لها: فلتحمد الله ربّها.

فقال له عليه السلام أخوه إسحاق: جُعلت فداك، الدعاء الذي دعوت به علّمنيه.

قال عليه السلام: نعم، ولا تُعلّمه من ليس له بأهل، ولا تعلّمه إلاّ من كان من شيعتنا، ثمّ قال عليه السلام: أُكتب:

يا سابق كلّ فوت، يا سامعاً لكلّ صوت قويّ أو خفي، يا مُحيي النفوس بعد الموت، لا تغشاك الظلمات الحندسيّة[2]، ولا تتشابه عليك اللغات المختلفة، ولا يشغلك شيء عن شيء، يا من لا تشغله دعوة داع دعاه من الأرض عن دعوة داع دعاه من السماء، يا من له عند كلّ شيء من خلقه سمع سامع، وبصر نافذ، يا من لا تُغلطه كثرة المسائل، ولا يُبرمه إلحاح الملحّين، يا حيّ حين لا حيّ في ديمومة ملكه وبقائه، يا من سكن العُلى واحتجب عن خلقه بنوره، يا من أشرقت لنوره دجاه الظُلم، أسألك بإسمك الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي هو من جميع أركانك كلّها، صلّ على محمّد وأهل بيته. فسل حاجتك.[3]

وروى الآبي في نثر الدرر، قال: موسى بن جعفر ذُكر له: إنّ الهادي قد همّ به، فقال عليه السلام لأهل بيته: بما تشيرون؟

قالوا: نرى أن تتباعد عنه، وأن تُغيّب شخصك؛ فإنّه لا يؤمن شرّه.

---

١. الفوطة: ثوب قصير غليظ يكون مئزراً.

٢. أي، شديد الظلمة.

٣. كشف الغمّة: ج٣ ص٣٢.

فتبسّم عليه السلام، ثمّ قال:

زعمت سُخينة أن ستغلب ربّها ... ولتُغلبنّ مغالب الغُلاب

ثمّ رفع عليه السلام يده إلى السماء، فقال:

إلهي، كم من عدو شحذ لي ضبّة مديته[1]، وداف لي قواتل سمومه[2] ولم تنم عنّي عين حراسته، فلمّا رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن ملمات الحوائج؛ صرفت ذلك عنّي بحولك وقوّتك لا بحولي وقوّتي، فألقيته في الحفيرة التي احتفر لي، خائفاً ممّا أمّله في دنياه، متباعداً ممّا رجاه في آخرته. فلك الحمد على قدر استحقاقك، سيدي. اللهمّ، فخذه بعزّتك، وأفلل حدّه عنّي بقدرتك، واجعل له شغلاً فيما يليه، وعجزاً عمّن يُناويه. اللهمّ، وأعدني عليه عدوى حاضرة تكون من غيظي شفاء، ومن حقّي عليه وفاء، وصِل اللهمّ، دعائي بالإجابة، وانظم شكايتي بالتغيير، وعرّفه عمّا قليل ما وعدت الظالمين، وعرّفني ما وعدت في إجابة المضطّرين، إنّك ذو الفضل العظيم، والمنّ الكريم.

ثم. تفرّق القوم، فما اجتمعوا إلاّ لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى الهادي، ففي ذلك يقول بعضهم في وصف دعائه:

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي ... محلاً ولم تقطع بها السير قاطع

وهي أبيات مليحة ما قيل في وصف الدعاء المستجاب أحسن منها.[3]

وروى ابن شهر آشوب في المناقب، قال: علي بن يقطين، وعبد الله بن أحمد الوضّاح، قالا: لمّا حُمل رأس صاحب فخّ[4] إلى موسى بن المهدي -

---

١. الضبّة: حدّ السيف أو السنان. والمدية: الشفيرة الكبيرة.

٢. ذاق السم: خلطه ليكون شديد الفتك.

٣. نثر الدرر: ج١ ص٣٥٨.

٤. فخّ: واد قرب مكّة. قُتل فيه مظلوماً، شهيداً؛ الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. أُنظر تفصيل الواقعة في الكامل لابن الأثير: ج٥ ص٧٤.

العبّاسي ـ أنشأ يقول:

بني عمّنا لا تنطقوا الشعر بعدما ... دُفنتم بصحراء الغميم القوافيا
فلسنا كمن كنتم تُصيبون سلمه ... فيقبل ميلاً أو يحكم قاضياً
ولكنّ حدّ السيف فيكم مسلّط ... فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا
فإن قلتم: إنّا ظلمنا فلم نكن ... ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا
فقد ساءني ما جرّت الحرب بيننا ... بني عمنا لو كان أمراً مدانيا

ثمّ أخذ في ذكر الطالبيين، وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر عليه السلام، وحلف الله بقتله، فتكلّم فيه القاضي أبو يوسف؛ حتّى سكن غضبه، وأُنهى الخبر إلى الإمام عليه السلام، وعنده جماعة من أهل بيته، فقال لهم: ما تشيرون؟

قالوا: نشير عليك بالإبتعاد عن هذا الرجل، وأن تُغيّب شخصك عنه؛ فإنّه لا يؤمن شرّه. فتبسّم أبو الحسن عليه السلام، وتمثّل:

زعمت سُخينة أن ستقتل ربّها ... وليغلبن مغلّب الغلاّب

وأنشد:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ... أبشر بطول سلامة يا مربع

ثمّ رفع عليه السلام رأسه إلى السماء، وقال:

إلهي كم من عدو شحذ لي ضبّة مُديته، وأرهف لي شبا حدّه، ودفع لي قواتل سمومه، ولم تنم عنّي عين حراسته، فلمّا رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن ملمّات الحوائج؛ صرفت ذلك بحولك وقوّتك... إلى آخر الدعاء.

ثمّ أقبل عليه السلام على أصحابه، فقال لهم: يفرج روعكم؛ فإنّه لا يأتي أوّل كتاب من العراق إلاّ بموت موسى المهدي.

قالوا: وما ذاك، أصلحك الله؟

قال عليه السلام: وحرمة صاحب القبر، قد مات من يومه هذا. والله، إنّه الحقّ مثل ما

أنّكم تنطقون،[١] ثمّ تفرّق القوم، فما اجتمعوا إلاّ لقراءة الكتب الواردة بموت موسى المهدي. وقال بعض أهل بيته شعراً، ومنه:

يمرّ وراء الليل والليل ضارب | بجثمانه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها | إذا قرع الأبواب منهنّ قارع
إذا وردت لم يردد الله وفدها | على أهلها والله راء وسامع
وإنّي لأرجو الله حتى كأنني | أرى بجميل الظن ما هو صانع

مع رجل من أهل الري

روى البحراني في عوالم العلوم، بإسناده: عن رجل من أهل الري، قال: وُلّيَ علينا بعض كُتّاب يحيى بن خالد ـ البرمكي ـ وكان عليّ بقايا يُطالبني بها، وخفت من إلزامي إيّاها، خروجاً عن نعمتي، وقيل لي: إنّه ينتحل هذا المذهب[٢] فخفت أن أمضي إليه فلا يكون كذلك فأقع فيما لا أُحبّ، فاجتمع رأيي على أنّي هربت إلى الله تعالى وحججت، ولقيت مولاي الصابر[٣] فشكوت حالي إليه، فأصحبني مكتوباً، نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، إعلم؛ إنّ لله تحت عرشه ظلاً لايسكنه إلاّ من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل على قلبه سروراً. وهذا أخوك. والسلام.

قال: فعدت من الحجّ إلى بلدي، ومضيت إلى الرجل ليلاً، واستأذنت عليه، وقلت: رسول الصابر عليه السلام. فخرج إليّ حافياً ماشياً، ففتح لي بابه، وقبّلني،

---

١. إقتباس لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾. من سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

٢. أي، التشيّع.

٣. الصابر: من ألقاب الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

وضمّني إليه، وجعل يُقبّل بين عينيّ، ويُكرّر ذلك كلّما سألني عن رؤيته عليه السلام، وكلّما أخبرته بسلامته، وصلاح أحواله؛ استبشر، وشكر الله.

ثمّ أدخلني داره، وصدّرني في مجلسي، وجلس بين يديّ. فأخرجت إليه كتابه عليه السلام، فقبّله قائماً، وقرأه، ثمّ استدعى بماله، وثيابه، فقاسمني ديناراً ديناراً، ودرهماً درهماً، وثوباً ثوباً، وأعطاني قيمة ما لم يُمكن قسمته، وفي كلّ شيء من ذلك يقول: يا أخي، هل سررتك؟ فأقول له: إي والله، وزدت على السرور.

ثمّ استدعى العمل[1]، فأسقط ما كان بإسمي، وأعطاني براءة ممّا يوجبه عليّ منه، وودّعته وانصرفت عنه.

فقلت: لا أقدر على مكافأة هذا الرجل إلاّ بأن أحجّ في قابل، وأدعو له، وألقى الصابر عليه السلام، وأُعرّفه فعله.

ففعلت، ولقيت مولاي الصابر عليه السلام، وجعلت أُحدّثه، ووجهه عليه السلام يتهلّل فرحاً، فقلت: يا مولاي، هل سرّك ذلك؟ فقال عليه السلام: إي والله، لقد سرّني، وسرّ أميرالمؤمنين عليه السلام. والله، لقد سرّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد سرّ الله تعالى.[2]

---

١. أي، دفتر حساباته.

٢. عوالم العلوم: ج٢١ ص٤٢٦.

فصل في

وصيته عليه السلام لهشام بن الحكم

وشرح بعض مفرداتها

متن الوصيّة

روي عن الإمام الكاظم، الأمين، أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام وصيّته لهشام، قال:

إنّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

يا هشام بن الحكم، إنّ الله عزّ وجلّ أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى إليهم بالبيان، ودلّهم على ربوبيّته بالأدلاء، فقال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

يا هشام، قد جعل الله عزّ وجلّ ذلك دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً، فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿حم ۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5].

يا هشام، ثمّ وعظ ـ الله تعالى ـ أهل العقل، ورغّبهم في الآخرة، فقال: ﴿وَمَا

---

١. سورة الزمر، الآية: ١٧ـ١٨.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٦٣ـ١٦٤.

٣. سورة النحل، الآية: ١٢.

٤. سورة الزخرف، الآية: ١ـ٣.

٥. سورة الروم، الآية: ٢٤.

﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢].

يا هشام، ثمّ خوّف ـ الله تعالى ـ الذين لا يعقلون؛ عذابه، فقال عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۞ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣].

يا هشام، ثمّ بين ـ الله تعالى ـ أنّ العقل مع العلم، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٤].

يا هشام، ثمّ ذمّ ـ الله تعالى ـ الذين لا يعقلون، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٧].

ثمّ ذمّ الكثرة، فقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٩].

---

١. سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

٢. سورة القصص، الآية: ٦٠.

٣. سورة الصافّات، الآية: ١٣٦ـ١٣٨.

٤. سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

٥. سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

٦. سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

٧. الآية في سورة لقمان، برقم: ٢٥، وفيها: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فهنا قد غفل الراوي، أو اشتبه النسّاخ.

٨. سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

٩. سورة النمل، الآية: ٦١.

يا هشام، ثم مدح ـ الله ـ القلّة فقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[٣].

يا هشام، ثمّ ذكّر ـ الله تعالى ـ أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاّهم بأحسن الحلية، فقال تعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٤].

يا هشام، إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[٥]. يعني، العقل.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[٦]. أي، الفهم والعقل.

يا هشام، إنّ لقمان قال لإبنه: تواضع للحقّ؛ تكن أعقل الناس. يا بُني، إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيه؛ تقوى الله، وحشوها؛ الإيمان، وشراعها؛ التوكّل، وقيّمها؛ العقل، ودليلها؛ العلم، وسُكّانها؛ الصبر.

يا هشام، لكل شيء دليل، ودليل العاقل؛ التفكّر، ودليل التفكّر؛ الصمت. ولكلّ شيء مطيّة، ومطيّة العاقل؛ التواضع. وكفى بك جهلاً أن تركب ما نُهيت عنه.

يا هشام، لو كان في يدك جوزة، وقال الناس: في يدك لؤلؤة؛ ما كان ينفعك،

---

١. سورة سبأ، الآية: ١٣.

٢. سورة ص، الآية: ٢٤.

٣. سورة هود، الآية: ٤٠.

٤. سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٥. سورة ق، الآية: ٣٧.

٦. سورة لقمان، الآية: ١٢.

وأنت تعلم أنّها جوزة. ولو كان في يديك لؤلؤة، وقال الناس: إنّها جوزة؛ ما ضرّك، وأنت تعلم أنّها لؤلؤة.

يا هشام، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة؛ أحسنهم معرفة لله، وأعلمهم بأمر الله؛ أحسنهم عقلاً، وأعقلهم؛ أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام، ما من عبد إلا ومَلَك آخذ بناصيته، فلا يتواضع؛ إلاّ رفعه الله، ولا يتعاظم؛ إلاّ وضعه الله.

يا هشام، إن لله على الناس حجّتين حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأمّا الباطنة فالعقول.

يا هشام، إنّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام، من سلّط ثلاثاً على ثلاث؛ فكأنّما أعان هواه على هدم عقله؛ مَن أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنّما أعان هواه على هدم عقله، ومَن هدم عقله؛ أفسد عليه دينه، ودنياه.

يا هشام، كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربّك، وأطعت هواك على غلبة عقلك؟

يا هشام، الصبر على الوحدة؛ علامة قوّة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى؛ اعتزل أهل الدنيا، والراغبين فيها، ورغب فيما عند ربّه، وكان الله آنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومُعزّه في غير عشيرة.

يا هشام، نُصب الخلق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم

بالتعلّم، والتعلّم بالعقل يُعتقد[1]، ولا علم إلا من عالم ربّاني، ومعرفة العالم بالعقل.

يا هشام، قليل العمل من العاقل؛ مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى، والجهل؛ مردود.

يا هشام، إنّ العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا؛ فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام، إن كان يُغنيك ما يكفيك، فأدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس شيء من الدنيا يُغنيك.

يا هشام، إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا، فكيف الذنوب؟ وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام، إنّ العاقل نظر إلى الدنيا، وإلى أهلها، فعلم أنّها لا تُنال إلا بالمشقّة، ونظر إلى الآخرة، فعلم أنّها لا تُنال إلا بالمشقّة، فطلب بالمشقّة أبقاهما.

يا هشام، إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة؛ لأنّهم علموا أنّ الدنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة؛ طلبته الدنيا حتّى يستوفي منها رزقه، ومَن طلب الدنيا؛ طلبته الآخرة، فيأتيه الموت، فيُفسد عليه دنياه، وآخرته.

يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين؛ فليتضرّع إلى الله في مسألته بأن يُكمل عقله. فمَن عقل؛ قنع بما يكفيه، ومَن قنع بما يكفيه؛ استغنى، ومَن لم يقنع بما يكفيه؛ لم يُدرك الغنى أبداً.

يا هشام، إنّ الله عزّ وجلّ حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

---

١. اعتقد الشيء: نقيض حلّه.

﴿هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1]، حين علموا أنّ القلوب تزيغ، وتعود إلى عماها، ورداها[2].

إنّه لم يخف الله مَن لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل؛ لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يُبصرها، ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأنّ الله لم يدلّ على الباطن الخفيّ من العقل إلا بظاهر منه، وناطق عنه.

يا هشام، كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: ما من شيء عُبد الله به أفضل من العقل. وما تمّ عقل امرئ حتّى يكون فيه خصال شتّى؛ الكفر والشرّ منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، نصيبه من الدنيا القوت، ولا يشبع من العلم دهره.

الذلّ أحبّ إليه مع الله من العزّ مع غيره، والتواضع أحبّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقلّ كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلّهم خيراً منه، وإنّه شرّهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

يا هشام، مَن صدق لسانه؛ زكى عمله، ومَن حسنت نيّته؛ زيد في رزقه، ومَن حسن برّه بإخوانه، وأهله؛ مُدّ في عمره.

يا هشام، لا تمنحوا الجهّال الحكمة؛ فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها؛ فتظلموهم.

يا هشام، كما تركوا لكم الحكمة؛ فاتركوا لهم الدنيا.

يا هشام، إنّ العاقل لا يكذب، وإن كان فيه هواه، لا دين لمن لا مروة له، ولا

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٨.

٢. الردى: الهلاك.

مروة لمن لا عقل له، وإنّ أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً. أما إنّ أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنّة، فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام[١]، نّ أميرالمؤمنينعليه السلام كان يقول: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه ثلاث خصال: يُجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويُشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله. فمن لم يكن فيه شيء منهن، فجلس؛ فهو أحمق.

وقال الحسن بن عليعليهما السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، قيل: يا بن رسول الله، مَن أهلها؟ قالعليه السلام: الذين قصّ الله في كتابه، وذكرهم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢]. قالعليه السلام: هم أولوا العقول.

وقال علي بن الحسينعليهما السلام: مجالسة الصالحين؛ داعية إلى الصلاح، وأدب العلماء؛ زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل؛ تمام العزّ، واستثمار المال؛ تمام المروّة، وإرشاد المستشير؛ قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذى؛ من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً.

يا هشام، إنّ العاقل لا يُحدّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يُعنّف برجائه[٣]، ولا يتقدّم على ما يخاف العجز عنه[٤]. وكان أميرالمؤمنينعليه السلام يوصي أصحابه، يقول: أوصيكم بالخشية من

---

١. وفي الكافي: إنّ من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يُجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويُشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله. فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء؛ فهو أحمق، إن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق.

٢. سورة الزمر، الآية: ٩.

٣. التعنيف: اللوم، والتوبيخ، والتقريع.

٤. وفي الكافي: ولا يقوم على ما يخاف فوته بالعجز عنه.

الله في السرّ، والعلانية. والعدل في الرضا، والغضب. والإكتساب في الفقر، والغنى. وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمّن ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم[١]، وليكن نظركم عِبَراً، وصمتكم فكراً، وقولكم ذكراً، وطبيعتكم السخاء[٢]؛ فإنّه لا يدخل الجنّة بخيل، ولا يدخل النار سخي.

يا هشام، رحم الله من استحيا من الله حقّ الحياء، فحفظ الرأس وما حوى[٣]، والبطن وما وعى[٤]، وذكر الموت والبلى، وعلم أنّ الجنّة محفوفة بالمكاره، والنار محفوفة بالشهوات[٥].

يا هشام، من كفّ نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة، ومَن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله غضبه عنه يوم القيامة.

يا هشام، إنّ العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.

يا هشام، وُجد في ذؤابة[٦] سيف رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أعتى[٧] الناس على الله من ضرب غير ضاربه، وقتل غير قاتله. ومن تولّى غير مواليه؛ فهو كافر بما أنزل الله على نبيّه محمد صلى الله عليه وآله. ومن أحدث حدثاً[٨] أو آوى مُحدثاً؛ لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً، ولا عدلاً.

---

١. في بعض نسخ تُحف العقول: وتعطوا.
٢. في بعض نسخ تُحف العقول: وإياكم والبخل، وعليكم بالسخاء.
٣. أي، وما حواه من وسائل التفكّر، والإعتقاد. أو ما حواه من وسيلة البصر، والسمع، والنطق، وسائر الحواس.
٤. أي، ما وعى من جمعه من الطعام والشراب كمّاً، وكيفاً.
٥. المحفوفة: المحيطة. والمكاره ـ جمع مكروه ـ: ما يكرهه الإنسان.
٦. الذؤابة من كلّ شيء: أعلاه. ومن السيف: علاقته. ومن السوط: طرفه. ومن الشعر: ناصيته.
٧. عتى: استكبر، وتجاوز الحدّ. والعتو: الطغيان، والتجبّر.
٨. الحدث: الأمر الحادث غير المعتاد، ولا معروف في السنّة.

يا هشام، أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله بعد المعرفة به: الصلاة، وبرّ الوالدين، وترك الحسد، والعجب، والفخر.

يا هشام، أصلح أيّامك الذي هو أمامك، فانظر أيّ يوم هو، وأعدّ له الجواب، فإنّك موقوف ومسؤول، وخُذ موعظتك من الدهر وأهله، فإنّ الدهر طويلة قصيرة، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك؛ لتكون أطمع في ذلك، واعقل عن الله، وانظر في تصرّف الدهر وأحواله، فإنّ ما هو آت من الدنيا كما هو ولّى منها، فاعتبر بها.

وقال علي بن الحسين عليه السلام: إنّ جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها، بحرها وبرّها، وسهلها وجبلها؛ عند وليّ من أولياء الله، وأهل المعرفة بحقّ الله كفيئ الظلال. ثمّ قال عليه السلام: أو لا حرّ يدع هذه اللُماظة[1] لأهلها ـ يعني، الدنيا ـ؟ فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنّة، فلا تبيعوها بغيرها، فإنّه من رضي من الله بالدنيا؛ فقد رضي بالخسيس.

يا هشام، إنّ كل الناس يَبصر النجوم، ولكن لا يهتدي بها إلا من يعرف مجاريها ومنازلها، وكذلك أنتم تدرسون الحكمة، ولكن لا يهتدي بها منكم إلا من عمل بها.

يا هشام، إنّ المسيح عليه السلام، قال للحواريين: يا عبيد السوء! يهولكم[2] طول النخلة، وتذكرون شوكها، ومؤونة مراقيها؛ وتنسون طيب ثمرها[3]، ومرافقها. وكذلك تذكرون مؤونة عمل الآخرة، فيطول عليكم أمده[4]، وتنسون ما تفضون

---

١. اللماظة: بقيّة الطعام في الفم.

٢. يهولكم: أي، يفزعكم.

٣. مئونة المراقي: شدّة الإرتقاء. والمرافق: المنافع.

٤. أي، الغاية، والمنتهى.

إليه من نعيمها، ونورها، وثمرها.

يا عبيد السوء! نقّوا القمح، وطيّبوه، وأدقّوا طحنه؛ تجدوا طعمه، ويُهنئكم أكله. كذلك فأخلصوا الإيمان، وأكملوه؛ تجدوا حلاوته، وينفعكم غبّه[1]. بحقّ أقول لكم: لو وجدتم سراجاً يتوقّد بالقطران[2] في ليلة مظلمة؛ لاستضأتم به، ولم يمنعكم منه ريح نتنه. كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممّن وجدتموها معه، ولايمنعكم منه سوء رغبته فيها.

يا عبيد الدنيا! بحقّ أقول لكم: لا تُدركون شرف الآخرة؛ إلا بترك ما تُحبّون. فلا تنظروا بالتوبة غداً، فإنّ دون غد يوماً وليلة، وقضاء الله فيهما يغدو ويروح.

بحقّ أقول لكم: إنّ من ليس عليه دين من الناس؛ أروح، وأقل همّاً ممّن عليه الدين، وإن أحسن القضاء. وكذلك مَن لم يعمل الخطيئة؛ أروح همّاً ممّن عمل الخطيئة، وإن أخلص التوبة وأناب. وإنّ صغار الذنوب ومُحقّراتها من مكائد إبليس، يُحقّرها لكم، ويُصغّرها في أعينكم؛ فتجتمع، وتكثر، فتحيط بكم.

بحقّ أقول لكم: إنّ الناس في الحكمة، رجلان: فرجل أتقنها بقوله، وصدقها بفعله. ورجل أتقنها بقوله، وضيّعها بسوء فعله. فشتّان بينهما. فطوبى للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالقول.

يا عبيد السوء! اتّخذوا مساجد ربّكم سجوناً لأجسادكم، وجباهكم، واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى، ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات. إنّ أجزعكم عند البلاء؛ لأشدّكم حبّاً للدنيا، وإنّ أصبركم على البلاء؛ لأزهدكم في الدنيا.

---

١. الغبّ: العاقبة.

٢. القطران: سيّال دهني شبيه النفط، يُتّخذ من الصنوبر، وغيرها من الأشجار.

يا عبيد السوء! لا تكونوا شبيهاً بالحِداء الخاطفة[١] ولا بالثعالب الخادعة، ولا بالذئاب الغادرة، ولا بالأُسد العاتية[٢]، كما تفعل بالفرائس، كذلك تفعلون بالناس، فريقاً تخطفون، وفريقاً تخدعون، وفريقاً تغدرون بهم.

بحقّ أقول لكم: لا يُغني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً، وباطنه فاسداً، كذلك لا تُغني أجسادكم التي قد أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم، وما يُغني عنكم أن تُنقّوا جلودكم، وقلوبكم دنسة. ولا تكونوا كالمنخل؛ يخرج منه الدقيق الطيّب، ويُمسك النخالة، كذلك أنتم تُخرجون الحكمة من أفواهكم، ويبقى غلّ في صدوركم.

يا عبيد الدنيا! إنّما مثلكم مثل السراج يضيء للناس، ويحرق نفسه.

يا بني إسرائيل، زاحموا العلماء في مجالسهم، ولو جثواً على الركب[٣]؛ فإنّ الله يُحيى القلوب الميّتة بنور الحكمة كما يُحيي الأرض الميّتة بوابل[٤] المطر.

يا هشام، مكتوب في الإنجيل: «طوبى للمتراحمين؛ أولئك هم المرحومون يوم القيامة. طوبى للمصلحين بين الناس؛ أولئك هم المقرّبون يوم القيامة. طوبى للمطهّرة قلوبهم؛ أولئك هم المتّقون يوم القيامة. طوبى للمتواضعين في الدنيا؛ أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة».

يا هشام، قلّة المنطق؛ حكم عظيم. فعليكم بالصمت؛ فإنّه دعة حسنة، وقلّة وزر، وخفّة من الذنوب. فحصّنوا باب العلم؛ فإنّ بابه الصبر، وإنّ الله عزّ وجلّ يبغض

---

١. الحداء: طائر من الجوارح، وهو من نوع الغراب يخطف الأشياء.

٢. أي، الجبّارة.

٣. جثا، يجثو: جلس على ركبتيه، أو قام على أطراف الأصابع. وفي بعض نسخ تُحف العقول: حبواً، والحبو: الزحف على الركب.

٤. الوابل: المطر الشديد الفخم القطر.

الضحّاك من غير عجب، والمشّاء إلى غير أرب[1]. ويجب على الوالي أن يكون كالراعي، لا يغفل عن رعيّته، ولا يتكبّر عليهم. فاستحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم، واعلموا أنّ الكلمة من الحكمة؛ ضالّة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يُرفع، ورفعه؛ غيبة عالِمكم بين أظهركم.

يا هشام، تعلّم من العلم ما جهلت، وعلّم الجاهل ممّا علمت، وعظّم العالم لعلمه، ودع منازعته، وصغّر الجاهل لجهله، ولا تطرده، ولكن قرّبه وعلّمه.

يا هشام، إنّ كلّ نعمة عجزت عن شكرها، بمنزلة سيئة تؤاخذ بها. وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ لله عباداً كسرت قلوبهم خشيته، فأسكتتهم عن المنطق، وإنّهم لفصحاء، عقلاء، يستبقون إلى الله بالأعمال الزكيّة، لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل، ويرون في أنفسهم أنّهم أشرار، وأنّهم لأكياس، وأبرار. يا هشام، الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة، والبذاء[2] من الجفاء، والجفاء في النار.

يا هشام، المتكلّمون ثلاثة: فرابح، وسالم، وشاجب[3]. فأمّا الرابح؛ فالذاكر لله، وأمّا السالم؛ فالساكت، وأمّا الشاجب؛ فالذي يخوض في الباطل. إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فاحش بذيء، قليل الحياء، لا يُبالي ما قال، ولا ما قيل فيه. وكان أبو ذر يقول: يا مبتغي العلم، إنّ هذا اللسان مفتاح خير، ومفتاح شرّ، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك، وورقك.

يا هشام، بئس العبد عبد يكون ذا وجهين، وذا لسانين، يُطري أخاه إذا

---

١. الأرب: الحاجة. وفي بعض نسخ تُحف العقول: إلى غير أدب.

٢. البذيء ـ على وزن فعيل ـ : السفيه، والذي أفحش في منطقه. والبذاء: الفحش.

٣. الشاجب: الهذاء المكثار. أي، كثير الهذيان والكلام. وقيل: هو الهالك.

شاهده[١]، ويأكله إذا غاب عنه، إن أعطي حسده، وإن ابُتلي خذله. إنّ أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشرّ عقوبة البغي، وإنّ شرّ عباد الله؛ من تكره مجالسته لفحشه، وهل يُكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟! ومن حُسن إسلام المرء؛ ترك ما لا يعنيه.

يا هشام، لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً، راجياً. ولا يكون خائفاً، راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف، ويرجو.

يا هشام، قال الله ﷻ: وعزّتي وجلالي، وعظمتي وقدرتي، وبهائي وعلوي في مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت الغنى في نفسه، وهمّه في آخرته، وكففت عليه في ضيعته[٢]، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجر.

يا هشام، الغضب مفتاح كلّ الشرّ، وأكمل المؤمنين إيماناً؛ أحسنهم خُلقاً. وإن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تُخالط أحداً منهم إلا من كانت يدك عليه العليا؛ فافعل.

يا هشام، عليك بالرفق، فإنّ الرفق يُمن، والخرق شؤم. إنّ الرفق، والبرّ، وحُسن الخلق؛ يُعمّر الديار، ويزيد في الرزق.

يا هشام، قول الله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾[٣]. جرت في المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر. من صُنع إليه معروف؛ عليه أن يُكافئ به، وليست المكافأة أن تصنع كما صُنع حتّى ترى فضلك، فإن صنعت كما صُنع؛ فله الفضل بالإبتداء.

---

١. أي، يُحسن الثناء عليه، ويُبالغ في مدحه لدى شهوده له.

٢. الضيعة: الحرفة، والصناعة.

٣. سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

يا هشام، إنّ مثل الدنيا مثل الحيّة؛ مسّها ليِّن، في جوفها السمّ القاتل، يحذرها الرجال ذوو العقول، ويهوى إليها الصبيان بأيديهم.

يا هشام، إصبر على طاعة الله، وإصبر على معاصي الله، فإنّما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سروراً، ولا حزناً، وما لم يأت منها، فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها؛ فكأنّك قد اغتبطت.

يا هشام، مثل الدنيا مثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان؛ إزداد عطشاً، حتّى يقتله.

يا هشام، إيّاك والكبر! فإنّه لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من كبر؛ الكبرياء رداء الله، فمن نازعه رداءهُ، أكبّه الله في النار على وجهه.

يا هشام، ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً؛ استزاد منه، وإن عمل سيئاً؛ استغفر الله منه، وتاب إليه.

يا هشام، تمثّلت الدنيا للمسيح عليه السلام في صورة امرأة زرقاء، فقال عليه السلام لها: كم تزوّجت؟ فقالت: كثيراً، قال عليه السلام فكلّ طلقك؟ قالت: لا، بل كلاً قتلت. قال المسيح عليه السلام: فويح لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين!

يا هشام، إنّ ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كلّه، وإنّ ضوء الروح؛ العقل، فإذا كان العبد عاقلاً، كان عالماً بربّه، أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربّه، لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحيّة، فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنيّة الصادقة، ولا تثبت النيّة الصادقة إلا بالعقل.

يا هشام، إنّ الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا[١]، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار؛ لأنّ الله جعل

---

١. الصفا: الحجر الصلد الضخم.

التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر من آلة الجهل. ألم تعلم أنّ من شمخ إلى السقف برأسه؛ شُجّ[١]، ومن خفض رأسه؛ استظلّ تحته، وأكنّه. وكذلك مَن لم يتواضع لله؛ خفضه الله، ومن تواضع؛ لله رفعه.

يا هشام، ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد النُسك، وأقبح من ذلك العابد لله، ثمّ يترك عبادته.

يا هشام، لا خير في العيش إلا لرجلين: لمستمع واع، وعالم ناطق.

يا هشام، ما قُسّم بين العباد أفضل من العقل؛ نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل. وما بعث الله نبيّاً إلا عاقلاً، حتّى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين. وما أدّى العبد فريضة من فرائض الله حتّى عقل عنه.

يا هشام، قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم المؤمن صموتاً؛ فادنوا منه، فإنّه يُلقي الحكمة. والمؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام، قليل العمل.

يا هشام، أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا؛ فيصدّهم عن ذكري، وعن طريق محبّتي ومناجاتي، أولئك قطّاع الطريق من عبادي، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة محبّتي[٢]، ومناجاتي من قلوبهم.

يا هشام، من تعظّم في نفسه؛ لعنته ملائكة السماء، وملائكة الأرض. ومَن تكبّر على إخوانه، واستطال عليهم؛ فقد ضاد الله. ومن ادّعى ما ليس له؛ فهو أعنى[٣] لغير رشده.

يا هشام، أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، حذّر، وأنذر أصحابك عن

---

١. شمخ: علا وارتفع، وشجّ: جرح وشق وكسر.

٢. في بعض نسخ تُحف العقول: عبادتي.

٣. أي، أتعب نفسه.

حبّ الشهوات؛ فإنّ المعلّقة قلوبهم بشهوات الدنيا، قلوبهم محجوبة عنّي.

يا هشام، إيّاك والكبر على أوليائي، والإستطالة بعلمك؛ فيمقتك الله، فلا تنفعك بعد مقته دنياك، ولا آخرتك، وكُن في الدنيا كساكن دار ليست له، إنّما ينتظر الرحيل.

يا هشام، مجالسة أهل الدين؛ شرف الدنيا، والآخرة، ومشاورة العاقل الناصح؛ يُمن، وبركة، ورشد، وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح، فإيّاك والخلاف؛ فإنّ في ذلك العطب[1].

يا هشام، إياك ومخالطة الناس، والأُنس بهم، إلا أن تجد منهم عاقلاً، ومأموناً؛ فآنس به، واهرب من سايرهم كهربك من السباع الضارية. وينبغي للعاقل إذا عمل عملاً أن يستحي من الله، وإذا تفرّد له بالنعم أن يُشارك في عمله أحداً غيره[2]، وإذا مرّ بك[3] أمران، لا تدري أيّهما خير وأصوب، فانظر أيّهما أقرب إلى هواك؛ فخالفه، فإنّ كثير الصواب في مخالفة هواك. وإياك أن تغلب الحكمة، وتضعها في أهل الجهالة.

قال هشام: فقلت له عليه السلام: فإن وجدت رجلاً طالباً له غير أنّ عقله لا يتّسع لضبط ما ألقي إليه؟

قال عليه السلام: فتلطّف له في النصيحة، فإن ضاق قلبه، فلا تعرضنّ نفسك للفتنة، وأحذر ردّ المتكبّرين، فإنّ العلم يدلّ على أن يُملى على من لا يفيق[4].

---

١. أي، الهلاك.

٢. أي، إذا اختصّ العاقل بنعمة ينبغي له أن يشارك غيره من عباد الله فيها.

٣. في بعض نسخ تُحف العقول: وإذ خرّ بك.... وخرّ به أمرا: أيّ نزل به وأهمّه.

٤. الإفاقة: الرجوع عن الكسر، والإغماء، والغفلة إلى حال الإستقامة. وفي بعض نسخ تُحف العقول: فإنّ العلم يدلّ على أن يحمل على من لا يفيق.

قلت: فإن لم أجد من يعقل السؤال عنها؟

قال عليه السلام: فاغتنم جهله عن السؤال حتّى تسلم من فتنة القول، وعظيم فتنة الردّ. واعلم أنّ الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم، ولكن رفعهم بقدر عظمته، ومجده، ولم يؤمّن الخائفين بقدر خوفهم، ولكن آمنهم بقدر كرمه، وجوده، ولم يُفرّج[١] المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته، ورحمته. فما ظنّك بالرؤوف الرحيم الذي يتودّد إلى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى فيه؟ وما ظنّك بالتوّاب الرحيم الذي يتوب على من يُعاديه، فكيف بمن يترضّاه، ويختار عداوة الخلق فيه؟

يا هشام: من أحبّ الدنيا؛ ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أوتي عبد علماً، فازداد للدنيا حبّاً؛ إلا ازداد من الله بعداً، وازداد الله عليه غضباً.

يا هشام، إنّ العاقل اللبيب؛ مَن ترك ما لا طاقة له به. وأكثر الصواب في خلاف الهوى. ومن طال أمله؛ ساء عمله.

يا هشام، لو رأيت مسير الأجل؛ لألهاك عن الأمل.

يا هشام، إيّاك والطمع! وعليك باليأس ممّا في أيدي الناس، وأمت الطمع من المخلوقين، فإنّ الطمع مفتاح للذلّ، واختلاس العقل، واختلاق المروات[٢]، وتدنيس العرض[٣]، والذهاب بالعلم. وعليك بالإعتصام بربّك، والتوكّل عليه، وجاهد نفسك؛ لتردّها عن هواها، فإنّه واجب عليك كجهاد عدوك.

قال هشام: فقلت له عليه السلام: فأي الأعداء أوجبهم مجاهدة؟

---

١. وفي بعض النسخ: يفرح.

٢. الإختلاق: الإفتراء. وفي بعض النسخ: وأخلاق. وهو جمع «خلق» بالتحريك: أي، البالي.

٣. العِرض: النفس، والخليفة المحمودة. ويحتمل إرادة الإفتخار من حسن، وشرف.

قال عليه السلام: أقربهم إليك، وأعداهم لك، وأضرّهم بك، وأعظمهم لك عداوة، وأخفاهم لك شخصا مع دنوه منك، ومن يحرّض أعداءك عليك وهو إبليس الموكل بوسواس القلوب، فله؛ فلتشتدّ عداوتك، ولا يكوننّ أصبر على مجاهدته لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته، فإنّه أضعف منك ركناً في قوّته[1]، وأقلّ منك ضرراً في كثرة شرّه. إذا أنت اعتصمت بالله؛ فقد هُديت إلى صراط مستقيم.

يا هشام، مَن أكرمه الله بثلاث؛ فقد لطف له: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخالفة الفقر.

يا هشام، احذر هذه الدنيا، واحذر أهلها؛ فإنّ الناس فيها على أربعة أصناف: رجل متردّ معانق لهواه. ومتعلّم مقرئ كلّما ازداد علماً، ازداد كبراً، يستعلي بقراءته، وعلمه على من هو دونه. وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته، ويُحب أن يُعظّم ويُوقّر. وذي بصيرة، عالم، عارف بطريق الحقّ، يُحبّ القيام به، فهو عاجز أو مغلوب، ولا يقدر على القيام بما يعرفه، فهو محزون، مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه[2]، وأوجههم عقلاً.

يا هشام، اعرف العقل وجنده، والجهل وجنده؛ تكن من المهتدين.

قال هشام: فقلت: جُعلت فداك، لا نعرف إلا ما عرّفتنا.

فقال عليه السلام: يا هشام، إنّ الله خلق العقل، وهو أوّل خلق خلقه الله من الروحانيين[3] عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر؛ فأدبر، ثمّ قال له: أقبل؛ فأقبل. فقال الله عزّ وجلّ: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرّمتك على جميع خلقي. ثمّ خلق

---

١. الركن: العزّ والمنعة. وقيل: ما يقوى به، والأمر العظيم.

٢. الأمثل: الأفضل.

٣. يُطلق الروحاني على الأجسام اللطيفة، وعلى الجواهر المجرّدة إن قيل بها.

الجهل من البحر الأجاج الظلماني، فقال له: أدبر؛ فأدبر، ثمّ قال لـه: أقبـل؛ فلـم يُقبل، فقال له: أستكبرت. فلعنه.

ثمّ جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلمّا رأى الجهل ما كرّم الله به العقـل، وما أعطاه؛ أضمر له العداوة، فقـال الجهـل: يـا رب، هـذا خلـق مثلـي، خلقتـه وكرمته وقوّيته، وأنا ضدّه، ولا قوّة لي به. أعطني من الجند مثل ما أعطيته.

فقال الله تبارك وتعالى: نعم، فإن عصيتني بعد ذلك؛ أخرجتك وجنـدك مـن جواري، ومن رحمتي.

فقال: قد رضيت.

فأعطاه خمسة وسبعين جُنداً. فكان ممّا أعطى العقل من الخمـسة والـسبعين جُنداً الخير: وهو وزير العقل، وجعل ضدّه الشرّ: وهو وزير الجهل.

جُنود العقل، والجهل: الإيمان، الكفر. التصديق، التكذيب. الإخلاص، النفاق. الرجاء، القنوط. العدل، الجور. الرضى، السخط. الشكر، الكفران. اليأس، الطمـع. التوكّل، الحرص. الرأفة، الغلظة. العلم، الجهل. العفّـة، التهتّـك. الزهـد، الرغبـة. الرفق، الخرق. الرهبة، الجرأة. التواضع، الكبر. التؤدة[١]، العجلـة. الحلـم، الـسفه. الصمت، الهذر[٢]. الإستسلام، الإستكبار. التسليم، التجبّر. العفو، الحقـد. الرحمـة، القسوة. اليقين، الشكّ. الصبر، الجزع. الـصفح، الإنتقـام. الغنـى، الفقـر. التفكّـر، السهو. الحفظ، النسيان. التواصل، القطيعـة. القناعـة، الـشره[٣]. المؤاسـاة، المنـع.

---

١. التؤدة: الرزانة، والتأنّي.

٢. الهذر: الهذيان، والكلام الذي لا يعبأ به.

٣. الشره ـ بالتحريك ـ : مصدر من باب فرح. وقيل: الحرص. ولو كان الـشره ـ بالكـسر فالتـشديد ـ : الحدّة، والحرص.

المودّة، العداوة. الوفاء، الغدر. الطاعة، المعصية. الخضوع، التطاول[1]. السلامة، البلاء. الفهم، الغباوة[2]. المعرفة، الإنكار. المداراة، المكاشفة. سلامة الغيب، المماكرة[3]. الكتمان، الإفشاء. البرّ، العقوق. الحقيقة، التسويف[4]. المعروف، المنكر. التقيّة، الإذاعة. الإنصاف، الظلم. التقى، الحسد. النظافة، القذارة. الحياء، القحّة[5]. القصد، الإسراف. الراحة، التعب. السهولة، الصعوبة. العافيّة، البلوى. القوام[6]، المكاثرة[7]. الحكمة، الهوى. الوقار، الخفّة. السعادة، الشقاء. التوبة، الإصرار. المحافظة[8]، التهاون. الدعاء، الإستنكاف. النشاط، الكسل. الفرح، الحزن. الأُلفة، الفرقة. السخاء، البخل. الخشوع، العجب. صون الحديث[9]، النميمة. الإستغفار، الإغترار. الكياسة، الحمق.

يا هشام، لا تجمع هذه الخصال إلا لنبي، أو وصي نبي، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتّى يستكمل العقل، ويتخلّص من جُنود الجهل، فعند ذلك يكون في

---

١. التطاول: التكبر، والترفّع.

٢. الغباوة: الغفلة، وقلّة الفطنة.

٣. المماكرة: المخادعة.

٤. التسويف: المطل، والتأخير.

٥. القحّة: الوقاحة، وقلّة الحياء.

٦. القوام: العدل، والإعتدال.

٧. المكاثرة: المفاخرة.

٨. في بعض نسخ تُحف العقول: المخالفة.

٩. في بعض نسخ تُحف العقول: صدق الحديث.

أقول: لا يخفى إنّ عدد ما ذُكر تفصيلاً لا يبلغ ما ذكره إجمالاً، ولعلّ هناك سقط، كما أنّ الوارد في الخصال للصدوق، والمحاسن للبرقي: عن سُماعة: إحدى وثمانون، وفي الكافي للكليني: ثمانية وسبعون؛ ويحتمل كون الإختلاف تصحيف جاء عن النُسّاخ، والله أعلم.

الدرجة العليا مع الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام.[1]

شرح مبسّط لبعض مفردات الوصيّة

قوله عليه السلام: يا هشام، إنّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل، والفهم في كتابه، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ...﴾.

أقول: إنّ هذا الحديث الشريف الرائع ينطوي على قواعد علمية كثيرة قد ابتُني عليها مدار الكون بكلّ شراشره، بما يدعو الإنسان في المُضي نحو حياة علمية وعملية معاً؛ لينال نصيبه من الحياة الدنيا، وسعادته الأبديّة في الآخرة.

فما يحمله الحديث الشريف بين دفّتيه من فصول خطابيّة؛ كلّها شواهد مُطَمئنة للنفوس المؤمنة، ومشاهد مُحفّزة لذوي العقول الباحثة عن الإيمان الحقّ.

فقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ...﴾[2]. بحدّ ذاته إشارة إلى أنّ مجرّد اجتناب عبادة الطاغوت، وترك طاعته، لا ينفعان ما لم يجتمعا وإثبات الغاية ـ أي، عبادة الله، وطاعته ـ من ذلك. فهناك ربط حقيقي بين العملين، وهدفهما، ليكون الإنسان أهدى، وأرشد إلى الحقّ والصواب، وأنصح في طاعته لمولاه سبحانه.

قوله عليه السلام: إنّ الله تعالى أكمل للناس الحجج بالعقول.

نعم، لمّا تعلّقت الإرادة الأزلية من خلق الكائنات، وتقيّدت الغاية من خلق العباد في أن يعرفوه عزّ وجلّ، ليعبدوه؛ نصب لهم الادلّة والبراهين على معرفته،

---

١. راجع نصّه في تُحف العقول للحرّاني: ص٣٨٣. وكذلك الكافي للكليني: ج١ ص١٣ ح١٢. مختصراً.

٢. سورة الزمر، الآية: ١٧ـ١٨.

فأُنيرت أعلامها، وأُبلجت سُبُلها، مشيرة بذلك على تفرّده في الوجود، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1]. فوجوبه في الآفاق والأنفس، وفي كلّ شيء دلالة على أنّه واحد.

وبما أنّ للعقل كامل الإستعداد في البرهنة على جميع بديهيات الوجوب، واستقرائها، وأنّه حجّة بنفسه على الإنسان، لكنّه مع ذلك ليس حجّة كاملة يُستطاع من خلاله الوقوف مستقلاً على متشابهات الأُمور، وغوامض الأسرار؛ لذا أُشرك معه في صورة الإقتفاء وحدها عضوين حسّيين لإثبات الحجّة كاملةً على حامله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[2]. إذ لو كان مستغني بالهداية عن الهادي المُرشد لما كانت الحاجة إلى بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام. فالعقل وإن أدرك بعض الظواهر لحقائق الإمكان المناط كامل علمها بالرسل، والأنبياء، وأوصيائهم عليهم السلام، إلاّ أنّه مع ما بلغ من السمو والرفعة؛ يضل قاصراً عن إدراك وفهم العلل المُسبّبة لتلك الحقائق بجميع ظواهرها.

لذا فالعقل يعمل بأُفق خاصّ، ضمن نشاط محدود، ولقصوره صار يحتاج إلى هاد، ومرشد؛ فكان من لطف الحكيم سبحانه بعثه الأنبياء، والرسل، وأوصياءهم عليهم السلام، بما أيّدهم به من أدلّة، وبراهين، ومعاجز تأخذ بالعقل نحو فهم علل الحقائق، وإدراك ظواهرها، ليتبيّن له من بعد ذلك مقتضى الحكمة من وراء إمكان الوجود، فضلاً عن وجوده.

قوله عليه السلام: ودلّهم على ربوبيّته بالأدلّة. فقال: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

---

١. سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

٢. سورة الإسراء، الآية: ٦٣.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[١]. واحدة من ألطاف الله سبحانه إرساله النبيين بالحكمة، والبيان لإتمام الحجّة على خلقه بإظهارهم معنى الحقائق، ومعرفة أسبابها؛ للإجابة على أنّ الله هو الحقّ، الواجب على عباده أن يعبدوه وحده، لا يُشركون بعبادته أحداً. ووجوب وجوده ذاتي، لا يشاركه فيه شيء، ولا يُنازعه في صفاته، وأسمائه الذاتيّة مُنازع.

فقوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ﴾. جملة تُفيد اختصاص الإلوهيّة بالله عزّ اسمه، ووحدته فيها متفرّدة تليق بساحة قدسه سبحانه وتعالى؛ وذلك أنّ لفظة «الواحد» بحسب تفاهم العرف لا تدلّ على أزيد من مفهوم الوحدة العامّة التي تقبل الإنطباق على أنواع مختلفة لا يليق به تعالى وتقدّس إلا بعضها. فهناك وحدة عدديّة، ووحدة نوعيّة، ووحدة جنسيّة، وغير ذلك. فلو قيل: والله إله واحد. لم يكن فيه توحيد؛ لأنّ المشركين أيضاً يرون أنّه تعالى إله واحد، كما أنّ كل واحد من آلهتهم عندهم إله واحد، ولو قيل: وإلهكم واحد. لم يكن نصّاً بالتوحيد؛ لإمكان أن يذهب الوهم إلى أنّه واحد في النوع؛ وهو الأُلوهية. وأمّا لو قيل: وإلهكم إله واحد. فيثبت أنّه إله واحد ـ مقابل إلهين اثنين، وآلهة كثيرة.

وعلى ضوء قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾. يُمكننا التعرّف إلى برهانين: أحدهما: فطري. والآخر: علمي. لأنّ البحث عن معرفة الخالق المطلق، والتعرّف إلى حكمته من إيجاد الوجود؛ أمر قد شغل البشر منذ بداية نشأته في هذه الحياة الدنيا، فاتّجه في بحثه متطلّعاً نحو فهم الغاية من الإيجاد؛ فكان يدفعه إليها شعور ممتزج بخوفه من الوحدة التي لا يُريد أن يكون منطوياً فيها تحت قُبّة هذا العالم الكبير، مؤمّلاً نفسه في الوصول ـ بتأثير فطرته التي جُبل عليها ـ

---

١. سورة البقرة، الآية: ٦٣.

نحو ما يمكن أن يزرع فيه روح الأمل بأنّ هناك من وراء إيجاده ـ في هذا الكون الفسيح ـ موجداً تتحدّر عنه جميع الممكنات.

نعم، فليس غير الفطرة مَن يُحفّز الإنسان على هذا الشعور؛ لما لها من نقاء صلة بربّها سبحانه، وعلى هذا كان الإسلام دين الفطرة، ودعوته صريحة في ذلك، كما يشير إليه الحديث الشريف: كل مولود يولد على الفطرة ـ أي على دين الفطرة؛ وهو الإسلام ـ حتّى يكون أبواه يُهودانه، ويُنصّرانه، ويُمجّسانه.[1]

وممّا يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[2]. أي، أشهدهم على أنفسهم بما أودع في عقولهم ـ الغريزيّة ـ من البراهين المضيئة بأدلّتها على وحدانيّته، لئلا يغفل الإنسان عن سابق إقراره بوحدانية الله تعالى بما أودع فيه من فطرة تتطلّع دوماً نحو فاطرها، متشوّقة في الوصول إليه.

ولعلّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]. إشارة لما عليه فطرة الإنسان من تطلّع لا تقنع معه بمعرفة الظواهر السطحيّة عموماً، وكما تنقلها إليه حواسّه، وينفعل لها، بل يتوق إلى تناولها بعقله، ونفاذ بصيرته؛ ليعرف حقائق الأشياء الكامنة في باطنها بعللها؛ ليعلم من أين جاء، وكيف وُجد، ولما صار، وإلى مَن ينتهي.

نعم، فلا بأس هنا من الإستزادة معاً لأن نعلم أنّ المعرفة عموماً تنقسم إلى معرفتين:

---

١. غوالي اللئالي للإحسائي: ج١ ص٣٥، الفصل الرابع، ح١٨.

٢. سورة الأعراف: ١٧٢.

٣. سورة الروم، الآية: ٣٠.

الأُولى: المعرفة بالآيات الأنفسيّة.

والثانيّة: المعرفة بالآيات الآفاقيّة.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2].

قال السيّد الطباطبائي: وكون السير الأ نفسي أنفع من السير الآفاقي؛ لعلّه لكون المعرفة النفسانيّة لا تنفكّ عادة من إصلاح أوصافها، وأعمالها، بخلاف المعرفة الآفاقيّة، وذلك أنّ كون معرفة الآيات نافعة إنّما هو لأنّ معرفة الآيات بما هي آيات موصلة إلى معرفة الله سبحانه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله؛ ككونه تعالى حيّاً لا يعرضه موت، وقادراً لا يشوبه عجز، وعالماً لا يُخالطه جهل، وأنّه تعالى هو الخالق لكلّ شئ، والمالك لكلّ شئ، والربّ القائم على كلّ نفس بما كسبت. خلق الخلق لا لحاجة منه إليهم، بل ليُنعم عليهم بما استحقّوه ثمّ يجمعهم ليوم الجمع، لا ريب فيه؛ ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. وهذه وأمثالها معارف حقّة إذا تناولها الإنسان، وأتقنها؛ مثّلت له حقيقة حياته، وأنها حياة مؤبّدة ذات سعادة دائمة، أو شُقوة لازمة، وليست بتلك المتهوّسة، المنقطعة، اللاهية، اللاغية. وهذا موقف علمي يهدى الإنسان إلى تكاليف، ووظائف بالنسبة إلى ربّه، وبالنسبة إلى أبناء نوعه في الحياة الدنيا، والحياة الآخرة، وهى التى نُسمّيها بـ«الدين»...

فتلخّص ممّا ذكرنا: إنّ النظر في الآيات الأنفسيّة، والآفاقيّة، تقودان معاً إلى

---

١. سورة حم السجدة، الآية: ٥٣.

٢. سورة الذاريات، الآية: ٢١.

معرفة الله سبحانه، وبهما يهتدي الإنسان إلى التمسّك بالدين الحقّ، والشريعة الإلهيّة من جهة تمثيل المعرفة المذكورة الحياة الإنسانيّة المؤبّدة له عند ذلك، وتعلّقها بالتوحيد، والمعاد، والنبوّة. وهذه هداية إلى الإيمان، والتقوى، يشترك فيها الطريقان معاً؛ أعني، طريقي النظر إلى الآفاق، والأنفس...

عن الشعبي، عن أميرالمؤمنين عليه السلام في كلام له: إنّ الله أجل من أن يحتجب عن شئ، أو يُحتجب عنه شئ.[1] وفي التوحيد: عن موسى بن جعفر عليهما السلام في كلام له: ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلا هو الكبير المتعال.[2]... وقد أطبق الكتاب والسنّة، وجرت السيرة الطاهرة النبويّة، وسيرة أهل بيته الطاهرين على قبول من آمن بالله عن نظر آفاقي ـ وهو النظر الشائع بين المؤمنين ـ فالطريقان نافعان جميعاً؛ لكنّ النفع في طريق النفس أتمّ وأغزر.[3]

وعليه، فمعرفة الله سبحانه وتعالى كما يليق وينبغي؛ إنّما هي محجوبة عن إدراك الإنسان عموماً مالم يتريّض، مُستنيراً بهُدى الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم عليهم السلام.

كما أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4]. يُشير إلى أنّ مفهوم هذه الآية مسوق للدلالة والبرهنة على ما تضمّنته

---

١. الإرشاد للمفيد: ج ١ ص٢٢٤، في وجوب المعرفة بالله، والتوحيد.

٢. التوحيد للصدوق: ص١٧٨رقم١٢.

٣. تفسير الميزان: ج ٦ ص ١٧٠، مورد تفسير سورة المائدة، الآية: ٦٨ـ٨٦.

٤. سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

الآية السابقة ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فتلك الآية تنحلّ بحسب المعنى إلى أنّ لكلّ شيء من هذه الأشياء ـ المذكورة ـ إلهاً، وأنّ إله الجميع واحد، وأنّ هذا الإله الواحد هو إلهكم، وأنّه رحمن، مُفيض للرحمة العامّة، ورحيم يسوق إلى سعادة الآخرة. فهذه حقائق حقّة.

كذلك تبيّن الآية الكريمة نظام الكون، والعالم العلوي والسفلي، وارتباطهما، وتعاشقهما، واختلاف الليل والنهار، وكيف بدأ بالفُلك، وثنّى بعلم الطبيعة، وجعلها منظّمة كأنّها إنسان واحد، ونبات واحد كدورة مترابطة للحياة في الطبيعة؛ فترى كل كائن مستمداً من سواه.

وقال عليه السلام: يا هشام، ثمّ وعّظ ـ الله تعالى ـ أهل العقل، ورغّبهم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ...﴾[1]. أي، وما أعمال الدنيا إلا لعب ولهو؛ لأنّ منافعها قليلة ومنقطعة، أو لأنّها تلهي الناس، وتشغلهم عمّا فيه نفع كثير دائم، ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ لدوامها، وخلوص منافعها، وملذّاتها غير المُنقطعة ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ألا تتفكّرون وتعقلون؟ أليس لكم عقل سليم حيث تركتم الآخرة ونعمائها الدائمة لملذّات الدنيا الزائلة الفانية؟!

فالآية الشريفة بصدد بيان حال الحياتين ـ الدنيا، والآخرة ـ والمقايسة بينهما؛ فالحياة الدنيويّة لعب ولهو، وزينة وتفاخر بين الناس، وتكاثر في الأموال والأولاد، وهي تدور مدار العقائد الإعتباريّة، والأغراض الموهومة، وكثيراً ما تدور حول الأمور الخرافيّة الجاهليّة، وهذا هو اللعب.

ثمّ هي شاغلة لبني آدم عمّا ينبغي أن يهمّه من أمر آخرته، وحياته الأُخرويّة، وهي الحياة الحقيقيّة الدائمة.

---

١. سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

فالحياة الدنيويّة الزائلة، الفانية؛ لهو، والحياة الأُخرويّة لثباتها، ودوامها، وبقائها، وخلودها، حقيقة ثابتة؛ فهي خير، ولا ينالها إلا المتّقون.

وقال عليه السلام: ثمّ خوّف ـ الله تعالى ـ الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۝ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]. الذين خوّفهم الله عقابه هم كفّار مكة، ثم دمرناهم، أي بعد ما نجيّنا لوطاً وأهله دمّرنا قومه وأهلكناهم، وإنّكم يا أهل مكّة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾[٢]. أي لتمرّون على قريتهم المدمّرة ـ سدوم ـ وعلى منازلهم المهدمة المخروبة الواقعة في طريق رحلتكم الصيفية إلى الشام للتجارة صباحاً ومساءً وليلاً ونهاراً، أليس لكم عقل سليم تعتبرون به. ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣]. أي، ألا تعقلوا بعد هذا، وترعووا إلى الصواب!؟

وقوله عليه السلام: إنّ العقل مع العلم، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٤].

لعلّ المُراد من قوله عليه السلام: إنّ العقل مع العلم. إشارة إلى أنّ العلم واجب، لأنّ به تُحفظ مواهب العقل ومداركه، كما يُشمّ من الآية التي استشهد بها عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا...﴾.

ولعلّ المُراد بالعقل هنا: هو التدبّر في خلق الله، وبديع صنعه، والإستدلال به على وجوده، وتفرّده سبحانه بالعبوديّة.

إنّ الأمثال المضروبة في القرآن على أنّها عامّة، تُقرع سماع عامّة الناس، لكنّ الإشراف على حقيقة معانيها، ولُباب مقاصدها خاصّة للذين يعقلون حقائق

---

١. سورة الصافات، الآية: ١٣٦.

٢. سورة الصافات، الآية: ١٣٧.

٣. سورة الصافّات، الآية: ١٣٨.

٤. سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

الأمور، وليسوا بجامدين على الظواهر، وأُولئك هم العالمون، العاملون.

نعم، يختلف الناس في تلقي الأمثال القرآنية باختلاف إفهامهم، ومشاعرهم. فمِن مُتلقّي لاحظّ له منها إلا معرفة ألفاظها، وتصوّر بعض ظواهرها، وآخر جادّ يغور بتلقّيها، ويتدبّر متفكّراً في معانيها، ومفاهيمها الدقيقة، ليعقل حقائقها السامية الرفيعة.

قوله عليه السلام: ثمّ ذمّ الذين لا يعقلون، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[1]. هذا بيان حال كفّار قريش، وكلّ من سار على نهجهم، فإذا قيل لهم: آمنوا بالله، وقولوا: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، واتّبعوا ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله من أحكام الحلال والحرام، وكُلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً، ولا تتّبعوا خطوات الشيطان؛ فإنّه لكم عدوّ مبين، يدعوكم للسوء، والفحشاء، والمنكر. قالوا: بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا!

وجوابهم هذا إنّما ينبع عن محض جهالة، وعدم إدراكهم لشيءٍ من العلم، أوالمنطق، كما وينافيه صريح الكتاب الذي يُلزم الإنسان كامل المسؤوليّة باقتفاء الأثر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[2]. أي الذين يتّبعون آباءهم، أو ينعقون وراء كلّ ناعق، مُطلاقاً من دون قيد أوشرط، حتّى ولو لم يعلموا شيئاً أويهتدون؛ إنّما يتّبعون الشيطان، فيضلّهم بجهله، ومالهم في الآخرة من شفيع.

قوله عليه السلام: فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

---

١. سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

٢. سورة البقرة، الآية: ٣٦.

٣. سورة النحل، الآية: ١٢.

وهذه الآية تُذكّر بتسخير الله الليل والنهار لمنفعة عباده، وما يحصل به استقامة مصالح الناس عموماً جراء تذليلهما؛ لأن الزمان يتولّد منهما؛ فهما قسماه. فالزمان ليس إلا وليد حركة يوميّة دورانيّة للأرض حول نفسها أمام الشمس ينشأ عنها الليل النهار. وأُخرى سنويّة دوريّة لها حول الشمس ينشاء عنها الفصول الأربعة للعام.

فهذه الأجرام العلويّة في إنارتها، وتسخينها، وهذه الأرض على اختلاف ليلها ونهارها، ورياحها، وسُحُبها، وأمطارها، ومنافعها كفيلة بالعود على الإنسان بما يحتاج إليه من أسباب الحياة؛ فالإنسان لا يحتاج في حياته ومعيشته إلى أزيد من هذا النظام الدقيق، الشامل.

وقوله عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]. هذه الآية وقبلها وكذلك بعدها آيات كلّها تدعو الإنسان إلى التفكّر، والتدبّر في خلق الله، وآياته، وصُنعه.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[5].

---

١. سورة الروم، الآية: ٢٤.

٢. سورة الروم، الآية: ٢٠.

٣. سورة الروم، الآية: ٢١.

٤. سورة الروم، الآية: ٢٢.

٥. سورة الروم، الآية: ٢٣.

فكلّ واحدة من هذه الآيات دالّة على أنّه سبحانه إلـه واحـد، وربّ حكـيم، عليم، قاهر، قدير. وفيها كذلك إشارة إلى امتـزاج الخلـق والتـدبير، وتـداخلهما ليتّضح بذلك أنّ الربوبيّة معناها: ملك التدبير، والألوهية هي: المعبوديّة حقّاً، ولا يستحقّهما إلا الله الذي خلق الأشياء، وأوجد الكـون ومـا فيـه، ولا إلـه إلا هـو وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو ربّ العالمين.

وقوله عليه السلام: وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾[1].

إنّ البرق مخـوف؛ يخـاف منـه الإنـسان؛ لأنّـه يحمـل الـصواعق المـدمّرة، والمُميتة، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[2]. فـضلاً عـن نـوره الـذي يخطـف الأبصار، كما جاء فـي قولـه تعـالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[3]. وفـي نفـس الوقت يطمع الإنسان في البرق؛ لإستدلاله الطريق بواسطته فـي الليلـة الظلمـاء، كما أشار إليه في قوله تعـالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾[4]. كمـا أفادت معطيات العلم الحديث: بأنّ للبـرق خاصّيّة علـى إغنـاء التربـة بعنـصر النتروجين المهمّ في تقوية نسيجها البنائي الذي يكـسبها فـائق الخـصوبة، ممّـا يساعد نموذجياً على عملية نمو النباتات، والتسريع في إنضاج ثمارها.

وقوله عليه السلام: وقـال تعـالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[5]. وتمام الآية الكريمة: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾.

---

١. سورة الروم، الآية: ٢٤.

٢. سورة البقرة، الآية: ١٩.

٣. سورة البقرة، الآية: ٢٠.

٤. سورة البقرة، الآية: ٢٠.

٥. سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

الخرص: الكذب، والتخمين. وهذا المعنى هنا أنسب، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾، و: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾. في موقع التعليل لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ﴾.

واتّباع الظنّ، والقول بالخرص، والتخمين سببان بالطبع للضلال في الأُمور التي يسوغ الإعتماد فيها إلا على العلم واليقين كالمعارف الإلهية، والشرائع النازلة من عند الله.

وسير الإنسان وسلوكه في هذا العالم المادّي وإن كان لا يتمّ دون الركون إلى الظنّ والإستمداد من التخمين، حتّى أنّ الباحث عن العلوم الإعتبارية، والعلل، والأسباب التي تدعو الإنسان إلى صوغها في قالب الإعتبار، وارتباطها بشؤونه وأعماله، وأحواله، لا يكاد يجد ـ عادة ـ مصداقاً يركن الإنسان فيه إلى العلم الخالص، واليقين المحض، اللهمّ إلا بعض الكليات النظرية التي ينتهي إليها، ممّا يضطر إلى الإذعان بها، والإعتماد عليها، إلا أنّ ذلك كلّه فيما يقبل التقريب، والتخمين من جزئيات الأمور في الحياة.

وأمّا السعادة الإنسانيّة التي فيها فوز هذا النوع وفلاحه، والشقاء الذي يرتبط به الهلاك الأبدي، والخسران الدائم، وما يتوقّف عليه التبصّر فيهما من النظر في العالم وصانعه، والغرض من إيجاده، وما ينتهي إليه الأمر من البعث والنشور، وما يتعلّق به من النبوّة، والكتاب، والحكم؛ فإنّ ذلك كلّه ممّا لا يقبل الركون إلى الظنّ والتخمين، والله سبحانه وتعالى لا يرتضي في ذلك من عباده إلا بالعلم واليقين: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[١].

ومن أوضحها دلالة هذه الآية التي نحن فيها، يُبين فيها: أإنّ أكثر أهل الأرض

---

١. سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

لركونهم العامّ إلى الظنّ، والتخمين، لا يجوز طاعتهم فيما يدعون إليه، ويأمرون به في سبيل الله، وطريق عبوديته، لأنّ الظنّ ليس ممّا يكشف به عن الحق الذي يستراح إليه في أمر الربوبيّة والعبوديّة، لملازمته الجهل بالواقع، وعدم الإطمئنان إليه، ولا عبوديّة مع الجهل بالربّ وما يريده من عبده.[١]

وقال العلامة المجلسي:

قوله عليه السلام: ثمّ ذمّ الله الكثرة ـ أي، الكثرة اطلاقاً ـ للمبدأ على المشتق، وإنّما ذكر عليه السلام ذلك ردّاً ممّا يُتوهّم أكثر الخلق من أنّ كثرة من يذهب إلى مذهب من شواهد حقّيته، أو لأنّه عليه السلام لمّا بيّن أنّ العقلاء الكاملين يتّبعون الحقّ، فربّما يُتوهّم منه إنّه إذا ذهب أكثر الناس إلى مذهب فيكون ذلك المذهب حقّاً؛ لوجود العقلاء فيهم، ويلزم من ذلك بطلان ما ذهب إليه الأقل كالفرقة الناجية، فأزال عليه السلام ذلك التوهّم؛ بأنّه لا يلزم من الكثرة وجود العقلاء فيهم، فإنّ أكثر الناس لايعقلون.[٢]

وقوله عليه السلام: ثمّ ذكر ـ الله عزّ وجلّ ـ أولى الألباب، فقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾[٣]. الحكمة هي القضايا الحقّة المطابقة للواقع من حيث اشتمالها على سعادة من أعطاه الله إياها من المعارف الحقّة الإلهيّة في المبدأ والمعاد، والمعارف التي تشرح حقائق العالم الطبيعي من جهة مساسها بسعادة الإنسان كالحقائق الفطريّة التي هي أساس التشريعات الدينيّة.

﴿وَمَن يُؤْتَ﴾. أي، ومن أعطي ﴿الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ﴾ أعطي ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ الجملة تدلّ على أنّ الحكمة بنفسها منشأ الخير الكثير ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

---

١. تفسير الميزان: ج ٦ ص ٣٣٠، مورد تفسير سورة الأنعام، الآية: ١١٦..

٢. مرآة العقول: ج١ ص٤٩.

٣. سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

والتذكّر: الإنتقال من النتيجة إلى مقدّماتها، أومن الشيء إلى نتائجه. فاقتناص الحكمة متوقّف على التذكّر، والتذكّر متوقّف على العقل السليم. فلا حكمة لمن لا عقل له.[١]

قال العلامة المجلسي: اللبّ: العقل. وأريد به هنا: ذوي العقول الكاملة. والحكمة تحقيق العلم، وإتقان العمل. وروي عن الصادق عليه السلام: الحكمة طاعة الله، ومعرفة الإمام.

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام: الحكمة معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله تعالى عليها النار.

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام: الحكمة المعرفة، والفقه في الدين. فمن فقه منكم؛ فهو حكيم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: رأس الحكمة مخافة الله.

قال: وقال في المغرب [للمُطرّزي]: الحكمة: ما يمنع من قبيح. وقال ابن دريد: كل ما يؤدّي إلى مكرمة، أو يمنع من قبيح. وقال الشيخ البهائي: الحكمة ما يتضمّن صلاح النشأتين، أو صلاح النشأة الأُخرى، وأمّا ما تضمّن صلاح الحال في الدنيا فقط؛ فليس من الحكمة في شيء.

﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. أي، يُذخر له خير كثير في الدارين ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾. أي، وما يتّعظ بما قُصّ من الآيات، أو ما يتفكّر، فإنّ المتفكّر كالمتذكّر لما أودع الله في قلبه من العلوم بالقوّة، أو ما يتنبّه للفرق بين مَن أوتي الحكمة، ومَن لم يوت، إلا أولو العقول الخالصة عن شوائب الوهم ومتابعة الهوى.[٢]

---

١. بتصرّف عن تفسير الميزان للطباطبائي: ج٢ ص٤١٨، مورد تفسير سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٢. مرآة العقول: ج١ ص٥١.

وقوله عليه السلام: إنّ الله [تعالى] يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[١]. والقلب: العقل. وما يعقل به الإنسان فيميّز الحقّ من الباطل، والخير من الشرّ، والنفع من الضرّ. وإلقاء السمع، هو: الإستماع. والشهيد: الحاضر المشاهد.

يعني، إنّ فيما أُخبرنا به من الحقائق وأشرنا إليه من قصص بعض الأُمم الهالكة، والبائدة لهي ذكرى لمن يتذكّر، ويتعقّل؛ فيُدرك الحقّ، ويختار ما فيه الخير، والصلاح، أو استمع إلى كلام الحقّ، ولم يشغله عنه شيء وهو حاضر شاهد يعي ما يسمعه.

والترديد بين مَن كان له قلب ـ عقل ـ ومَن ألقى السمع وهو شهيد؛ هو أنّ المؤمن بالحقّ صنفان: صنف ذووا عقول سليمة تهديهم إلى الحقّ، فيتّبعون بتفكّر، وتدبّر، وتعقّل. وصنف ليسوا بأهل تفكّر، وتعقّل حتّى يُميّزوا الحقّ، والخير، وما فيه المنفعة، فيستمعون القول، ويتّبعون أحسنه. والذي ليس له عقل متفكّر، ولا يستمع إلى ما يُلقى إليه من الرسائل المُنذرة؛ فهو جاهل متعنّت، لا عقل له ولا سمع، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٢].

قال العلامة المجلسي: اعلم أنّ القلب يُطلق على الجسم الصنوبري الذي هو في الجوف، وعلى الروح الحيواني المنبعث منه، وعلى النفس الناطقة المتعلّقة به أوّلاً؛ لشدّة تعلّقه بالعضو المخصوص، أو لكونه متقلّب الأحوال، وعلى قوّة إدراك الخير والشرّ، والتميز بينهما القائمة بالنفس المسمّاة بـ«العقل». ولعلّه عليه السلام فسّره ـ يعني، القلب ـ بهذا المعنى.[٣]

---

١. سورة ق، الآية: ٣٧.

٢. سورة الملك، الآية: ١٠.

٣. مرآة العقول: ج١ ص٥٤.

وقوله عليه السلام: وقال [تعالى]: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[١]. قال عليه السلام: الفهم، والعقل. وتمام الآية: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٢].

الحكمة: هي الفهم والعلم. كما فسّرها الإمام عليه السلام. وهي المعرفة النافعة، والعلم المفيد، وهي الوسط المعتدل بين الجهل والجربزة[٣][٤].

والشكر الحقيقي؛ هو وضع النعم في موضعها الذي ينبغي لها. وإيقاع الشكر كما ينبغي متوقّف على معرفة المُنعم، ومعرفة نعمه وآلائه، والحكمة من وضعها في موضعها الذي هي فيه؛ فإعطاء الله عزّ وجلّ لقمان الحكمة هو أن بعثه إلى الشكر، وأمره أن يشكره، وجعله من الشاكرين، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾. فنفع الشكر يرجع إلى الشاكر نفسه، كما أن الكفر لا يتضرر به إلا الكافر نفسه ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، فالله سبحانه وتعالى غني لا يتأثّر بشكر الشاكر، ولا بكفر الكافر، وإنّه تعالى حميد، محمود على ما أنعم.

قوله عليه السلام: إنّ لقمان قال لابنه: تواضع للحقّ؛ تكن أعقل الناس. التواضع للحقّ هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، والطاعة والإنقياد له سبحانه، فإنّ هذا من دلائل العقل لدى الإنسان.

وقوله عليه السلام: إن الكيّس لدى الحقّ يسير. فإنّ إدراك الحقّ، ومعرفته لدى العاقل الحازم؛ يسير، أو أنّ الغلبة بالكياسة عند القول بالحقّ، والإقرار به؛ يسير.

فمن استخدم أحاسيسه ومشاعره، واستغلّ طاقتها لخدمة مصالحه بما فُرض عليه من العمل، ولما فيه نجاحه وسعادته؛ فهو اللبيب الألمعي. وأذكى الناس،

---

١. سورة لقمان، الآية: ١٢.

٢. سورة لقمان، الآية: ١٢.

٣. الجربزة: الإفراط في الشيء.

٤. راجع تفسير الميزان: ج١٦ ص٢٢٦، مورد تفسير سورة لقمان، الآية: ١٢.

وأعقلهم هو الذي لا يرى لنفسه ـ مهما بلغ من القوّة، والإستطاعة، والمقدرة ـ وجوداً، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، القاهر القدير، فإذا عرف الله كذلك؛ يخرّ له تواضعاً، وتذلّلاً وخشوعاً، وخشيةً، فذلك هو الكيّس، ذو العقل السليم الثاقب، الذي لا يرى لنفسه أثراً، ولا قدراً، وما عنده لا يراه سوى نعمة من نعم الله عليه، توجب على نفسه الشكر لله، والتواضع، والخضوع تجاه عزّته وعظمته سبحانه.

وقال لقمان لابنه: يا بُني، إنّ الدنيا بحر عميق، قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله.... إنّ هذا التصوّر تتجلّى للإنسان فيه حقيقة الدنيا؛ ليتّخذ منه سبل نجاته ونجاحه، يصوّر الدنيا بمثل البحر لتغيّر صورها، واستحالة أشكالها، والكائنات فيها كالأمواج، فهي متعاقبة الكون والفساد، والناس فيها مسافرون، وأبدانهم كالنفس تقلّهم، ومن أراد الوصول إلى ساحل النجاة سالماً غانماً؛ فليتّخذ طاعة الله، ولتكن تقواه سفينته؛ ليتجاوز بها البحر الموّاج المتلاطم إلى ساحل النجاة.

نعم، فإنّ التقوى مِن الوقاية. والمتّقي هو الذي يصون نفسه عمّا يضرّها، هارباً ممّا يخاف الله منه، ويخشاه. فمخافة العبد لله هو أصل التقوى، والخوف بحدّ ذاته يستلزم معرفة المخوف، فمن عرف الله؛ خافه، ومن خافه، اتّقاه، ومن اتّقى الله؛ حافظ على نفسه، وصانها من عذاب الله في الدنيا والآخرة. ولله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عناية خاصّة بالتقوى، وكثيراً ما يأمر بها، ويوجّه الناس للأخذ بأسبابها. فتجد التقوى ومشتقاتها محوراً لكثير من الآيات الأخلاقية، والإجتماعية، وبأساليب مختلفة؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2]. وغيرهما.

وهذا يُمكن أن يتمّ بالتوجّه إليه سبحانه وتعالى في العبادة، وباجتناب كلّ ما يأباه سبحانه من شرك، ودعوى النبوّة، وتقمّص خلافة النبوّة، وإمامة الأُمّة جُزافاً، بلا حجّة، أوبرهان، وتعدّي حدود الله، بالخروج عن أحكامه العادلة، وما جاءت به شرائعه السامقة، بل واجتناب كلّ ما يحول بين الإنسان ورضا مولاه جلّ وعلا، ولذلك جاء وصف المتّقين في كتاب الله الكريم بأنّهم قد بلغوا الذروة في مراتب الكمال الإنساني، والسمو الإيماني والأخلاقي، حيث قال جلّ وعلا: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3].

وقوله عليه السلام: إنّ لكلّ شيء دليلاً ودليل العقل التفكّر...

يصف عليه السلام التفكّر بأنّه دليل العقل، والصمت دليل التفكّر، والدليل ليس إلا ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، نفياً أو إثباتاً؛ وإنّما الصمت كان دليل التفكّر لما كان من العقل مع الفكر متعاونين في تشييد قاعدة علميّة، أو الإنشغال بحقيقة شيء ما، أو غير ذلك ممّا يتطلّبه مجهود العقل والفكر معاً؛ فبهذا كان التفكّر دليل العقل، والصمت دليل التفكّر. ومطيّة العقل التي بها يبلغ غايته هي التواضع. ولعلّ التواضع يُعد من أعظم الوسائل التي استخدمتها النفس في سبيل

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

٢. سورة الطلاق، الآية: ٢ـ٣.

٣. سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

رقيّها؛ لأنّ النفس المتواضعة تُذلل كلّ الموانع التي تحول بين العقل وكمالاته، ممّا يكسبها تواضعها لأن تتصور أنّها مفتقرة دوماً إلى الغير، فتطلب من العقل أن يرفعها الى مستوى أسمى، بعكس التكبّر الذي يجعل من النفس عنصراً طاغياً، فيصدّها عن الإصلاح الأدبي، والرقي العلمي نحو ما ينبغي للإنسان من مستوى رفيع، ومقام منيع؛ لأنّ الكبر يعمي، ويصمّ، فيتعامى به الإنسان عن نقائصه وعيوبه؛ فيُحلّق بنفسه فوق مستواها، مُثيراً لدافع العُجب لديها، فتجده يأبى أن يسمع النصيحة من غيره، ويحول بينه وبين التعلّم، والإستفادة من علوم كانت خافية عنه؛ فيتردى إلى هوة الجهل، والإنحطاط.

وقولهعليه السلام: وكفى بك جهلاً أن تركب ما نُهيت عنه...

لعلّ هذا رمزاً لما سبق وإن كان النهي يعمّ الكبرياء وغيره، لأنّ النهي يقع على الأُمور الغير مشروعة مطلقاً؛ لما لها من مُشاغلة الذهن عن التفكّر والتدبّر في الآفاق والأنفس، فضلاً عن استهلاكها للمدارك المعقولة بالقدر الذي يجعلها غير صالحة للتفاعل والإنفعال مع المُثل، والقيم السامية؛ لتراكم الرين على مستقبلاتها الذاتيّة، وانغلاق أقفالها.

قولهعليه السلام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله...

يوجّهعليه السلام الأنظار إلى ما أدرك الأنبياء والرسل من العلوم، والحكم، والمعارف الالهيّة، وأُيّدوا بتأييدات، وعنايات ربّانيّة. فالمعجزة ـ المعروفة لدى عقلاء البشر، بـ : خرق العادة ـ مثلاً تُعتبر إحدى تلك المُدركات لهمعليهم السلام بما لها من استعصاء على بني البشر لأن يأتي بمثلها، فضلاً عن كونها تُعد من قبيل ما لا تعهده العقول، وهذا الأمر الفائق المُسمّى بـ«المعجزة» دلالة دالّة على صدق الأنبياء والرسلعليهم السلام في دعواهم.

ثمّ إنّ الغرض من بعث الأنبياء والرسلعليهم السلام يتمحور في تحرير رقاب الناس

من أسر شيطان النفس، فيأمروهم بالمعروف، وينهوهم عن المنكر، ويُحلّوا لهم الطيبات، ويُحرّموا عليهم الخبائث، ويضعوا عنهم إصرهم، وأغلال الجاهليّة التي كانت عليهم، والعادات السيئة المتوارثة عمّن سبقهم. فأحسن الناس معرفة، وأكملهم عقلاً، وأرفعهم درجة في الدنيا والآخرة؛ أحسنهم استجابة لأنبيائهم ورسلهم، وأوصيائهم عليهم السلام.

وقوله عليه السلام: إنّ لله على الناس حجّتين.

امتاز البشر عن ساير الحيوان بالعقل؛ ولذلك صار أهلاً لأن يُكرمه الله، ويُفضّله على كثير ممّن خلق، ويُكلّفه بتكاليف ليس الغرض منها إلا توجيهه إلى ما فيه سعادته الدنيوية والأُخروية. ولمّا كان العقل قاصراً عن إدراك ما يسعد به الإنسان في الدارين بعث الله الأنبياء والرسل عليهم السلام لإستكمال النفوس البشريّة ورُقيّها من حضيض النقص والوبال إلى قمّة الفضل والكمال، ومن هبوط الجهالة والرذالة إلى شرف العزّ والسعادة، فبذلك تمّت الحجّة لله على عباده الذين اصطفاهم بالعقل، فالعقل هو حجّة الله الباطنة، والأنبياء والرسل والأئمّة المعصومون عليهم السلام حجّته الظاهرة.

قوله عليه السلام: إنّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

إنّ العاقل هو الذي تساوت لديه حالة البؤس والشدّة، وحالة الرخاء والسعة في شكر النعم، فهو شاكر لله تعالى على كلّ حال، إذ العقل لا يدع مجالاً لتأثير النعم على تغيير نظرته إلى نفسه بأنّه مفتقر ومحتاج إلى المنعم في كلّ الأحوال. والحرام لا يغلب صبره؛ لأنّه عاقل، والعاقل يتّخذ الصبر سلاحاً يمنع به عن نفسه كلّ قوّة تُداهمه من الشدائد والضيق والمصائب، وإلا تنهار نفسه، وتشقى.

قوله عليه السلام: من سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنّما أعان هواه على هدم عقله...

يلفت الإمام عليه السلام الأنظار إلى العوامل الهدّامة للعقل؛ فهناك صفات تقوم

بالعقل، وصفات تقوم بالهوى، وبين هذه وتلك تضاد بيّن، فالكلام الصادر عن مقتضى العقل؛ تكون حركته نحو العلم، وبالعلم يتنور الفكر. وأمّا الكلام الذي يصدر عن مقتضى الهوى، ورغبات النفس ومشتهياتها؛ فإنّه يُمحي لدى العقل طرائف الحكمة؛ لأنّ الفكر إذا كان متّجها إلى تحصيل الدنيا وحطامها، طال عليه الأمل؛ لانشغاله بتحصيل المبتغى والمطلوب، فيكون حائلاً عن تنوّر الفكر، ويحجب عنه تعقّل الحقائق والمعنويات بما يسلب منه نور العلم، أوعلى الأقل يُضعف لديه مقتضيات الفكر الصائب، فتغشى الظلمة العقل. فحُبّ الشهوات البهيمية تطفئ نور الإستبصار، والإعتبار.

وعليه، فمن سلّط الصفات التي أساسها الهوى على الصفات المُبتنية على العقل فكأنّما أعان طاغوت الهوى على هدم عقله، فيُفسد عليه دينه ودُنياه.

قوله عليه السلام: كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربّك، وأطعت هواك على غلبة عقلك.

هذا يشير إلى ما يربو به الأعمال وتتضاعف، وتخلص وتصفو ممّا يُفسدها، فيما إذا سلّط الإنسان عقله على هوى نفسه، واستخدمه قاهراً لها.

قوله عليه السلام: الصبر على الوحدة علامة قوّة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند ربّه...

إنّ الصبر هو أحسن وسيلة يستخدمها الإنسان لتذليل كلّ صعوبة، وتسهيل كلّ أمر مشكل. كما أنّ الصبر يوجد في الإنسان نشاطاً يقوى به على مكافحة الشدائد والنوائب؛ ذلك لأنّ الانسان إذا استجاب لربّه ورغب فيما عنده تعالى؛ إختلف عن الناس اختلافاً ظاهراً من وجوه شتّى؛ في طليعتها يكون قد أقدم على اتجاه يُخالف اتّجاه أهل الدنيا الذين استجابوا للشيطان وللهوى بدرجة لا يمكن أن ينسجم معهم، بما يجعله فاقداً لكلّ وسيلة من تلك الوسائل التي

يستخدمها أولئك في سبيل أهدافهم ومقاصدهم الدنيويّة، متجاهلين بذلك ما عند الله سبحانه، أما هو فباتجاهه إلى ربّه يكون قد حصل لديه يقين بأنّ الأسباب العاديّة ليست كما ينظر لها أهل الدنيا، بل الله عزّ وجلّ هو الذي أفاض الوجود على جميع الموجودات، وهو الذي كلّ شيء في قبضته، وقاهر فوق كلّ شيء، وقادر على كلّ شيء، بما آنسه في الوحشة التي أصابته جرّاء خلافه مع أهل الدنيا.

قوله عليه السلام: نُصب الخلق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلّم، والتعلّم بالعقل يعتقد...

إنّ الله سبحانه قد نصب الخلق إلى إقامة الدين بإرساله الرسل، وأنزل الكتب لطاعته في أوامره ونواهيه. وإطاعته إذا لم ترتكز على العلم لا تصحّ أن تكون طاعةً لله، لأنّها قد صدرت عن جهل، ولا بدّ أن تكون مشوبة بالميول النفسانيّة الدنيئة كالرياء. وإلا فعلى الذين يُريدون أن يطيعوا الله كما هو حقيق بطاعته، ينبغي أن يلتمسوا بالعلم طريق الحقّ في الوصول إلى طاعته، وهذا لا يمكن أن يُدرك إلا من خلال ملازمة العلماء الربانيّين؛ فهم وحدهم يعقلون الحقائق كما هي، إذ يتلقّونها عن الله تعالى بواسطة أنبيائه ورسله وأوصيائهم عليهم السلام، وبذلك يمكن للمُلتمسين أن يهتدوا إلى طاعة الله بالعلم والمعرفة، فتخلد آثارها في نفوسهم.

وقوله عليه السلام: قليل العمل من العالم؛ مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل؛ مردود...

قد عُلم أنّ العبادة بدون العلم غير مقبولة، إذ لا أثر لها بدونه، فالعمل الذي يعمله العالم يُضاعف، ويرتفع؛ لأنّه بعلمه قد اهتدى إلى طريق الحقّ، وإلى كلّ ما يقرّبه إلي الله زُلفى، وأمّا الجهل؛ فيصد عن الحقّ، وعن الطريق المؤدّي إليه؛

لأنّ ظلمة الجهل تحول بينه وبين ما يوصله إلى مرضاة الله؛ فلذلك ليس لعبادة الجاهل أثر محمود.

قوله عليه السلام: إنّ العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا...

إنّ ذوي العقول السليمة وحدهم الذين يرضون بالقليل من الدنيا بعد أن عرفوها وعرفوا كُنهها، فكان حسابهم لها حساب المسافر إلى مكان قريب، فلا يأخذوا من المتاع والزاد إلا مقدار ما يبلغ بهم غايتهم، وبذلك تجدهم في سيرهم خفيفوا الوطأة، غير متعبين؛ فسيرهم نحو المعرفة، وعقولهم ومداركم متجهة نحو الحكمة، فاذا كانت الحكمة مطلوبهم ومبتغاهم، وقد باعوا بها متاع الدنيا وحطامها؛ فلا ريب تكون قد ربحت تجارتهم، وبارك الله لهم فيها، وزيّد لهم في العلم والحكمة: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

قوله عليه السلام: إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا، فكيف الذنوب...

إنّ العقلاء بفضل ما عرفوا من الدنيا وحقيقتها، وما وقعت عليه قناعاتهم من خسيس عيشها، وقليل متاعها؛ قد رضوا منها بمقدار حاجتهم للعيش فيها، وتركوا فضولها الزائد، وملذّاتها وإن كانت مُباحة؛ رياضةً منهم لكبح جماح النفس عمّا ليس في وسعها؛ لئلا تنزلق في مرادي الهوى، وتغوص تحت آكام الردى، فتركها لفعلها المباح؛ صار فضلاً لهم. وأمّا الذنوب؛ فتركها فرض؛ لأنّ فعلها حرام.

قوله عليه السلام: إنّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها؛ فعلم أنّها لا تُنال الا بالمشقّة، ونظر إلى الآخرة؛ فعلم أنها لا تُنال إلا بالمشقّة، فطلب بالمشقّة

---

١. سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

أبقاهما...

هنا إشارة إلى المتّزن الذي راعى منهج العدل في إستعمال مراكز قواه ـ العقل. العاطفة. الشهوة ـ فأخذ ينظر إلى الدنيا، والآخرة بنفس العين، فرآى الذين ركنوا إلى الدنيا واتّخذوها دار قرار، وبذلوا لها كلّ جدّهم وجهدهم، ولاقوا مؤمّلين في طريق تحصيلها أشدّ العناء، والمشقّة؛ إنّهم لم يصلوا لنيل بُغيتهم منها كما كانوا يرجون؛ لغفلتهم عمّا إتّخذته على نفسها بأن لا تقُرّ على قرار، ولا تفي لأحد بمعشار. ورآى الذين تعقّبوا سبيل دار الآخرة، وما لاقوا من مشقّة في تحصيل ما به يُزحزَحون عن النار، آملين رضى المولى عزّ وجلّ يصل بهم إلى دار الخلود في الجنان؛ طلب العاقل بعد ذاك أبقى المشقّتين، وأولاهما بالعناء، فلم يجنح لغير تحصيل رضى الله سبحانه.

قوله عليه السلام: إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة...

عطفاً على ما سبق، فلمّا نظر بالعقلاء إلى أهل الدنيا، وأهل الآخرة، وبعد أن علموا أنّ الدنيا طالبة، ومطلوبة؛ طالبة لبني آدم لأن تُؤتيهم ما عندها من كلّ ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين. ومطلوبة للبرّ المؤمن بالله، وبأنبياءه، ورسله، وكتبه، وملائكته، وباليوم الآخر، وبالحساب والجزاء؛ للوصول به إلى درجاتها الرفيعة، وطبقاتها العالية، يقيناً منه بأنّ الدنيا وسيلة إختبار، وإمتحان تؤهّله لما هو أبقى، وأنقى، وأرضى لله سبحانه، وأنّه لا ينال منها سوى ما يحفظ له كرامته، ويصون إعتباره، فضلاً عنه يُحسن كما أحسن الله له. وكذلك الدنيا مطلوبة للفاجر الحريص على جمع المال، واللهاث وراء الثراء العريض، دون أن يعي تحت ضغطة الجشع أنّه لا يسدّ رمقه سوى اليسير، ولا يستره إلا القليل، ولا يؤيه إلا بقدر ما يردّ عنه ضواري الإنس، والسباع، وأمّا غير ذلك ممّا حواه فيبقى لأخلافه الوارثين، فلهم الغُنم، والنفع، والفائدة بما لم تعمل له منهم جارحة،

وعلى أولئك الغُرم، والضُرّ، والخُسران المبين. كان حري بالعقلاء المُتّـزنين بعـد ذلك أن يزهدوا في الدنيا، ويرغبوا في الآخرة؛ فالدنيا طالبة لطالب الآخرة حتّـى يستوفي منها رزقه، وطالب الدنيا يأتيه الموت وهو صفر اليـدين، فتفـسد عليـه آخرته بدنياه.

قوله عليه السلام: من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة فـي الدين؛ فليتضرّع إلى الله عزّ وجلّ في مسألته بأن يُكّمل عقله...

إنّ الطرق التي تتكفّل الغنى بلا مال، والراحة، والخلاص من المشقّة والعنـاء في الدنيا هي أن يتّجه المرء إلى المُنعم الذي تفضّل عليه بنعمة العقـل؛ ملتمـساً مواهباً، وعطايا من ألطافه، ونفحات تزيد في جوهر عقله نوراً وإشعاعاً؛ ليُشرق، ويشُع على جميع السبل المُؤدّية إلى غناه وراحته. ولا يحصل الغنى إلا بالقناعة إذا وجدت واستقرّت في النفس، فهناك يطمئن المرء بالكفاف، ويـزول مـا فـي نفسه من حسد ولؤم.

والقناعة صفة تحدث في نفس الإنسان بعد أن ينظر إلى الدنيا كظل زائل، فلا يأسى على ما فاته منها، ولا يفرح بما آتاه عنها. بما يجعل منها ذريعة في تخليد الطمأنينة لدى النفس بالرضا بما عندها، والعاقل وحده يُدرك الحكمة من فضل الله عليه؛ فيزول ما في نفسه من حسد ولؤم، بينما الآخر يكون فاقـداً للثقـة فـي نفسه، ودائماً تجده يشعر بالعجز عن تحقيق غاياتها، ولهـذا يتمنّـى زوال نعمـة غيره، وقد يدفع به المرض الذي في نفسه، وسوء سريرته إلى ارتكـاب أعمـال شنيعة يبغي بها هلاك محسوده؛ لما يجد فيه من نجاح قد آتاه الله به من نعمه.

لذا على الإنسان الباحث عـن الـسلامة؛ مُطلـق الـسلامة أن يَجـدّ، ويجتهـد مُتضرّعاً إلى الله سبحانه؛ ليُكمل عقله.

قوله عليه السلام: إنّ الله حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[١]... ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً.

هؤلاء الصالحون هم الراسخون في العلم، الذين ذكرهم الله قُبيل هذا، فإنّهم سألوا ربّهم والتمسوا منه أن لا يمنع عطفه عنهم، ولطفه الذي تستقيم به القلوب، وذلك عندما علموا أنّ القلوب يمكن أن تزغ وتميل عن الإيمان إلى ما كانت عليه من العمى والردى، فقالوا: ربنا لا تمل قلوبنا عن الإيمان بعد إذ وفّقتنا بعطفك، ولطفك أن نهتدي إليك. فبهذا سألوا الله أن يثبّتهم على ما هداهم إليه، ويُمددهم بنفحة من مواهبه وألطافه.

إنّ النفوس البشرية ما دامت مُتعلّقة بعالم الطبيعة والدنيا؛ فهي في عمي وضلال عن نور الآخرة، وصور مناظرها الناضرة، الحقيقة الدائمة، فتجدها دائماً في معرض الثبور، والهلاك، والدثور؛ لأنّ الدنيا بما فيها دائرة لا بقاء لها، فمتاعها قليل، وعيشها حقير، وما يتعلّق بها فهو فان، فإن لم تخلع النفوس عنها ثوب حبّ الحياة وتتجرّد عن غشاوتها؛ لم تخلص من الهلاك والدمار، وبعد ذلك لا نجاة لها من عذاب القبر، ودخول النار.

ثمّ إنّ هناك أمران يُعرضان النفس إلى الدمار:

الأمر الأوّل: عدم إنعقاد قلب المرء على المعرفة الحقّة لله سبحانه. فإنّ المعرفة إن لم تكن منابعها أصفياء الله تعالى لرسالاته، وأخذ مبادئها عن طريق أبواب الرسالة المحمديّة السمحاء، لم تكن معرفة يقينيّة راسخة، وهي إلى

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٨.

الزوال بأدنى شبهة أقرب منها إلى الثبات؛ فتجد المرء عرضة لمساورة الشكوك والظنون؛ لأنّ إيمانه لا عن حجّة، ولا برهان، بل محض تقليد، أو إيماناً مشوباً بالظنون والأوهام، فهو دائماً مع الهوى والميول النفسانيّة.

الأمر الثاني: عدم الخوف من الله سبحانه وتعالى. وسبب ذلك أنّ النفس لم تعقل عن الله شيئاً، ومَن لم يعقل عن الله ﷻ لم يكن قدّ قدّر الله حقّ قدره، فاستسهل الولوج في ما يُغضب الله تعالى؛ مؤمّلاً نفسه في عفوه، وهاله ما يُحيط به، أو أحاطه؛ مُتجاهلاً هيمنة الله القوي العزيز.

ثمّ لما تقرّر بين الروح والجسد علاقة طبيعية كان كلّ منهما يؤثّر في الآخر، فالروح إذا اتّصفت بهيئة الغضب، يحمرّ وجه الغاضب، وبالخوف يصفّر وجه الخائف، وتتألّم الروح بما يصيب الجوارح، وكلّ ذلك للعلاقات الذاتية الكائنة بين الروح والبدن، والرابطة بين السرّ والعلن. فالمُبدع سبحانه ﷻ جعل العوالم متطابقة، وجعل الباطن برهاناً على الظاهر، والظاهر شاهداً على الباطن، والجلي المحسوس حاكياً عن الخفي المستور، ودليلاً عليه، كما أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً.

قوله عليه السلام: لا دين لمن لا مرؤة له، ولا مرؤة لمن لا عقل له...

من أوصاف العقلاء المرؤة؛ وهي من كمال الإنسانيّة، والفتوّة الجامعة لمكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، وسبيلها الوحيد الذي تتخلّل عنه هو العقل السليم. ولا مريّة أنّ قوام الإنسانيّة بالعقل، وهو يشتدّ ويضعف، فالذي به يكمل هو أولى بالشدّة والضعف تبعاً له، فكذلك الإنسانيّة.

وحيث أنّ كمال النفس الإنسانيّة ونقصها يعتمدان على قدر تعلّقها بالدنيا؛

فيكون أعظم الناس قدراً من استغنى، وتجرّد عن الدنيا حتّى أمسى وكأنّ لا علاقة له بالدنيا مطلقاً، لأنّ له عقلاً سليماً، وقلباً مليئاً بنور الحقّ والصدق بحيث لا يسع لغيرهما. وعليه، صار ذو الدين صاحب مرؤة، وعقل.

قوله عليه السلام: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان يقول: إنّ من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يُجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله. فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاثة شيء؛ فهو أحمق... يا هشام، لا تُجمع هذه الخصال إلا لنبي، أو وصي نبي، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتّى يستكمل العقل، ويتخلّص من جُنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام.

هذا كان آخر كلامه عليه السلام وختامه مع هشام.

نعم، لمّا كان دأب العقلاء وديدنهم على طلب العلم، استوجب عليهم حصول الإحاطة بالمسائل العقلية والنقلية، فتجدهم يُجيبون إذا سُئلوا عن مسألة من مسائل المعقول، أو النقول، أو الفقه، وغيرها، وينطقون بالعلم والحكمة الحسنة لهداية الناس، وإرشاد الراغبين، ويشيرون بالرأي الصحيح والصواب لمن شاورهم في تدبير أموره الحياتيّة، والمعاشيّة.

فكلّ من اتّصف، وتحلّى بهذه الصفات والخصال؛ فهو أهل لأن يرتقي منصّة الصدارة؛ فإنّ منزلة هذا المُتّصف كمنزلة القلب من الإنسان، فكما أنّ القلب وإن كان في الصدر، وسط بدن الإنسان، غير أنّه كفيل بالإستطاعة على توصيل ما يحتاجه البدن من غذاء ولو في أقصى أطرافه، أو أبعد خليّة من خلاياه، ومن ثمّ يأخذ الفاضل ممّا خلّفه البدن، وبنفس المقدرة؛ لإعادة تأهيل النافع منه، وطرح

الفائض، والفاسد عبر مظانّه من جديد؛ لصلاح البدن، كذلك المُتّصف؛ فهو ينشر الخير في المجتمع، وإلى أبعد ما يُمكنه، ثمّ يعالج الفاسد ممّا يراه فيه، بالمقدرة ذاتها.

وعليه، فلا يليق بالمجتمع سوى من توفّرت لديه اللياقة، والعلم، والمعرفة؛ ليستطيع أن يجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز الحاضرون، ويُدلي بالرأي المصيب.

هذا آخر ما أردنا بيانه من التوضيح لبعض مفردات وصيّة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لهشام.

فصل في

بعض كلماته عليه‌السلام الدرّيّة

واحتجاجاته الشريفة

لا تتهمّه في قضائه

قال الإمام موسى بن جعفرعليه السلام: ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطأه في رزقه، ولا يتهمّه في قضائه.[1]

في اليقين

وسُئلعليه السلام عن اليقين، فقال: يتوكّل على الله، ويُسلّم لله، ويرضى بقضاء الله، ويفوّض إلى الله.[2]

ليس لعلمه منتهى

وقال عبد الله بن يحيى الكاهلي: كتبت إلى أبي الحسنعليه السلام في دعاء: الحمد لله منتهى علمه. فكتبعليه السلام: لا تقولنّ: منتهى علمه؛ فإنّه ليس لعلمه منتهى، ولكن قُل: منتهى رضاه.[3]

إتّق الحقّ

وقالعليه السلام لبعض شيعته: أي فلان، اتق الله وقل الحق وإن كان فيه هلاكك؛ فإنّ فيه نجاتك.

أي، فلان إتّق الله، ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك؛ فإنّ فيه هلاكك.[4]

---

١. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٠٨.

٢. تُحف العقول: ص٤٠٨.

٣١. أُصول الكافي للكليني: ج١ ص١٠٧، باب صفات الذات، ح٣.

٤. تُحف العقول: ص٤٠٨.

الإنفاق في طاعة الله

وقال عليه السلام: إيّاك أن تمنع في طاعة الله؛ فتُنفق مثليه في معصية الله.[١]

من هو الجواد

عن أحمد بن سليمان، قال: سأل رجل أبا الحسن عليه السلام وهو في الطواف، فقال له: أخبرني عن الجواد؟ فقال عليه السلام: إنّ لكلامك وجهين؛ فإن كنت تسأل عن المخلوق، فإنّ الجواد: الذي يؤدّي ما افترض الله عزّ وجلّ عليه، والبخيل: من بخل بما افترض الله عليه. وإن كنت تعني الخالق؛ فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع؛ لأنّه إن أعطى عبد؛ أعطاه ما ليس له، وإن منع؛ منع ما ليس له.[٢]

عندما حضر قبرا

وقال عليه السلام عند قبر حضره: إنّ شيئاً هذا آخره؛ لحقيق أن يُزهد في أوّله، وإنّ شيئاً هذا أوّله؛ لحقيق أن يُخاف آخره.[٣]

لا تتكلّم في ذات الله

وقال عليه السلام: من تكلّم في الله؛ هلك، ومن طلب الرئاسة؛ هلك، ومن دخله العُجب؛ هلك.[٤]

---

١. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٠٨.

٢. الخصال للشيخ الصدوق: ص٤٣.

٣. تُحف العقول: ص٤٠٨.

٤. تُحف العقول: ص٤٠٣.

مؤنة الدنيا والدين

وقال عليه السلام: اشتدّت مؤنة الدنيا والدين. فأمّا مؤنة الدنيا؛ فإنّك لا تمدّ يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه، وأمّا مؤنة الآخرة؛ فإنّك لا تجد أعواناً يعينونك عليه.[١]

أربعة من الوسواس

وقال عليه السلام: أربعة من الوسواس: أكل الطين، وفتّ الطين[٢]، وتقليم الأظفار بالأسنان، وأكل اللحية.[٣]

لجلاء البصر

وقال عليه السلام ثلاث يُجلين البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن.[٤]

الحشمة بين الأُخوة

وقال عليه السلام: لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، أبق منها؛ فإنّ ذهابها ذهاب الحياء.[٥]

---

١. تُحف العقول للحرّاني: ص٤٠٣.

٢. فتّ الشيء: أي، كسره.

٣. الخصال للصدوق: ص٢٢١ رقم ٤٦.

٤. روضة الواعظين للنيسابوري: ص٣٠٨.

٥. أصول الكافي للكليني: ج٢ ص٦٧٢، باب النوادر، ح٥.

يا بني

وقال عليه السلام لبعض ولده: يا بُني، إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها! وإيّاك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها! وعليك بالجدّ، ولا تخرجَن نفسك من التقصير في عبادة الله؛ فإنّ الله عزّ وجلّ لا يُعبد حقّ عبادته.

وإيّاك والمزاح؛ فإنّه يُذهب بنور إيمانك، ويستخفّ مرؤتك! وإيّاك والضجر، والكسل؛ فإنّهما يمنعان حظّك من الدنيا والآخرة.[1]

إذا غلب الجور على الحق

وقال عليه السلام: إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظنّ بأحد خيراً حتّى يُعرف ذلك منه.[2]

الساعات الأربع

وقال عليه السلام: اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله. وساعة لأمر المعاش. وساعة لمعاشرة الأُخوان والثقات الذين يُعرّفونكم عيوبكم، ويُخلصون لكم في الباطن. وساعة تخلون فيها للذّاتكم في غير محرّم؛ وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات.[3]

لا تُحدّث نفسك به

وقال عليه السلام: لا تحدّثوا أنفسكم بالفقر، ولا بطول العمر؛ فإنّه من حدّث نفسه

---

١. مَن لا يحضره الفقيه للصدوق: ج٤ ص٤٠٨ رقم٥٨٨٥.

٢. الكافي للكليني: ج٥ ص٢٩٨، باب نادر، ح٢.

٣. تُحف العقول: ص٤٠٩.

بالفقر؛ بخل، ومن حدّثها بطول العمر؛ حرص.[١]

استعن بدنياك لدينك

وقال عليه السلام: إجعلوا لأنفسكم حظّاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال، وما لا يُثلم المرؤة[٢]، وما لا سرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين؛ فإنّه روي: ليس منّا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه.[٣]

التفقّه والفقيه

وقال عليه السلام: تفقّهوا في دين الله؛ فإنّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة، والرتب الجليلة في الدين والدنيا. وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومَن لم يتفقّه في دينه؛ لم يرض الله له عملاً.[٤]

كفّارة عمل السلطان

وقال عليه السلام لعلي بن يقطين: كفّارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان.[٥]

---

١. فقه الرضا عليه السلام لابن بابويه: ص٣٣٧ باب ٨٩، حقّ النفوس.

٢. ثلم الإناء: كسره من حافّته.

٣. تُحف العقول: ص٤١٠.

٤. تُحف العقول: ص٤١٠.

٥. الأنوار البهيّة للقمّي: ص١٨٥، فصل في ذكر نُبذ من كلام موسى بن جعفر عليهما السلام.

أقول: وفي الحديث: إنّ علي بن يقطين استأذنه عليه السلام في ترك عمل السلطان؛ فلم يأذن عليه السلام له، وقال: لا تفعل، فإنّ لنا بك أُنساً، ولإخوانك لك عزاً، وعسى أن يُجبر الله بك كسراً، ويُكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه. يا علي، كفّارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم. تُحف العقول للحرّاني: ص٤١٠.

الذنوب والبلاء

وقال عليه السلام: كلّما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعملون؛ أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدون.[١]

بين الكفر والشرك

وقال له عليه السلام أبو أحمد الخراساني: الكفر أقدم أم الشرك؟

فقال عليه السلام له: مالك ولهذا! ما عهدي بك تُكلّم الناس.

قال: أمرني هشام بن الحكم أن أسألك.

فقال عليه السلام: قل له: الكفر أقدم؛ أوّل من كفر إبليس: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٢]. والكفر شيء واحد، والشرك يُثبت واحداً؛ ويُشرك معه غيره.[٣]

من عفا وأصلح

وقال عليه السلام: ينادي مناد يوم القيامة: ألا من كان له على الله أجر؛ فليقم. فلا يقوم إلا من عفا وأصلح، فأجره على الله.[٤]

في كنف الله

وقال عليه السلام: السخي الحسن الخُلق؛ في كنف الله، لا يستخلّي الله منه حتّى يُدخله الجنّة، وما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً، ولا وصيّاً إلا سخيّاً، وما كان أحد من

---

١. تُحف العقول: ص٤١٠.

٢. سورة البقرة، الآية: ٣٤.

٣. تُحف العقول: ص٤١٢.

٤. تُحف العقول: ص٤١٢.

الصالحين إلا سخيّاً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء، حتّى مضى.[١]

لا تكن إمّعة

وقال عليه السلام لفضل بن يونس: أبلغ خيراً، وقل خيراً، ولا تكونن إمّعة.

قال: قلت: وما الإمّعة!؟

قال عليه السلام: لا تقل: أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس. إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا أيّها الناس، إنّهما نجدان: نجد خير. ونجد شرّ. فما بال نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير.[٢]

مع بشر الحافي

وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي؛ لأنّه عليه السلام اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي، وأصوات الغناء، والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامة البقل، فرمت بها في الدرب،

فقال عليه السلام لها: يا جارية! صاحب هذه الدار حرّ أم عبد!؟

فقالت: بل حرّ.

فقال عليه السلام: صدقت، لو كان عبداً خاف من مولاه!

فلمّا دخلت، قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا!؟ فقالت: حدّثني رجل بكذا وكذا.

فخرج حافياً حتّى لقي مولانا الكاظم عليه السلام؛ فتاب على يده.[٣]

---

١. الكافي للكليني: ج٤ ص٣٩، معرفة الجود والسخاء، ح٤.

٢. الإختصاص للمفيد: ص٣٤٣.

٣. منهاج الكرامة للعلامة الحلّي: ص٥٩.

مع رجل من أهل السواد

وروي: إنّه عليه السلام مرّ برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلّم عليه السلام عليه، ونـزل عنده، وحادثه طويلاً، ثمّ عرض عليه السلام عليه نفسه في القيام بحاجة إن عرضت لـه، فقيل له عليه السلام: يا بن رسول الله، أتنزل إلى هذا، ثمّ تسأله عن حوائجه وهـو إليـك أحوج!؟

فقال عليه السلام: عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار فـي بـلاد الله، يجمعنـا وإيّاه خير الآباء؛ آدم عليه السلام، وأفضل الأديان؛ الإيمان، ولعلّ الدهر يرد من حاجاتنـا إليه، فيرانا ـ بعد الزهو[1] عليه ـ متواضعين بين يديه.

ثمّ قال عليه السلام: نواصل من لا يستحقّ وصالنا؛ مخافة أن نبقى بغير صديق.[2]

عونك للضعيف

وقال عليه السلام: عونك للضعيف؛ من أفضل الصدقة.[3]

شدّة الجور

وقال عليه السلام: يَعرف شدّة الجور مَن حُكم به عليه.[4]

فصل الخطاب

وقال عليه السلام: صلاة النوافل قربان لكلّ مؤمن. والحجّ جهاد كـلّ ضـعيف. ولكـلّ

---

١. الزهو: الكبر، والفخر، والإستعظام.

٢. تُحف العقول: ص٤١٣.

٣. تُحف العقول: ص٤١٤.

٤. تُحف العقول: ص٤١٤.

شيء زكاة، وزكاة الجسد صيام النوافل. وأفضل العبادة بعد المعرفة إنتظار الفرج. ومن دعا قبل الثناء على الله والصلاة على النبيﷺ كان كمن رمى بسهم بلا وتر.

ومن أيقن بالخلف؛ جاد بالعطيّة. وإنّ لكلّ امرئ اقتصد، وتدبّر نصف العيش. والتودّد إلى الناس نصف العقل. وكثرة الهمّ يورث الهرم. والعجلة هي الخرق. وقلّة العيال أحد اليسارين. ومن أحزن والديه؛ فقد عقّهما. ومن ضرب بيده على فخذه، أو ضرب بيده الواحدة على الأُخرى عند المصيبة؛ فقد حبط أجره. والمصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلا بالصبر والإسترجاع عند الصدمة. والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي دين أو حسب.

والله يُنزل المعونة على قدر المؤنة، ويُنزل الصبر على قدر المصيبة. ومَن اقتصد، وقنع؛ بقيت عليه النعمة، ومن بذّر وأسرف؛ زالت عنه النعمة.

وأداء الأمانة والصدق؛ يجلبان الرزق، والخيانة والكذب؛ يجلبان الفقر والنفاق. وإذا أراد الله بالذرّة شراً أنبت لها جناحين، فطارت؛ فأكلها الطير. والصنيعة لا تتمّ صنيعة عند المؤمن لصاحبها إلا بثلاثة أشياء: تصغيرها، وسترها، وتعجيلها. فمَن صغّر الصنيعة عند المؤمن؛ فقد عظّم أخاه، ومَن عظّم الصنيعة عنده؛ فقد صغّر أخاه، ومَن كتم ما أولاه من صنيعة؛ فقد كرم فعاله، ومن عجل ما وعد فقد هنئ العطيّة.[١]

لا يظلّك سقف سجن

وقالعليه السلام لعلي بن يقطين: يا علي... ÷ضمن لي واحدة، وأضمن لك ثلاثة؛

---

١. تُحف العقول: ص٤٠٣.

إضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلا قضيت حاجته، وأكرمته. وأضمن لك أن لا يظلّك سقف سجن أبداً، ولا ينالك حدّ سيف أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً.

يا علي، مَن سرّ مؤمناً؛ فبالله بدأ، وبالنبي صلى الله عليه وآله ثنّى، وبنا ثلّث.[١]

مع هارون العباسي

روى الحرّاني في تُحف العقول، قال: دخل ـ هارون ـ إليه عليه السلام وقد عمد على القبض عليه عليه السلام لأشياء كُذّبت عليه عنده، فأعطاه طوماراً طويلاً فيه مذاهب وشُنعة[٢] نسبها إلى شيعته عليه السلام، فقرأه، ثمّ قال عليه السلام له:

يا أمير...! نحن أهل بيت مُنينا بالتقوّل علينا، وربّنا غفور ستور، أبى أن يكشف أسرار عباده إلا في وقت محاسبته: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣].

ثمّ قال عليه السلام: حدّثني أبي، عن أبيه علي، عن النبي صلى الله عليه وآله: الرحم إذا مسّت الرحم؛ اضطربت ثمّ سكنت.

فتحوّل ـ هارون ـ عند ذلك عن سريره ومدّ يمينه إلى موسى عليه السلام، فأخذ بيمينه، ثمّ ضمّه إلى صدره فاعتنقه، وأقعده عن يمينه، وقال: أشهد أنّك صادق، وأبوك صادق، وجدّك صادق، ورسول الله صلى الله عليه وآله صادق، ولقد دخلت وأنا أشدّ الناس عليك حنقاً[٤]، وغضباً لما رُقي إلى فيك، فلمّا تكلّمت بما تكلّمت،

---

١. العوالم للبحراني: ج ٢١ ص٣٧٨ ح ١.

٢. الشنعة: الفضيعة، والقبيحة.

٣. سورة الشعراء الآية: ٨٨ـ٨٩.

٤. أي، غيظاً.

وصافحتني؛ سرى عنّي[1] غضبي عليك رضىً...

ثمّ قال له عليه السلام: أُريد أن أسألك عن العباس وعلي؛ بم صار عليّ أولى بميراث رسول الله صلى الله عليه وآله من العباس، والعباس عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، صنو أبيه؟

فقال له موسى عليه السلام: إعفني.

قال: والله، ما أعفيتك! فأجبني.

قال عليه السلام: فآمنّي.

قال: آمنتك.

قال موسى عليه السلام: إنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يورّث من قدر على الهجرة فلم يهاجر، إنّ أباك العباس آمن، ولم يهاجر، وإنّ علياً عليه السلام آمن، وهاجر، وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ﴾[2].

فالتمع لون هارون، وتغيّر، وقال: ما لكم لا تُنسبون إلى علي عليه السلام وهو أبوكم، وتُنسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جدّكم!؟

فقال موسى عليه السلام: إن. الله نسب المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام إلى خليله إبراهيم عليه السلام بأُمّه مريم البكر، البتول التي لم يمسّها بشر في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[3]. فنسبه بأُمّه وحدها إلى خليله إبراهيم عليه السلام كما نسب داود وسليمان وأيّوب وموسى وهارون بآبائهم وأُمّهاتهم؛ فضيلة لعيسى عليه السلام، ومنزلة رفيعة بأُمّه وحدها، وذلك قوله تعالى في قصّة مريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

١. أي، انكشف.

٢. سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

٣. سورة الأنعام، الآية: ٨٤ـ٨٥.

اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[١] بالمسيح من غير بشر، وكذلك اصطفى ربّنا فاطمة عليها السلام، وطهّرها، وفضّلها على نساء العالمين بالحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

فقال له عليه السلام هارون: من أين قلتم: الإنسان يدخل الفساد من قبل النساء، ومن قبل الآباء لحال الخُمس الذي لم يُدفع إلى أهله!؟

فقال موسى عليه السلام: هذه مسألة ما سأل عنها سلطان غيرك، ولا تيم ولا عديّ،[٢] ولا بنو أُميّة، وما سُئل عنها أحد من آبائي، فلا تكشفني عنها.

قال: فإن بلغني عنك كشف هذا؛ رجعت عمّا آمنتك.

فقال موسى عليه السلام: لك ذلك.

قال هارون: فإنّ الزندقة قد كثرت في الإسلام، وهؤلاء الزنادقة الذين يُرفعون إلينا في الأخبار؛ هم المنسوبون إليكم! فما الزنديق عندكم أهل البيت.

فقال عليه السلام: الزنديق هو الراد على الله وعلى رسوله، وهم الذين يحادّون الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾[٣].

وهم ـ الزنادقة ـ الملحدون، عدلوا عن التوحيد إلى الإلحاد.

فقال هارون: أخبرني عن أوّل من ألحد، وتزندق؟

فقال عليه السلام: أوّل من ألحد، وتزندق في السماء إبليس اللعين، فاستكبر وافتخر على صفي الله، ونجيّه آدم عليه السلام، فقال اللعين: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

٢. أي، أبو بكر وعمر.

٣. سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

طِينٍ﴾[١]، فعتا عن أمر ربّه، وألحد؛ فتوارث الإلحاد ذرّيّته إلى أن تقوم الساعة.

فقال ـ هارون ـ: ولإبليس ذرّيّة!؟

فقال عليه السلام: نعم، ألم تسمع إلى قول الله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٢].

لأنّهم يضلّون ذرّيّة آدم بزخارفهم، وكذبهم، ويشهدون أن لا إله إلا الله، كما وصفهم الله في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]، أي، إنّهم لا يقولون ذلك إلا تلقيناً، وتأديباً، وتسمية، ومَن لم يعلم وإن شهد؛ كان شاكّاً، حاسداً، معانداً، ولذلك قالت العرب: مَن جهل أمراً؛ عاداه، ومَن قصر عنه؛ عابه، وألحد فيه؛ لأنّه جاهل، غير عالم.

ثمّ قال هارون: بحقّ آبائك، لما اختصرت كلمات جامعة لما تجاريناه.

فقال عليه السلام: نعم. وأُتي بدواة وقرطاس، فكتب عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، جميع أمور الأديان أربعة[٤]: أمر لا اختلاف فيه؛ وهو

---

١. سورة الأعراف، الآية: ١٢، سورة ص، الآية: ٧٦.

٢. سورة الكهف، الآية: ٥٠ـ٥١.

٣. سورة لقمان، الآية: ٢٥.

٤. أقول: ورواه المفيد في الإختصاص: ص٤٨، وفيه :... فكتب عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، أمور الأديان أمران: أمر لا اختلاف فيه؛ وهو إجماع الأمّة على الضرورة التي يضطرون إليها، والأخبار المجتمع عليها، المعروض عليها كلّ شبهة، والمستنبط منها كلّ حادثة.

وأمر يحتمل الشكّ والإنكار، وسبيل استيضاح أهله؛ الحجّة عليه، فما ثبت لمنتحليه من كتاب مستجمع على تأويله، أو سُنّة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله؛ ضاق على من استوضح تلك الحجّة ردّها، ووجب عليه قبولها، والإقرار والديانة بها، وما لم يثبت لمنتحليه به حجّة من كتاب مستجمع على تأويله، أو سُنّة عن النبي صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله؛ وسع خاصّ الأُمّة وعامّها الشكّ فيه، والإنكار له. كذلك هذان الأمران... إلخ.

إجماع الأُمّة على الضرورة التي يضطرّون إليها.

والأخبار المُجمع عليها؛ وهي الغاية المعروض عليها كلّ شبهة، والمستنبط منها كلّ حادثة، وهو إجماع الأمّة.

وأمر يحتمل الشكّ، والإنكار؛ فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجّة من كتاب الله مُجمع على تأويلها، وسُنّة مُجمع عليها لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله، ولا يسع خاصّة الأُمّة، وعامّتها الشكّ فيه، والإنكار له؛ وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه.

وأرش الخدش فما فوقه.

فهذا المعروض الذي يُعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه؛ اصطفيته، وما غمض عليك صوابه؛ نفيته. فمن أورد واحدة من هذه الثلاث ـ الكتاب، والسنّة، والقياس الذي تعرف العقول عدله ـ فهي الحجّة البالغة التي بيّنها الله في قوله لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

يبلغ الحجّة البالغة الجاهل، فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه؛ لأنّ الله عدل لا يجور، يحتجّ على خلقه بما يعلمون، ويدعوهم إلى ما يعرفون، لا إلى ما يجهلون، ويُنكرون... إلخ والحديث طويل.[2]

مع زياد بن أبي سلمة

روى الكليني في الكافي، قال: الحسين بن الحسن الهاشمي، عن صالح بن أبي حمّاد، عن محمد بن خالد، عن زياد بن أبي سلمة، قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال لي: يا زياد! إنّك لتعمل عمل السلطان؟

١. سورة الأنعام، الآية: ١٤٩.

٢. تُحف العقول: ص٤٠٤.

قال: قلت: أجل. قال عليه السلام: لي: ولِمَ؟ قلت: أنا رجل لي مروّة، وعليَّ عيال، وليس وراء ظهري شيء.

فقال عليه السلام لي: يا زياد، لأن أسقط من جالق[١]، فأتقطّع قطعة قطعة أحبّ إليّ من أن أتولّى لأحد منهم عملاً، أو أطأ بساط أحدهم؛ إلا، لماذا؟

قلت: لا أدري جُعلت فداك.

قال عليه السلام: إلا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فكّ أسره، أو قضاء دينه.

يا زياد، إنّ أهون ما يصنع الله بمن تولّى لهم عملاً أن يُضرب عليه سرادق[٢] من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق.

يا زياد، فإن وُليت شيئاً من أعمالهم؛ فأحسن إلى إخوانك، فواحدة بواحدة، والله من وراء ذلك.

يا زياد، أيّما رجل منكم تولّى لأحد منهم عملاً، ثمّ ساوى بينكم وبينهم، فقولوا له: أنت منتحل كذّاب.

يا زياد، إذا ذكرت مقدرتك على الناس؛ فاذكر مقدرة الله عليك غداً، ونفاد ما أتيت إليهم عنهم، وبقاء ما أتيت إليهم عليك.[٣]

استفتاءات شرعية

روى الكليني في الكافي، قال: عدّة من أصحابنا، عن سهل من زياد، عن إسماعيل بن مهران، عن محمد بن منصور، عن علي بن سُويد، قال: كتبت إلى

---

١. أي، من جبل عال.

٢. السرادق: الفسطاط الذي تُمدّ فوق صحن البيت. أي، الخيمة.

٣. الكافي: ج٥ ص١٠٩، شرط من أذن له في أعمالهم، ح١.

أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله، وعن مسائل كثيرة؛ فاحتبس الجواب علي أشهر، ثمّ أجابني بجواب، هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العلي العظيم، الذي بعظمته، ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى مَن في السماوات ومَن في الأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة، والأديان المتضادّة؛ فمصيب، ومخطئ. وضال، ومهتد. وسميع، وأصم. وبصير، وأعمى حيران، والحمد لله الذي عرّف ووصف دينه محمد صلى الله عليه وآله.

أمّا بعد، فإنّك امرؤ أنزلك الله من آل محمد عليهم السلام بمنزلة خاصّة، وحفظ مودّة ما استرعاك من دينه، وما ألهمك من رُشدك، وبصّرك من أمر دينك بتفضيلك إياهم، وبردّك الأُمور إليهم.

كتبت تسألني عن أمور كنت منها في تقيّة، ومن كتمانها في سعة، فلمّا انقضى سلطان الجبابرة، وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها العتاة على خالقهم، رأيت أن أُفسّر لك ما سألتني عنه؛ مخافة أن تدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قِبل جهالتهم.

فاتّق الله جلّ ذكره، وخصّ بذلك الأمر أهله، واحذر أن تكون سبب بليّة الأوصياء، أو حارشاً[١] عليهم بإفشاء ما استودعتُك، واظهار ما استكتمتك، ولم تفعل إن شاء الله.

إنّ أوّل ما أنهي إليك أنّي أنعى إليك نفسي في لياليٍّ هذه، غير جازع، ولا نادم، ولا شاكّ فيما هو كائن ممّا قضى الله عزّ وجلّ، وحتم.

فاستمسك بعروة الدين؛ آل محمد عليهم السلام، والعروة الوثقى، والوصيٍّ بعد الوصيٍّ،

---

١. الحرش: الخديعة والاغراء، والحارش: الخادع والمغري.

والمسالمة لهم، والرضا بما قالوا، ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبّن دينهم؛ فإنّهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أماناتهم؛ وتدري ما «خانوا أماناتهم»؟ أُئتمنوا على كتاب الله؛ فحرّفوه، وبدّلوه، ودُلّوا على ولاة الأمر منهم، فانصرفوا عنهم، فأذاقهم الله لباس الجوع، والخوف بما كانوا يصنعون.[1]

وسألت: عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً كان يُنفقه على الفقراء، والمساكين، وأبناء السبيل، وفي سبيل الله، فلمّا اغتصباه ذلك؛ لم يرضيا حيث غصباه حتّى حمّلاه إياه كرهاً فوق رقبته إلى منازلهما، فلمّا أحرزاه؛ تولّيا إنفاقه. أيبلغان بذلك كفرا؟

فلعمري، لقد نافقا قبل ذلك، وردّا على الله عزّ وجلّ كلامه، وهُزءاً برسول الله صلى الله عليه وآله، وهما الكافران، عليهما لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

والله، ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان منذ خروجهما من حالتيهما، وما ازدادا إلا شكّاً. كانا خدّاعين، مرتابَين، منافقَين حتّى توفّتهما ملائكة العذاب إلى محلّ الخزي في دار المقام.

وسألت: عمّن حضر ذلك الرجل، وهو يُغصب ماله، ويُوضع على رقبته؛ منهم: عارف، ومنكر؟ فأُولئك أهل الرّدة الأولى من هذه الأُمّة، فعليهم لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

وسألت: عن مبالغ علمنا؟ وهو على ثلاثة وجوه: ماضٍ، وغابر، وحادث. فأمّا

---

١. إقتباس من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ سورة النحل، الآية: ١١٢.

الماضي؛ فمفسّر، وأمّا الغابر؛ فمكتوب، وأمّا الحادث؛ فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا. ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله.

وسألت: عن أُمّهات أولادهم، وعن نكاحهم، وعن طلاقهم، فأمّا أُمّهات أولادهم؛ فهنّ عواهر إلى يوم القيامة، ونكاح بغير [إذن] ولي، وطلاق لغير عدّة.

وأمّا من دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله ويقينه وشكّه.

وسألت: عن الزكاة فيهم. فما كان من الزكاة؛ فأنتم أحقّ به؛ لأنّا أحللنا ذلك لكم مَن كان منكم، وأين كان.

وسألت: عن الضعفاء. فالضعيف: مَن لم يرفع إليه حجّة، ولم يعرف اختلاف، فإذا عرف الإختلاف؛ فليس بضعيف.

وسألت: عن الشهادات لهم. فأقم الشهادة لله عزّ وجلّ ولو على نفسك، والوالدين، والأقربين فيما بينك وبينهم، فإن خفت على آخيك ضيماً؛ فلا وادع إلى شرائط الله عزّ ذكره بمعرفتنا من رجوت إجابته.

ولا تحصّن بحصن رياء، ووال آل محمد عليهم السلام، ولا تقل لما بلغك عنّا، ونُسب إلينا: هذا باطل. وإن كنت تعرف منّا خلافه؛ فانّك لا تدري لما قلناه، وعلى أي وجه وصفناه.

آمن بما أُخبرك، ولا تفش ما استكتمناك من خبرك، إنّ من واجب حقّ أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته، ولا تحقد عليه وإن أساء، وأجب دعوته إذا دعاك، ولا تخلّ بينه وبين عدوّه من الناس وإن كان ـ عدوّه ـ أقرب إليه منك، وعُده في مرضه. ليس من أخلاق المؤمنين الغشّ، ولا الأذى، ولا الخيانة، ولا الكبر، ولا الخنا، ولا الفُحش، ولا الأمر به.

فإذا رأيت المشوّه[1] الأعرابي في جحفل[2] جرّار؛ فانتظر فرجك، ولشيعتنا المؤمنين.

فإذا انكسفت الشمس؛ فارفع بصرك إلى السماء، وانظر ما فعل الله عزّوجلّ بالمجرمين. فقد فسّرت لك جُملاً جُملاً، وصلّى الله على محمد وآله الأخيار.[3]

مع أبي حنيفة

روى البحراني في عوالم العلوم، قال: قال أبو حنيفة: رأيت موسى بن جعفر عليه السلام وهو صغير السنّ في دهليز أبيه، فقلت: أين يُحدث الغريب منكم إذا أراد ذلك؟

فنظر عليه السلام إلي، ثمّ قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقّى أعين الجار، ويتجنّب شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية الدور، والطرق النافذة، والمساجد، ولا يستقبل القبلة، ولا يستدبرها، ويرفع، ويضع بعد ذلك حيث شاء.

قال ـ أبو حنيفة ـ : فلمّا سمعت هذا القول منه؛ نبُل في عيني، وعظم في قلبي، فقلت له: جُعلت فداك، ممّن المعصية؟

فنظر عليه السلام إلي، ثمّ قال: أُجلس حتّى أُخبرك. فجلست.

فقال عليه السلام: إنّ المعصية لا بدّ أن تكون من العبد، أو من ربّه، أو منهما جميعاً.

---

١. المشوّه: الوجه القبيح.

٢. الجحفل: الجيش الكثير.

أقول: لعلّ مراده عليه السلام: السفياني. بقرينة الأخبار المرويّة في وصفه، منها ما رواه الصدوق: عن الصادق، عن أبيه، عن أميرالمؤمنين عليهم السلام :... وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجدري، إذا رأيته حسبته أعوراً.... راجع كمال الدين وتمام النعمة: ص٦٥١، باب ما روي في علامات خروج القائم عجّل الله فرجه، ح٩.

٣. الكافي: ج٨ ص١٢٤، كتاب أبي الحسن موسى عليه السلام إلى علي بن سويد، ح٩٥.

فإن كانت من الله تعالى؛ فهو أعدل، وأنصف من أن يظلم عبده، ويأخذه بما لم يفعله، وإن كانت منهما؛ فهو شريكه، والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، وإن كانت من العبد وحده؛ فعليه وقع الأمر، وإليه توجّه النهي، وله حقّ الثواب والعقاب، ووجبت الجنّة، والنار.

قال أبو حنيفة فقلت: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾[١].[٢]

مع العبّاس الشامي

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن العبّاس بن هلال الشامي، مولى أبي الحسن عليه السلام، قال: قلت له عليه السلام: جُعلت فداك، ما أعجب إلى الناس مَن يأكل الجشب، ويلبس الخشن، ويتخشّع!؟

فقال عليه السلام: أما علمت أنّ يوسف نبي وابن نبي كان يلبس أقبية الديباج، مزرورة بالذهب، ويجلس في مجالس آل فرعون؛ فيحكم، فلم يحتج الناس إلى لباسه، وإنّما احتاجوا إلى قسطه؟ وإنّما يحتاج من الامام في أن إذا قال؛ صدق، وإذا وعد؛ أنجز، وإذا حكم؛ عدل. إنّ الله لم يُحرّم طعاماً، ولا شراباً من حلال، إنّما حرّم الحرام، قلّ أو كثر، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[٣].[٤]

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

٢. عوالم العلوم: ج٢١ ص١٨١ ح٥.

٣. سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

٤. الكافي: ج٦ ص٤٥٣، لبس الحرير والديباج، ح٥.

من احتجاجاته عليه السلام

ولمّا لم تزل خزعبلات المُشبّهة، والملحدين تضرب بخطامها المغمورين من الجهلة؛ إنبرى الإمام الكاظم، موسى بن جعفر عليهما السلام بدوره الكبير بعد أبيه الصادق عليه السلام في الدفاع عن العقيدة الإسلامية الحقّة، دين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، شاهراً سيف البيان الصارم؛ لإبطال شُبهة الملحدين والزنادقة، خصوصاً وأنّ الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر من حشوة الرعيّة، وسفلة العامّة ممّن لا نظر له ولارويّة، ولا استضاءة بنور العلم، وبرهانه، أهل جهالة بالله، وضلالة عن حقيقة دينه، وقصور أن يُقدّروا الله حقّ قدره قد أقحموا أنفسهم فيما يرتبط بالإلهيات، وصفات الباري عزّ وجلّ، فقالوا شططاً، وافتروا على الله كذباً؛ فكشف الإمام عليه السلام عن زيف أفكارهم، وأتى على صرح بنيانهم بمعول الدليل القاطع، والبرهان الناصع.

وبناءً على ما جاء في بعض المرويات من طرق العامّة، والتي تتحدّث عن نزول الله ـ تعالى عمّا يلحدون ـ في الثلث الأخير من الليل، فيُنادي في السماء: هل من داع، هل من مستغفر.[1]

وأُخرى: يتنزّل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: مَن يدعوني؛ فأستجيب له، مَن يسألني؛ فأعطيه، ومَن يستغفرني؛ فأغفر له.[2]

بما سوغ للمجسّمة أن حملوا هذه الأخبار على ظواهرها، فقالوا: بأنّ الله سبحانه وتعالى جسم، وإلى غير ذلك من الآراء الفاسدة. وبعد أن عُرض ذلك

---

١. راجع مسند أحمد: ج٢ ص٣٨٣، مسند أبو هريرة. صحيح مسلم: ج٢ ١٧٦، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه. السنن الكبرى للبيهقي: ج٦ ص١٢٣ رقم ١٠٣١٢ ١٠٣١٥، وغيرها.

٢. راجع صحيح البخاري: ج٨ ص١٩٧، كتاب التوحيد.

على الإمام الكاظم عليه السلام، نهض مشمّراً عن ساعد الحقّ؛ مُبيّناً فسّاد ذلك، قائلاً:

إنّ الله لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شيء، بل يُحتاج إليه، وهو ذو الطول، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

أمّا قول الواصفين: إنّه ينزل تبارك وتعالى. فإنّما يقول بذلك من ينسبه إلى نقص، أو زيادة، وكلّ متحرّك يحتاج إلى مَن يُحرّكه[1]، أو يتحرّك به. فمن ظنّ

---

١. أي، إنّه تعالى مُبرأً عن الحركة والإنتقال، لأنّ الذي يتّصف بالحركة؛ ممكن، فإنّ نسبته إلى الأمكنة ليست نسبة واحدة، فإذا حضر في مكان؛ غاب عنه الآخر، وإذا قرب من شيء؛ بعد عن الآخر، وإذا تعلّق له غرض بمكان لا بدّ له من الحركة والإنتقال إليه؛ لإيجاد غرضه، وجميع ذلك محال بالنسبة إليه سبحانه. فإنّ نسبته سبحانه وتعالى إلى جميع الأمكنة والإمكانيات نسبة واحدة، وليس شيء منها أقرب إليه من شيء آخر، فلذا لم يحتج إلى الحركة، فإنّ منظره في القرب والبعد سواء.

وإنّ كلّ شيء محتاج إلى الله تعالى، فهو الذي يفيض عليه الوجود، ولو احتاج سبحانه وتعالى إلى شيء؛ لزم افتقار الشيء إلى ما يفتقر إليه من حيثية واحدة، وذلك محال؛ لاستلزامه الدور، وهذا باطل.

وأشار عليه السلام إلى المفاسد التي تترتب على القول بنزوله سبحانه وتعالى من السماء، فإنّ ذلك يستلزم الحركة، وكلّ مُتحرك يستوجب النقص، الخروج عن الكمال، لما يطرأ عليه الخروج من القوّة إلى الفعل، الذي يستلزم الزيادة أوالنقصان، وكلّ ما يوصف بنقص أو زيادة، ففي ذاته ممكن أن ينفعل من غيره، ولازمه تركّب الذات من القوّة والفعل، وكل مركب هو ممكن الوجود مُحتاج في وجوده إلى غيره، ولازمه أن يكون سبحانه وتعالى ممكن الوجود، وهو محال.

وأشار عليه السلام أيضاً إلى حجّة أُخرى على بطلان زعمهم: بنزوله سبحانه وتعالى من السماء. بأنّ ذلك يلزم منه الحركة، وكل متحرّك لا بدّ له من محرّك سواء كان مبايناً له كالحركات النفسية، وهي المعبّر عنها بقوله عليه السلام: «من يحركه». أم مقارناً له كالحركة الطبيعية، وقد عبّر عنها عليه السلام بقوله: «أو يتحرّك به». والحركة حادثة، وهي باعتبارها وصفاً تحتاج إلى قابل، وباعتبار حدوثها تحتاج إلى فاعل، ولا بدّ أن يكون فاعلها غير القابل، إذ لا يُعقل أن يكون ذلك؛ فكلّ متحرّك يحتاج إلى محرك يُغايره، والمُغاير أيضاً يحتاج إلى محرّك، وهكذا؛ فيلزم منه التسلسل المجمع على بطلانه.

وحذر عليه السلام من تلك الظنون الفاسدة بإنّها توجب الهلكة، والمروق من الدين. فإنّه تعالى مُبرأ عن تلك الآراء الفاسدة التي يعرف زيفها من كان له أدنى إلمام من العلم والمعرفة.

بالله الظنون؛ فقد هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص، أو زيادة، أو تحرّك أو تحريك، أو زوال، أو استنزال، أو نهوض، أو قعود! فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين، وتوهّم المتوهّمين. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[1].

وفيه أيضاً: عن يعقوب بن جعفر، عن أبي إبراهيم عليه السلام، إنّه عليه السلام قال:

لا أقول: إنّه قائم؛ فأُزيله عن مكانه، ولا أحدّه بمكان يكون فيه، ولا أحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح، ولا أحدّه بلفظ شقّ فم، ولكن كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[2]. بمشيئة من غير تردّد في نفس، صمداً فرداً، لم يحتج إلى شريك يذكر له ملكه، ولا يفتح له أبواب علمه.[3]

---

١. سورة الشعراء، الآية: ٢١٧ـ٢١٩.

٢. سورة البقرة، الآية: ١١٧.

٣. أصول الكافي للكليني: ج١ ص١٢٥، باب الحركة والإنتقال، ح١.

أقول: أراد عليه السلام: إنّه لا يصف الله سبحانه وتعالى بالقيام بالمعنى الذي يقول به اللغويون؛ كي يلزم زواله عن المكان الذي كان به قبل قيامه، ولا يصفه سبحانه وتعالى بالكون في مكان؛ ليلزم منه كونه جسماً محدوداً، ولا يصفه سبحانه وتعالى بالحركة بكلّه، أو بالحركة التي تكون للجوارح؛ فإنّ ذلك يلزم منه التغيير، والحاجة إلى الغير. تعالى الله عن جميع ذلك.

وبين عليه السلام كيفية صنعه سبحانه وتعالى للأشياء: بأنّ ذلك ليس بلفظ شقّ فم لافظ عند تكلّمه، بل إنّما إذا أراد شيئاً أن يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وهو تعالى يفعل ما يريد بنفس مشيئته من غير تردّد وتفكّر، أو استعمال آلة، أو جارحة. كما أنّه سبحانه لا يفتقر إلى شريك يُعينه في إيجاده للأشياء، ولا وزير يذكر له ملكه بعد نسيان، أويُحصي له سلطانه بعد غفلة. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وقال العلامة المجلسي: قوله عليه السلام: فأُزيله عن مكانه. أي، لا يتّصف بالقيام اتّصاف الأجسام؛ لاستلزامه الزوال في الجملة عن مكانه كزوال ما يقوم من الأجسام عن مكانه الذي استقرّ فيه، ولأنّ القيام نسبة إلى المكان بخلو بعض المكان عن بعض القائم عنه، وشغل بعضه ببعض، ونسبته تعالى إلى كلّ الأمكنة سواء.

وقال أيضاً: أقول: ويمكن أن يكون المُراد بـ : المكان. الدرجة الرفيعة التي له سبحانه من التقدّس، والتنزّه،

الله، والإستواء على العرش

روى البرقي في المحاسن، بسنده: عن الحسن بن راشد، عن أبي الحسن، موسى عليه السلام، وسُئل عليه السلام عن معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[١]؟

فقال عليه السلام: استولى على ما دقّ وجلّ.[٢]

وفي رواية الكليني في الكافي، بنفس السند: سُئل عن معنى الله؟

فقال عليه السلام: استولى على ما دقّ وجلّ.[٣]

أقول: وحاصله؛ بعد أن انتشرت الأضاليل، وشاعت البدع، والأفكار المنحرفة؛ وجّهت أسئلة كثيرة إلى الإمام عليه السلام فيما يتعلّق بذات الله، وصفاته عزّ وجلّ، وكان السؤال عن معنى «الله، وبيان استواءه على العرش» من بين تلك الأسئلة التي وُجّهت إليه عليه السلام؛ فأجابهم عليه السلام بتفسير الشيء بما يُلازمه؛ فإنّ معنى الإستواء، أو الإلوهيّة يلزمان الإستيلاء على جميع الأشياء والموجودات، جليلها ودقيقها، حاضرها وغائبها، والسماوات والأرض، وما فيهن وما بينهن، وما فوقهن وما تحتهن.

والتجرّد. أي، نسبة القيام إليه تعالى مستلزم لإزالته عن تجرّده، وتقدّسه، وتنزّهه سبحانه.

وقوله عليه السلام: في شيء من الأركان. أي، الأركان البدنية، أو النواحي والجوانب. أي، أركان الخلق والجوارح، بأن يتحرك رأسه، أو عينه، أو يده سبحانه.

وقوله عليه السلام: بلفظ شق فم. أي، لفظ خارج من فرجة الفم. راجع مرآة العقول: ج٢ ص٦٥ ذيل ح٢.

١. سورة طه، الآية: ٥.

٢. المحاسن: ج١ ص٢٣٨ رقم٢١٢.

٣. أصول الكافي: ج١ ص١١٤، باب معاني الأسماء واشتقاقها، ح٣.

الإرادة

روى الكليني في الكافي، بسنده: عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله، ومن الخلق؟

فقال عليه السلام: الإرادة من الخلق: الضمير، وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل. وأمّا من الله تعالى؛ فإرادته: إحداثه لا غير. لأنّه لا يروي، ولا يهمّ، ولا يُفكّر. وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي صفات الخلق. فإرادة الله: الفعل لا غير ذلك؛ يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. بلا لفظ، ولا نطق، ولا لسان، ولا همّة، ولا تفكّر، ولا كيف لذلك كما أنّه لا كيف له.[١]

أقول: إنّ إرادة الإنسان عبارة عن كيفيّة نفسانيّة تحدث عُقيب تصوّره للشيء الملائم له، والتصديق بثبوته، ونفعه تصديقاً علمياً، أو ظنّياً، فإذا بلغ الشيء في قرارة النفس حدّ الرجحان؛ حصل العزم لإيجاده.

وأمّا إرادة الله سبحانه وتعالى؛ فليست صفة حادثة على ذاته عزّ وجلّ، لاستحالة حدوث صفة، أو كيفيّة في ذاته الجليلة، وليست الإرادة بالنسبة له إلا إحداثه عزّ وجلّ الشيء لا غير؛ لتعاليه سبحانه عن الروية، والتفكّر.

---

١. أصول الكافي: ج١ ص١٠٩، الإرادة أنّها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل، ح٣.

فصل في

موقفه عليه السلام مع ملوك بني العباس

لقد إمتاز الدور الذي صار إليه أهل البيت عليهم السلام من بعد إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام بكونه فكرياً ريادياً أكثر منه جهاداً تعبوياً، بل لم يكن في نهجهم عليهم السلام ممارسة لأي دور قيادي سياسي؛ لعلمهم بعدم جدوى ذلك مع مجتمع آل على نفسه عدم إستساغة حكم مَن يضع عنهم إصرهم، والأغلال التي في أيديهم؛ بسبب ما أصابهم من إنحلال نفسي، وضياع عقائدي مُستمداً جذوره من بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله، مستسقياً بنيان سوقه من زعاف السقيفة، وما أجهضته، ولا يزال مُستمراً في جسد الأُمّة أثره. وما كان من الأُمّة حين آل الحكم ـ تحت وطأة الضغوط الحرجة التي كان قد عانى منها المجتمع الإسلامي آنذاك ـ لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعد معرفتهم عزمه تحكيم شريعة السماء، وسنّة النبي صلى الله عليه وآله فيهم؛ أن رفضوه، واتّهموه، وحاربوه، ومن ثمّ قتلوه. بما فيه دلالة بيّنة على عمق الأثر السلوكي للنمط الذي مارسته السلطات المتسلّقة بخيوط الخلافة.

وعليه؛ صار من نهج الأئمّة أنّ الرافض لحكم الشريعة بما أنزل الله تعالى، غير جدير بحكم إمام معصوم؛ ومن هنا إتّخذ أئمّة الهدى عليهم السلام ـ من بعد الإمام الحسين عليه السلام ـ موقفاً مُبايناً تجاه النزاعات، والحركات، والثورات التي كانت أوارها تتأجّج بين الفينة والأُخرى؛ فكانوا عليهم السلام أحلاس بيوتهم، بل حتّى لم يستعملوا نفوذهم الروحي في تأيّيد ولا واحدة منها؛[1] لما سبق من علمهم عليهم السلام

١. روي بالسند المتّصل عن عمير بن متوكّل الثقفي البلخي، عن أبيه متوكّل بن هارون، قال: لقيت يحيى بن زيد بن علي عليه السلام وهو متوجّه إلى خراسان، فسلّمت عليه، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من

بهوان الدين في قلوب الناس، وما قد أُشربت نفوسهم من واعزٍ أهون ما فيه، مؤازرة الظالم بالتخلّي عن الحقّ، أو الإنقلاب عليه كالناكثة، والخوارج مع

الحجّ. فسألني عن أهله، وبني عمّه بالمدينة، وأحفى السؤال عن جعفر بن محمد عليهما السلام، فأخبرته بخبره، وخبرهم، وحزنهم على أبيه زيد بن علي عليهما السلام. فقال لي: قد كان عمّي محمد بن علي أشار على أبي بترك الخروج؛ وعرّفه إن هو خرج، وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره، فهل لقيت ابن عمّي جعفر بن محمد عليهما السلام؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمري؟ قلت: نعم. قال: بم ذكرني؟ خبّرني. قلت: جُعلت فداك، ما أُحبّ أن أستقبلك بما سمعته منه. فقال: أبالموت تخوفني!؟ هات ما سمعته. فقلت: سمعته يقول: إنّك تُقتل، وتُصلب كما قُتل أبوك، وصُلب. فتغيّر وجهه، وقال: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. يا متوكّل، إنّ الله عزّ وجلّ أيّد هذا الأمر بنا، وجعل لنا العلم، والسيف، فجُمعا لنا، وخصّ بنو عمّنا بالعلم وحده. فقلت: جُعلت فداك، إنّي رأيت الناس إلى ابن عمّك جعفر عليه السلام أميل منهم إليك وإلى أبيك. فقال: إنّ عمّي محمد بن علي، وابنه جعفراً عليهما السلام دعوا الناس إلى الحياة، ونحن دعوناهم إلى الموت. فقلت: يابن رسول الله، أهُم أعلم، أم أنتم؟ فأطرق إلى الأرض ملياً، ثمّ رفع رأسه، وقال: كُلّنا له علم، غير أنّهم يعلمون كلّما نعلم، ولا نعلم كُلّما يعلمون... قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا متوكّل، كيف قال لك يحيى: إنّ عمّي محمد بن علي، وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحياة، ودعوناهم إلى الموت؟ قلت: نعم، أصلحك الله، قد قال لي ابن عمّك يحيى ذلك. فقال يرحم الله يحيى، إنّ أبي حدّثني، عن أبيه، عن جدّه علي عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة، وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً، والحزن يُعرف في وجهه... فقال صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل، أعلى عهدي يكونون، وفي زمني؟! قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك، فتلبث بذلك عشراً، ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمساً، ثمّ لابدّ من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثمّ ملك الفراعنة... فأطلع الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله إنّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة، وملكها طول هذه المدّة، فلو طاولتهم الجبال؛ لطالوا عليها، حتّى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت، وبغضنا، أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمد عليهم السلام وأهل مودّتهم، وشيعتهم منهم في أيامهم، وملكهم... ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: ما خرج، ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد، ليدفع ظلماً، أو يُنعش حقّاً، إلا اصطلمته البليّة، وكان قيامه زيادة في مكروهنا، وشيعتنا... إلخ. أنظر الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام: ص٦١٧. والآية من سورة الرعد: ٣٩.

أميرالمؤمنين عليه السلام.

هذا من منظار واقعي، أمّا حقيقة الأمر من الموقف السياسي لهم عليهم السلام؛ فعلمه عندهم عليهم السلام.

كلمة حقّ

لا ريب أنّ الله اصطفى الإسلام، وأكرمه، وشرّفه، وعظمه، واختاره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا...﴾[3].

فأيّده بالمؤمنين؛ علي بن أبي طالب عليه السلام، وزوج النبي صلى الله عليه وآله خديجة بنت خويلد عليها السلام، وعمّ النبي صلى الله عليه وآله أبو طالب[4] الذي حامى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأيّده،

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٩.

٢. سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٣. سورة المائدة، الآية: ٣.

٤. أقول: إنّ مشاحّة القوم في مسألة إيمان أبو طالب برسالة النبي صلى الله عليه وآله ليست بحاجة لمزيد عناء منّا في دحضها، خصوصاً بعد أن كشف عن إيمانه برسالة السماء حين رآى النبي صلى الله عليه وآله، وبمعيته علي بن أبي طالب عليه السلام وهما يؤدّيان الصلاة، أن أمر ابنه جعفراً بأن يصل جناح النبي صلى الله عليه وآله، ليُكمل بذلك نصاب أوّل صلاة للجماعة في الإسلام. كما حدّث به الصلصال بن الدلهمس، حيث قال: كان أبي ـ يعني، الدلهمس ـ لأبي طالب ولده، فكان الذي بينهما في الجاهلية عظيم، فكان أبي يبعثني إلى مكّة لأنصر النبي صلى الله عليه وآله مع أبي طالب قبل إسلامي، فكنت أُقيم بمكّة الليالي عند أبي طالب لحراسة النبي صلى الله عليه وآله من قومه. فإنّي يوم من الأيام جالس بالقرب من منزل أبي طالب في الظهيرة، وشدّة الحرّ إذ خرج أبو طالب شبيهاً بالملهوف، فقال لي: يا أبا العصيفر، هل رأيت هذين الغلامين؛ فقد ارتبت بإبطائهما عليّ؟ فقلت: ما أحسست لهما خبراً منذ جلست. فقال: إنهض بنا. فنهضت، وإذا جعفر بن أبي طالب يتلو أبا طالب، قال: فاقتصصنا الأثر حتّى خرج بنا من أبيات مكّة، قال: ثمّ علونا جبلاً من جبالها، فأشرفنا منه على أكمة دون ذلك التل؛ فرأيت النبي صلى الله عليه وآله، وعلياً قائماً عن يمينه، ورأيتهما يركعان، ويسجدان قبل أن أعرف الركوع والسجود، ثمّ انتصبا قائمين، فقال أبو طالب لجعفر: أي بنُي، صل

ونصره. فجدير أن يقال: إنّ الله أيّد الإسلام بأبي طالب، وأهل بيته، وجعلهم أهله، وكهفه، وصحنه، والقوّام به، والذابّين عنه، والناصرين له؛ فألزمهم كلمة التقوى، وجعلهم أحقّ بها وأهلها، وأخصّهم برحم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ كان عبد الله ـ والد النبي صلى الله عليه وآله ـ وأبو طالب والزبير أُخوة من الأب والأم، والدهم شيبة الحمد ـ عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ـ وأُمّهم جميعاً فاطمة بن عمرو بن عياذ بن عمرو بن مخزوم بن يقظة، وأُمّ العباس بن عبد المطّلب، أمّ ولد، واسمها: نثيلة. فأبو طالب وأولاده أخصّ، وأمسّ رحماً برسول الله صلى الله عليه وآله من العباس وأولاده، وأُولئك أقرب به وإليه صلى الله عليه وآله من هؤلاء، وهم من شجرته، واشتقّوا من نبعته صلى الله عليه وآله.

فعن أبي حمزة بن الربيع، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: الناس من شجر شتّى، وأنا وأنت من شجرة واحدة. ثمّ قرأ النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ﴾[١].[٢]

وعن جابر: إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان بعرفة، وعلي عليه السلام تجاهه، فقال صلى الله عليه وآله: يا علي، أُدنُ

جناح ابن عمّك. قال: فمضى جعفر مسرعا حتّى وقف بجنب علي. فلمّا أحسّ به النبي صلى الله عليه وآله، أخّرهما، وتقدّم، وأقمنا موضعنا حتّى انقضى ما كانوا فيه من صلاتهم، ثمّ إلتفت إلى النبي صلى الله عليه وآله، فرآنا بالموضع الذي كنّا فيه، فنهض ونهضنا معه مقبلين، فرأينا السرور يتردّد في وجه أبي طالب؛ ثمّ انبعث يقول:

إنّ علياً وجعفراً ثقتي	عند مهمّ الأمور والكرب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما	وابن أُمّي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا	يخذله من بنيّ ذو حسب

قال: فلمّا آمنت به صلى الله عليه وآله، ودخلت في الإسلام، سألت النبي صلى الله عليه وآله عن تيك الصلاة.

فقال صلى الله عليه وآله: نعم يا صلصال، هي أوّل جماعة كانت في الإسلام. مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ج١ ص ٧٨٠.

١. سورة الرعد، الآية: ٤.

٢. تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٤٢ ص٦٤، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

منّي، وضع خمسك في خمسي؛ يا علي، خُلقت أنا وأنت من شجرة واحدة، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، من تعلّق بغصن منها؛ أدخله الله الجنّة.[١]

وعن أبي هارون العبدي، قال: سألت أبا سعيد الخدري عن علي بن أبي طالب عليه السلام خاصّة؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: خُلق الناس من أشجار شتّى، وخُلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها؛ فطوبى لمن استمسك بأصلها، وأكل من فرعها.[٢]

فعلي عليه السلام وبنوه جديروا بأن يفخروا، قائلين: خصّنا الله برحم رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابته، وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقّنا من نبعته دون غيرنا من الناس.

وأمّا آية المودّة، فإنّها وإن كانت في قربى رسول الله صلى الله عليه وآله، واطلاقها يشمل بني هاشم جميعاً، ولكن هناك روايات عن النبي صلى الله عليه وآله تؤكّد على أنّ المقصود من القربى في الآية: هم أهل بيته صلى الله عليه وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، كما روى الزمخشري في كشّافه في تفسير الآية من سورة الشورى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٣]. قال:

وروي: إنّها لمّا نزلت؛ قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم!؟ قال صلى الله عليه وآله: علي، وفاطمة، وابناهما.[٤]

والسيوطي في الدرّ المنثور، في تفسير الآية، قال: وأخرج ابن المنذر، وابن

---

١. تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٤٢ ص٦٤ و٦٦، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢. تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٤٢ ص٦٤، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣. سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٤. تفسير الكشّاف: ج٣ ص٤٠٢، مورد تفسير سورة الشورى، الآية: ٢٣.

أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: علي، وفاطمة، وولداهما.[1]

وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير: فثبت أنّ هؤلاء الأربعة ـ علي، وفاطمة، وولداهما ـ أقارب النبي صلى الله عليه وآله. وإذا ثبت هذا؛ وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم. ويدلّ عليه ـ يعني، اختصاصهم بمزيد التعظيم ـ وجوه:

أوّلاً: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. ووجه الإستدلال به، ما سبق من أنّ آل محمد عليهم السلام: هم الذين يؤول أمرهم إليه؛ فكلّ مَن كان أمرهم إليه صلى الله عليه وآله أشدّ، وأكمل؛ كانوا هم الآل. ولا شكّ أنّ فاطمة، وعلياً، والحسن، والحسين، كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر؛ فوجب أن يكونوا هم الآل.

ثانياً: لا شكّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يُحبّ فاطمة عليها السلام؛ قال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها.[2] وثبت بالنقل المتواتر عنه صلى الله عليه وآله: إنّه كان يُحبّ علياً، والحسن، والحسين. وإذا ثبت ذلك، وجب على كلّ الأمّة مثله؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3]، ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[4]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن

---

١. الدرّ المنثور: ج٧ ص٣٤٨، مورد تفسير سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٢. راجع سنن الترمذي: ج٥ ص٦٥٦ ح٣٨٦٩. صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦١ ح٣٥١٠، صحيح مسلم: ج٥ ص٥٤ ح٩٤، سنن النسّائي: ج٥ ص٩٧ ح٨٣٧٠. مسند أحمد: ج٤ ص٥٧١ ح١٥٦٩١.

٣. سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

٤. سورة النور، الآية: ٦٣.

كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1]، ولقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

ثالثاً: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة، وهو قوله ﷺ: اللهمّ، صلّ على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمداً وآل محمد. وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمد واجب.[3]

فلا شكّ أنّ آية المودّة نزلت في أهل بيت رسول الله ﷺ وعترته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ والعبّاس بن عبد الطّلب، وبنيه، لم يكونوا منهم.

وإذا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[4]. فإنّ النبي ﷺ دعا بني عبد المطّلب، وصنع لهم طعاماً ليس بالكثير، فقال ﷺ: كلوا بسم الله من جوانبها؛ فإن البركة تنزل من ذروتها، ووضع ﷺ يده أولهم، فأكلوا حتّى شبعوا... فقال أبو لهب: لَقدما سحركم... وقال ﷺ يا بني عبد المطّلب، إنّي جئتكم بما لم يجيء به أحد قطّ، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإلى الله وكتابه... ومدّ ﷺ يده وقال: من يبايعني على أن يكون أخي، وصاحبي، ووليّكم من بعدي؟ قال علي عليه السلام: أنا أُبايعك. وكان يومئذ أصغر القوم، فبايعه ﷺ على ذلك.[5]

فقصّة نزول الآية الكريمة، وإنذار النبي ﷺ بني عبد المطّلب، ودعوته ﷺ

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٣١.

٢. سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

٣. التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٥، مورد تفسير سورة الشورى، الآية: ٢٣.

٤. سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٥. أنظر كنز العمّال للهندي: ج٦ ص٤٠١. وتاريخ الطبري: ج٢ ص٦٢.

إياهم الى الله تعالى، وقولهصلى الله عليه وآله: فأيّكم يؤازرني... إلخ، إنّما تدلّ على أنّ خلافة النبوّة مختصّة بعليعليه السلام، ومستقرّة في بيته، لا تخرج من ذلك البيت الشريف؛ لأنّه بيت النبوّة وأهله، وهم علي، وفاطمة، وولداهماعليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأعلم الناس فضلهمعليهم السلام بآية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾[1]، وأوجب على المسلمين حقّهم ومودّتهم، وأجزء من الفيء والغنيمة نصف الخمس، وهو سهم الله، وسهم الرسولصلى الله عليه وآله، وسهم ذوي القربى لهمعليهم السلام، بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾[2]. فجعل النصف لهم خاصّة، والنصف الآخر لليتامى، والمساكين، وابن السبيل من ذوي قربى النبيصلى الله عليه وآله الذين لا تحلّ لهم الزكاة والصدقة.

فأهل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله أحقّ بخلافة النبوّة، ورياسة المسلمين، فلهم كلّ ذلك خاصّة؛ لأنّه بهم هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصّرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلاكهم، وبهم أظهر الله الحقّ، ودحض الباطل، وأصلح ما كان فاسداً، وبهم رفع الله الخسيسة، وتمّم النقيصة، وجمع الفرقة، حتّى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف، وبر، ومواساة. فتح الله دينه بهمعليهم السلام منّة، وزيادة على العالمين.

نعم، بعد أن فتح الله باب الخير، والصلاح، والبركة، والرحمة، والسعادة، بنبيّه، نبيّ الرحمة محمدصلى الله عليه وآله، وبأهل بيته الطاهرين، سيختُم بخلافة الثاني عشر منهمعليهم السلام؛ الحجّة بن الحسنعجل الله فرجه، حجّة الله في الأرض، مهدي أُمّة محمدصلى الله عليه وآله؛ الذي لو لم يبق من الدنيا إلا يوم؛ لطوّله الله؛ ليظهره ويملأ به الأرض قسطاً

---

١. سورة آل عمران، الآية: ٦١.

٢. سورة الأنفال، الآية: ٤١.

وعدلاً بعدما مُلأت ظلماً وجوراً.

قال محبّ الطبري: عن حُذيفة ـ ابن اليمّان ـ : إنّ النبيﷺ، قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلاً من ولدي، اسمه كاسمي. فقال سلمان: من أي ولدك يا رسول الله؟

قال: من ولدي هذا. وضرب بيدهﷺ على الحسينعليه السلام.[١]

نعم، فإنّ من أقسى المحن وأفجعها؛ محنة عترة النبيﷺ، وذريّته، فقد صُبّ عليهم أنواع العذاب وألوانه، وقوبلوا بمزيد من العنف والجور، فأُبيد شيوخهم وشبابهم، فكان ما حلّ بهم من التنكيل على يد العبّاسيين الطغاة، الغاشمين، الجبارين أضعاف ما واجههم به الأمويون، حتّى قيل في ذلك:

تالله ما فعلت أُميّة فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وقد صوّر شاعر العقيدة دعبل الخزاعي مدى الظلم، والجور الذي حلّ بآل البيتعليهم السلام، وكشف عمّا لاقوه من المحن، والرزايا، والخطوب، بقوله:

وليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم كما يشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أُميّة معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر

لا شكّ أنّ آل العباس كآل أُميّة في أنّهم لم يكونوا يرون أنفسهم مسؤولين عن صيانة الدين الإسلامي، ولا عن المجتمع الإسلامي، ولم يكونوا يخافون الله ورسولهﷺ بقدر ماكان آل البيتعليهم السلام يرون أنّهم مسؤولون عن صيانة الإسلام المحمّدي، وأمن المجتمع الإسلامي، ودفع الويلات والخطوب عنهما.

---

١. ذخائر العقبى: ص١٣٦.

وقد كشف باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله وحكمتـه؛ علـي أميرالمـؤمنين عليه السلام عـن السرّ من وراء إحجامه عن بيعة أبي بكر، بقوله:

اللهمّ، إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة فـي سـلطان، ولا التمـاس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم مـن دينـك، ونظهـر الإصـلاح فـي بلادك؛ فيأمن المظلومون من عبادك، وتُقام المعطَّلة من حدودك....[1]

لقد امتنع الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام من بيعة أبي بكر من أجـل هـذه الأهـداف النبيلة، فكان عليه السلام يرى نفسه مسؤولاً عن رعاية الأُمّة، وإقامة الإصلاح الشامل في رحابها، فلذا انطلق عليه السلام يُعلن سخطه على الذي تقمّص الخلافة وهو يعلم محـلّ علي بن أبي طالب عليه السلام منها محلّ القطب من الرحى.[2]

وهكـذا هـم أولاده وأحفـاده عليهم السلام، حملـوا الموقـف نفـسه تجـاه الغاصـبين، والقاسطين، وقاطعي الرحم، وقد بذلوا أنفسهم، ومُهجهم لأجـل حفـظ الإسـلام وبقائه، ومكافحة الجور، والظلم، والطغيان.

بغي الدوانيقي

كان المنصور الدوانيقي يعلم بإجمـاع المـسلمين علـى حـبّ الأئمّـة، أولاد فاطمة عليها السلام، واحترام الناس لهـم؛ إذ كـانوا مـن شـدّة إحتـرامهم لهـم لايُنـادون واحدهم إلا بـ: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله. فـضلاً عمّـا شـاع مـن مكـارم أخلاقهـم، وطيب أعراقهم، وبسط أكفّهم، وغزارة العلم عنهم، وغير ذلك ممّا يؤهّلهم إلـى مركز خلافة النبوّة، وإمامة الأُمّة الإسلامية وقيادتها. وبالمقابل كان يعلـم بـبغض

١. أنظر نهج البلاغة: ج٢ ص١٣، الخطبة المنبريّة، رقم١٣١.
٢. أنظر نهج البلاغة: ج٢ ص١٩، الخطبة الشقشقيّة، رقم٣.

الناس له، وكراهيتهم لسلطانه؛ لما كان من إتّصافه بالشحّ والبخل، والقسوة والجفاء، والمكر والخديعة، وغيرها من الرذائل والمساوئ.

الأمر الذي زاد من تفكير المنصور بكل ما أُتي من كيد في مضاعفة بغيه على آل النبيﷺ، وعلى آل أبي طالب، واضعاً نُصب عينيه خوفه على صولجان الملك، وسطوة الحكم، ففعل ما لم يدر بخلد سواه أن يفعله، حتّى كان من خوف الإطّلاع عليه أن سرّه، وستره، ولمّا عزم على الحجّ، دعا ريطة بنت أبي العبّاس، إمرأة المهدي ـ وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر ـ فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وتقدّم إليها، وأحلفها، ووكّد الأيمان ألا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تُطلع عليها أحداً إلا المهدي، ولا هي إلا أن يصحّ عندها موته، فإذا صحّ ذلك، اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث، حتّى يفتحا الخزانة. فلمّا قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام، دفعت إليه المفاتيح، وأخبرته عن المنصور: إنّه تقدّم إليها فيها ألا يفتحه، ولا يطّلع عليه أحداً حتّى يصحّ عندها موته، فلمّا انتهى إلى المهدي موت المنصور، وولي الخلافة؛ فتح الباب، ومعه ريطة؛ فإذا أزج[1] كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال، ورجال: شباب، ومشايخ عدّة كثيرة، فلمّا رأى ذلك المهدي إرتاع لما رأى؛ وأمر، فحُفرت لهم حفيرة، فدفنوا فيها، وعمل عليهم دكّان[2].[3]

ممّا حدى بأبي فراس الحمداني ليهجو العباسيين على جرائمهم النكراء التي

---

١. الأزج: بيت يُبنى طولاً.

٢. الدكّان: الدكّة المبنيّة للجلوس عليها.

٣. تاريخ الطبري: ج٤ ص٥٤١، ذكر الخبر عن وصاياه.

اقترفها سلفهم اللئيم المنصور الدوانيقي، قائلاً:

هـلا كففـتم عـن الـديباج سـوطكم — وعــن بنــات رسـول الله شـتمكم
مــا نزهــت لرســول الله مهجتــه — عــن الــسياط فهـلا نُـزّه الحـرم
ما نال منهم بنـو حرب وإن عظمت — تلــك الجرائــر إلا دون نــيلكم
كـم غـدرة لكـم في الـدين واضـحة — وكــم دم لرســول الله عنــدكم
أنــتم لــه شــيعة فيمــا تــرون وفي — أظفـاركم مـن بنيـه الطـاهرين دم
هيهــات لا قربـت قربـى ولا رحــم — يومـاً إذا أُقـصت الأخـلاق والـشيم
كانــت مــودّة سـلمان لــه رحمــاً — ولم يكـن بـين نـوح وابنــه رحـم[1]

المهدي العبّاسي

ولم يعتبر المنصور بمن كان من الملوك قبله، حاله بذلك حـال كـلّ طـاغي متعجرف، حتّى كان ما كان من أمره في آخر منزل نزله من طريق مكّة، نظر فـي صدر البيت الذي نزل فيه؛ فإذا فيه مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت — سـنوك وأمـر الله لا بـدّ واقـع
أبـا جعفـر هـل كـاهن أو مـنجم — لـك اليـوم مـن حـر المنيـة مـانع

قال: فدعا بالمتولّي لإصلاح المنازل، فقال له: ألم آمـرك ألا يـدخل المنـزل أحد من الدعار[2]!؟

قال: يا أمير ال...، والله، ما دخلها أحد منذ فُرغ منها.

فقال: إقرأ؛ ما في صدر البيت مكتوباً؟

قال: ما أرى شيئاً يا أميرالمؤمنين!

---

١. الغدير للعلامة الأميني: ج٣ ص٢٣٨.

٢. الدعار: المُفسد.

قال: فدعا برئيس الحجبة، فقال: إقرأ؛ ما على صدر البيت مكتوباً؟

قال: ما أرى على صدر البيت شيئاً! فأملى البيتين، فكُتبا عنه، فالتفت إلى حاجبه، فقال: إقرأ لي آية من كتاب الله ﷻ، تُشوقني إلى الله ﷻ!

فتلا: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]. فأمر بفكّيه فوجئا.

وقال: ما وجدت شيئا تقرؤه غير هذه الآية!

فقال: يا أمير ال... **مُحي القرآن من قلبي غير هذه الآية!!** فأمر بالرحيل عن ذلك المنزل تطيراً ممّا كان، وركب فرساً، فلمّا كان في الوادي الذي يقال له: سَقَر[2]. وكان آخر منزل بطريق مكّة كبا به الفرس؛ فدُقّ ظهره، ومات، فدُفن ببئر ميمون.[3]

غير أنّه وقبل أنّ يهلك بسَقَر كان قد عهد بأمره إلى ابنه المهدي، ونصّبه سلطاناً من بعده، وكان ممّا قال له في وصيّته: إنّي تركت الناس ثلاثة أصناف: فقيراً لا يرجو إلا غناك، وخائفاً لا يرجو إلا أمنك، ومسجوناً لا يرجو الفرج إلا منك، فإذا وليت؛ فأذقهم طعم الرفاهية، لا تمدد لهم كلّ المدّ.[4]

وقد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي، وجمعت لك من الموالي ما لم يجمعه خليفة قبلي، وبنيت لك مدينة ـ بغداد ـ لم يكن في الإسلام مثلها.[5]

---

١. سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

٢. سقر ـ بفتح أوّله، وثانيه ـ: وهو جبل بمكّة مُشرف على الموضع الذي بنى فيه المنصور القصر. راجع معجم البلدان للحموي: ج٣ ص٢٢٦ «مادّة سقر».

٣. تاريخ الطبري: ج٤ ص٥٤٣، ذكر الخبر عن وصاياه.

٤. أنظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٩٥.

٥. أنظر تاريخ الطبري: ج٤ ص٥٤٣.

أجل، لم يترك المنصور بعض الناس، بل تركهم ـ بحسب وصيّته ـ جميعاً، وملأ السجون بالأحرار، والمصلحين، الصالحين منهم، بالأخصّ ذرّيّة علي وفاطمة عليهما السلام، فقد روّعهم بالخوف، وسلبهم الأمن والدعة، ونشر الفقر والفاقة بينهم، ولم يعهد الناس أظلم، ولا أعنف، ولا أقسى منه.

ومهما كان؛ فلمّا مات المنصور، واستقرّ المهدي على دست الحكم؛ أصدر مرسوماً ملكياً بالعفو عن المعتقلين، والمسجونين، ورد الأموال والأملاك التي صادرها أبوه ظلماً وعدواناً إلى أهلها، ورد أيضاً ما صادره أبوه من أموال الإمام الصادق عليه السلام إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام.[1]

هذا، وإنّ كان المهدي لا يُقاس بأبيه في ظلمه، ولكن لم يكن ذلك عن حسن سريرته، بل لم يرَ بُدّاً من إرجاع بعض الأموال، والتفريج عن المسجونين، وذلك حيث غضب الناس عليهم، ولم يمكن له امتصاص غضبهم إلا بذلك.

فإنّه قد خالف أباه في أغلب صفاته، وأعماله ـ ظاهراً ـ وورث منه الحقد والعداء لعلي عليه السلام وذريّته وشيعته، فقد كان يبغضهم بغضاً شديداً لظنّه أن لا بقاء له في الحكم والسلطان إلا بالقضاء على ذريّة علي عليه السلام وشيعتهم، والسبب يكمن في معرفته حقّ المعرفة بأنّهم ـ العباسيين ـ لم يكن لهم حقّ في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل العباسيون، والأمويون، والثلاثة الممهدون في عدم استحقاقهم الخلافة شرع سواء.

نعم، لا شكّ أنّ المهدي كان يعلم ـ كما كان يعلم أبوه، بل جميع ملوك بني العباس ـ بأنّ الثورة التي قامت على الحكم الأموي إنّما حملت طابع التشيّع

---

١. أُنظر تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٩٤.

وواقعه منذ بداياتها الأُولى، وقد نادى الثائرون بـ : «للرضا مـن آل محمـدﷺ».[١] متّخذين منه شعاراً ناضلوا من أجله، وكان العباسيون أنفسهم مِن بين مَن انـضمّ إلى دعوة الثوّار على هذا الأساس.

وآية ذلك؛ إنّ المهدي دخل على أبي عون ـ وهو من أعزّ أصحابه، وآثـرهم عنده ـ عائداً له، فطلب منه أن يعرض عليه حوائجه... فقال أبو عـون: حـاجتي أن ترضى عن ولدي عبد الله؛ فقد طالت موجدتك عليه.

فقال المهدي: يا أبا عبد الله، إنّـه علـى غيـر الطريـق، وعلـى خـلاف رأينـا ورأيك؛ إنّه يقع في الشيخين ـ أبي بكر، وعمر ـ ويُسيء القول فيهما.

فقال أبي عون: هو والله، على الأمر الذي خرجنا عليه، ودعونا إليه؛ فإن كـان قد بدا لكم، فمرونا بما أحببتم حتّى نُطيعكم...!![٢]

بغضه لآل محمدﷺ

قد كان المهدي العباسي يحمل بغضاً شديداً لآل محمدﷺ حتّى أنّه صـرف الأموال الضخمة من بيت مال المسلمين في سبيل الإنتقاص منهم، والحـطّ مـن شأنهم، بما سهّل الوسيلة على المرتزقة من الشعراء في الوصول لنيل مـا يُلهيهـم عن ذكر الله تعالى من وافر أموال الحرام التي كان يُسرف بهـا علـيهم، إسـتجابةً لرغبة نفوسهم التي اسحوذ الشيطان عليها، فـضلاً عـن إرضـاء رغبـة مربـوبهم طاغوت بني العبّاس؛ فذهبوا يُلفقون الأفائك، والأباطيل في هجائهم لأهل بيـت

---

١. لا يختلف اثنان علـى أنّ آل محمـدﷺ هـم: علـي، وفاطمـة، والحـسن، والحـسين، وأولاد الحـسين المعصومينﷺ، حُماة العدل، والحقُ دون بني العباس ومن أشبه.

٢. راجع تاريخ الطبري: ج٦ ص٤٠٠، ذكر الخبر عن الموضع الذي دُفن فيه المهدي. وتاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣٧ ص١٨٠، ترجمة أبو عون، عبد الملك بن يزيد.

العصمة والطهارة، ويبالغون في ذمّهم زوراً، وبهتاناً.

وقد دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي يوماً، وأنشده:

يا ابن الذي ورث النبي محمداً ... دون الأقارب من ذوي الأرحام

الوحي بين بني البنات وبينكم ... قطع الخصام فلات حين خصام

ما للنساء مع الرجال فريضة ... نزلت بذلك سورة الأنعام[1]

أنّى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام

فأجازه المهدي من بيت مال المسلمين سبعين ألف درهم؛ تشجيعاً له على انتقاصه لأهل بيت النبي عليهم السلام.

ولمّا سمع الإمام الكاظم عليه السلام بالقصيدة تأثّر شديداً، ونام ليلته متألّماً، وقد سمع هاتفاً في منامه عليه السلام يقول أبياتاً ردّاً على أبيات مروان بن أبي حفصة، وهي:

أنّى يكون ولا يكون ولم يكن ... للمشركين دعائم الإسلام

لبني البنات نصيبهم من جدهم ... والعم متروك بغير سهام

ما للطليق والتراث وإنّما ... سجد الطليق مخافة الصمصام

وبقى ابن نثلة واقفاً متلذّذاً ... فيه ويمنعه ذووا الأرحام

إن ابن فاطمة المنوه باسمه ... حاز التراث سوى بني الأعمام[2]

نعم، لقد كان المهدي العباسي يهب الأموال الطائلة من بيت مال المسلمين

---

١. أقول: ليس في سورة الأنعام ذكر للإرث، أو حكم من أحكامه؛ وهذه الأبيات إنّما تحكم بالإرث الجاهلي الذي حرم النساء نصيبهنّ من الإرث.

وروى أبو الفرج، قال: وقد ردّ عليه غير واحد من شعراء الشيعة، منهم: جعفر بن عفّان الطائي، قال:

لم لا يكون وإن ذاك لكائن ... لبني البنات وراثة الأعمام

للبنت نصف كامل من ماله ... والعمّ متروك بغير سهام

ما للطليق وللتراث وإنّما ... صلّى الطليق مخافة الصمصام

أنظر الأغاني: ج ٩ ص ٤٥، ترجمة جعفر بن عفّان الطائي.

٢. الإحتجاج للطبرسي: ج٢ ص١٦٧.

ليُجيز بها النواصب، والفسّاق، والفجّار من الشعراء؛ يُغريهم بها للحطّ من شأن أهل البيت عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، رغم علمه بما آل إليه وأُسرته من الملك والسلطان إنّما كان بإسم أُولئك الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

ودليل آخر على بغضه لآل النبي عليهم السلام؛ قال أبو الخطّاب: لمّا حضرت القاسم بن مجاشع التميمي ـ من أهل مرو بقرية يُقال لها: «باران» ـ الوفاة أوصى إلى المهدي، فكتب:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[1] إلى آخر الآية. ثمّ كتب: والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك، ويشهد: أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، وأنّ علي بن أبي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، ووارث الإمامة بعده.

قال: فعُرضت الوصيّة على المهدي، فلمّا بلغ هذا الموضع؛ رمى بها، ولم ينظر فيها!

قال أبو الخطّاب: فلم يزل ذلك في قلب أبي عبيد الله الوزير؛ فلمّا حضرته الوفاة كتب في وصيّته هذه الآية.[2]

فالمهدي كان يكمن في أعماق قلبه بغضاً شديداً لنفس رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصيّه؛ علي بن أبي طالب عليه السلام.

سؤاله عن حرمة الخمر

حجّ المهدي العباسي بيت الله الحرام. ثمّ قفل إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله،

---

١. سورة آل عمران، الآية: ١٧و١٨.

٢. تاريخ الطبري: ج٦ ص٣٩٧، ذكر سنة ١٦٩.

واجتمع به الإمام الكاظم عليه السلام فلمّا استقر به المجلس. وجّه له المهدي السؤال: هل الخمر محرّمة في كتاب الله؛ فإنّ الناس إنّما يعرفونها، ولا يعرفون التحريم!؟

قال عليه السلام: بل هي محرّمة في كتاب الله.

قال المهدي: في أي موضع هي محرمة!؟

قال الإمام عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1].

أمّا قوله تعالى: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾. يعني، الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية ـ كالنابغة أُمّ عمرو بن العاص ـ.

وأمّا قوله: ﴿وَمَا بَطَنَ﴾. يعني، ما نكح الآباء؛ لأنّ الناس قبل أن يُبعث النبي صلى الله عليه وآله إذا كان للرجل زوجة ومات عنها زوجها، تزوّجها بعده ابنه إذا لم تكن هي أُمّه. فحرّم الله ذلك.

وأمّا قوله: ﴿وَالْإِثْمَ﴾. فإنّها الخمرة بعينها؛ وقد قال الله تبارك وتعالى في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾[2]. فالإثم في كتاب الله: هو الخمر، والميسر. وإثمهما كبير.

ولم يملك المهدي العباسي إعجابه بالإمام عليه السلام؛ فالتفت إلى علي بن يقطين قائلاً له: هذه والله، فتوى هاشميّة.

قال ابن يقطين: صدقت والله، الحمد لله الذي لم يُخرج هذا العلم منكم أهل البيت.[3]

---

١. سورة الأعراف: ٣٣.

٢. سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

٣. راجع الكافي للكليني: ج٦ ص٤٠٦، تحريم الخمر في الكتاب، ح١.

توسعة المسجد الحرام

أمر المهدي العباسي بتوسعة المسجد الحرام مع الجامع النبوي، وقد امتنع أرباب الدور المجاورة للجامعَين من بيعها على الحكومة.

فسأل المهدي فقهاء العصر عن جواز إجبارهم على ذلك، فقالوا: لا ينبغي أن تدخل شيئاً في المسجد غصباً.

فأشار عليه علي بن يقطين أن يرفع استفتاءً في المسألة إلى الإمام الكاظم، فكتب إلى عامله على يثرب؛ يأمره بأن يسأل الإمام عن ذلك.

فمضى العامل إلى الإمام، وعرض عليه السؤال، فكتب: إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس؛ فالناس أولى ببنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة؛ فالكعبة أولى بفنائها.

فأمر المهدي بهدم الدور، وإضافتها إلى ساحة المسجدين ـ المسجد الحرام، ومسجد الرسول ـ.

وفزع أرباب الدور إلى الإمام، والتمسوا منه أن يكتب لهم رسالة إلى المهدي ليُعوضهم عن ثمن دورهم، فكتب إلى المهدي رسالة في ذلك... فأوصلهم المهدي، وأرضاهم.[1]

الهادي العباسي

كان الهادي، موسى بن محمد المهدي أخبث من أبيه، فقد كان طاغية جبّاراً، وقاسياً هتّاكاً، لا يتحرّج من سفك الدماء، وإراقتها بغير حقّ، ولقد أسرف في سفك دماء ذرّيّة رسول الله والعلويين؛ فأنزل بهم العقاب الصارم، حتّى كان

---

١. راجع تفسير العيّاشي: ج١ ص١٨٥ رقم٩٠، مورد تفسير سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

منه أن عزّم رأيه على التنكيل بالإمام الكاظم عليه السلام؛ إلا أنّ الله قصم ظهره قبل أن يقوم بذلك.

ولمّا ازداد غلواء نفس الهادي العباسي بنزعاتها الشريرة التي ظهرت على سلوكه في أعماله أن نقم عليه الناس جميعاً، وبغضه خاصّة أهله وأقربائه، بل حتّى أُمّه الخيزران حقدته بما بلغ بها الغيظ منه، والكراهية له أن أمرت جواريها بقتله؛ فقتلنه.[1]

لقد كان خليعاً ماجناً، شارباً للخمور، مقبلاً على الدعارة واللهو، وكان يُسرف من بيت مال المسلمين على شهواته ونزواته، فقد أعطى إبراهيم الموصلّي خمسين ألف دينار لقاء ثلاثة أبيات غنّاه بها أطربته، وغناه بصوت فأطربه؛ فوهب له ثلاثين ألف دينار، وقال إسحاق الموصلي: وبحسبك أنّه ـ أي، إبراهيم الموصلّي ـ أخذ منه ـ أي، من الهادي العبّاسي ـ في يوم واحد مائة وخمسين ألف دينار، ولو عاش لنا لبنينا حيطان دورنا بالذهب والفضّة.[2]

وكان كجدّه الدوانيقي عدوّاً لدوداً لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وذراريهم، وقد بالغ في التنكيل بهم، وسفك دمائهم المحرّمة، فأذاع فيهم الخوف والرعب، وألحّ في طلبهم، وقطع ما كان أبوه المهدي يُجريه لهم من الأرزاق، والأعطية. وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم إليه.[3]

---

١. راجع تاريخ الطبري: ج٦ ص٤٢٢. والكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٥ ص٧٩.

٢. راجع الأغاني لأبي الفرج: ج٥ ص١٧٧، إبراهيم وسبب إتّصاله بالمهدي.

٣. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٤٠٤، أيّام موسى بن المهدي.

تهديده للإمام الكاظمعليه السلام

وبعد أن استأصل الطاغي الخبيث الهادي العباسي شأفة الحسين[١] شهيد فـخّ،

١. هو: الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالـبعليه السلام، صـاحب «فـخّ» الكارثة الأفضع التي واجهها العالم الإسلامي في عهد الإمام الكاظمعليه السلام، وهي تعتبر الثانية بعد حادثـة كربلاء في شدّة آلامها وشجونها؛ لقد انتهكت في هذه الكارثـة الكـبرى حرمـة الـنبيصلى الله عليه وآله في عترتـه وذرّيّته؛ فقد اقترف العباسيون فيها مثل ما اقترفه الأُمويون من الجرائم والموبقات في مأسـاة كـربلاء؛ فرفعوا رؤوس أولاد عليعليه السلام وفاطمةعليها السلام وذرّيّة رسول اللهصلى الله عليه وآله على أطراف الرماح، ومعها الأسـرى يُطاف بها في الأقطار والأمصار، وتركوا الجثث الزواكي ملقاة على أديم الأرض من دون أن يواروهـا الثرى؛ مبالغة منهم في التشفّي، والإنتقام من أهل البيتعليهم السلام.

إنّ الثائر الغاضب لله، وفي الله قد نشأ في بيت غمرته الآلام والأشجان، وعمّه الحزن والحداد على شـهداء أُسرته الذين قتلهم من قبل المنصور الدوانيقي ظلماً، وعدواناً، فانطوت نفسه على حزن عميق وأسى مرير، فكان منذ نعومة أظفاره عازماً على الأخذ ثارهم، ومناجزة خصومهم.

لقد امتاز الحسين بصفاتٍ حميدة، وخصال محمودة، من جملتها: العلم، والورع، والتقوى، والزهد في الـدنيا، والصلاح، والشجاعة، والسخاء.

كما كان قد ورث الجود والكرم عن آبائه الذين كان فعلهم الخير، وعادتهم الإحسان، وسـجيتهم الكـرم، وكانوا معدن السخاء والجود، وكان التبر والتبن عندهم سواء، وكانوا يفيضون البرّ والخير على النـاس جميعاً.

روى أبو الفرج: عن الحسن بن هذيل، قال: بعت للحسين بن علي حائطاً بأربعين ألـف دينـار، فـصرفها على بابه، فما دخل إلى أهله منها حبّة.

وفيه أيضاً: عن الحسن بن هذيل، قال: كنت في أصحاب الحسين بن علي صاحب فخ، فقـدم إلى بغـداد، فباع ضيعة له بتسعة آلاف دينار، فخرجنا فنزلنا «سوق أيد» فبسط لنا على باب الخان، فأتى رجل معه سلّة، فقال له: ـ أي، للحسين ـ مُر الغلام يأخذ منّي هذه السلّة!

فقال له: وما أنت!؟

قال: أنا أضع الطعام الطيّب، فإذا نزل هذه القرية رجل من أهل المروّة؛ أهديته إليه.

قال ـ الحسين ـ : يا غلام: خُذ السلّة منه، وعُد إلينا لتأخذ سلّتك.

قال: ثمّ أقبل علينا رجل عليه ثياب رثّة، فقال: أعطوني ممّا رزقكم الله. فقال لي الحسين: ادفع إليه السلّة، وقال له: خُذ ما فيها ورُدّ الإناء، ثمّ أقبل وقال: إذا ردّ السلّة، فادفع إليـه خمـسين دينـاراً، وإذا جـاء

والأبرار الأخيار الذين كانوا معه، أخذ يتوعّد سائر الطالبيين بالقتل والدمار، ولم يستثن سيّدهم، وعميّدهم الإمام الكاظم عليه السلام، فقال: والله، ما خرج الحسين إلا عن أمره، ولا اتبع إلا محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، فقتلني الله إن أبقيت عليه...

وقال الخبيث: ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر ـ الإمام الصادق ـ من الفضل المبرز عن أهله في دينه، وعلمه، وفضله، وما بلغني من السفّاح فيه من تعريضه، وتفضيله؛ لنبشت قبره، وأحرقته بالنار إحراقاً.[1]

فانتهى تهديده إلى الإمام الكاظم عليه السلام فأشار أهل بيته وأصحابه عليه أن يختفي ليسلم من شرّ الطاغي، الغاشم، الزنيم؛ فتبسّم عليه السلام إذ كان عليه السلام يرى من وراء حجاب الغيب هلاك الطاغي في القريب العاجل، فتمثّل عليه السلام بقول كعب بن مالك بن أبي كعب الخزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله:

زعمت سخينة[2] أن ستغلب ربّها ولـيغلبن مغالب الغلاب

بما يدلّ على بوار مكر الهادي العبّاسي، وتهديده له؛ لما كان يعلم عليه السلام أن الله

صاحب السلّة، فادفع إليه مائة دينار! فقلت له ـ إبقاءً منّي عليه ـ جُعلت فداك، بعت عيناً لتقضي ديناً عليك، فسألك سائل فأعطيته طعاماً هو مقنع له، فلم ترض حتّى أمرت له بخمسين ديناراً، وجاءك رجل بطعام لعلّه يقدّر فيه ديناراً أو دينارين، فأمرت له بمائة دينار.

فقال: يا حسين، إنّ لنا ربّاً يعرف الحسنات، اذا جاء السائل، فادفع إليه مائة دينار، وإذا جاء صاحب السلّة، فادفع إليه مائتي دينار. والذي نفسي بيده، إنّي لأخاف أن لا يُقبل منّي؛ لأنّ الذهب، والفضّة، والتراب عندي بمنزلة واحدة. مقاتل الطالبيين: ص٢٩١ و٢٩٣.

١. أُنظر مُهج الدعوات لابن طاووس الحسني: ص٢١٨.

٢. سخينة: طعام يُتّخذ من الدقيق كانت قريش تُعاب بها حتّى صار لقباً لها.

سيقصم قريباً ظهره، فدعاعليه السلام على الطاغية بدعاء[1] لا يبقى بعده لينالـه بسوء، أومكروه، وبعد فراغهعليه السلام من الدعاء التفت إلى أصحابه يُهدأ من روعهم، ويفيض عليهم قبساً من علمه الربّاني قائلاً: ليُفرّج روعكم؛ فإنّه لا يأتي أوّل كتاب من العراق إلا بموت موسى الهادي! قالوا: وما ذاك أصلحك الله!؟

قالعليه السلام: وحرمة صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر جده رسول اللهصلى الله عليه وآله قد مات موسى الهادي من يومه هذا والله ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2].

فما كان بأسرع من أن وافاهم البريد وهو يحمل لهم البشرى بهلاك الطاغية الباغي...

وقد نظم كرامتهعليه السلام هذه بعض أهل البيت:

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي ... محلاً ولم تقطع بها البعد قاطع

سرت حيث لم تحل الركاب ولم ... محلاً ولم يقصر لها البعد مانع

يمر وراء الليل والليل ضارب ... بجثماه فيه سمير وهاجع

تفتح أبواب السماء ودونها ... إذا قرع الأبواب منهن قارع

إذا وردت لم يردد الله وفدها ... على أهلها والله راء وسامع

وإني لأرجو الله حتى كأنما ... أرى بجميل الظن ما هو صانع[3]

فاستجاب الله دعاء وليه العبد الصالح الإمام موسى بن جعفرعليهما السلام، وأهلك عدوه اللدود، والطاغية الجبّار العنيد، وأراح العباد والبلاد منه.

---

١. والدعاء يُعرف بـ«جوشن الصغير». ذكره جُلّ علمائنا، منهم: السيّد ابن طاووس في «مُهج الدعوات» والقمّي في «مفاتيح الجنان»، فراجع.

٢. سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

٣. راجع مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ج٣ ص٤٢٣.

هارون العباسي

تسنّم عرش الملك بعد موسى العباسي أخوه هارون، فأخذ يحكم كما حكم غيره من الطغاة، ونال من دنياه كلّ ما اشتهت نفسه، وطابت له عيناه. وقد عمّ نفوذه كثير من أقطار المعمورة حتّى اشتهر بما كان من مخاطبته السحاب بقوله: إمطري حيث شئت؛ يأتيني خراجك.[1]

وجلس هارون على أريكة السلطنة مستولياً على جميع إمكانات الحكومة والدولة، فكان من أمره أن استدعى يحيى البرمكي وقلّده منصب الوزارة، وأعطاه الخاتم، وقال له: أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك، وحُسن تدبيرك، وقد قلّدتك أمر الرعيّة، وأخرجته من عُنقي إليك؛ فاحكم بما ترى، واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، فإنّي غير ناظر معك في شيء.[2]

فتناول يحيى البرمكي خاتم الوزارة، وأسندت إليه جميع السلطات التشريعيّة والتنفيذيّة، وفُوّضت إليه مقدّرات الدولة من دون أن يستشير أو يراجع أحداً فيما يعمله.

وكانت لهارون سياسة خاصّة مع آل محمد عليهم السلام، تميّزت بظاهر سوء يُعلن عمّا انطوت عليه سريرته من العداوة والبغضاء، فقابلهم وشيعتهم بكلّ عداوة وقسوة، حذوه بذلك حذو جدّه المنصور الدوانيقي ومن سبقه من الملوك المنقطعين إلى الدنيا وزخرفها، المولعين بسياسة العنف، والجور، والإضطهاد.

نعم، لقد ورث هارون العباسي من جدّه المنصور الدوانيقي، ومن أخيه الهادي منتهى الحقد، والبغض، والعداء الشديد لذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله

---

١. راجع حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ج٢ ص٣١.

٢. راجع تاريخ الطبري: ج٣ ص٩٠٣.

وأميرالمؤمنين عليعليه السلام؛ فقابلهم ـ منذ استيلاءه على عرش الملك والسلطة ـ بكلّ قسوة، وجفوة، وشقاوة، وصبّ عليهم جامّ حقده وحسده، فضلاً عنه قد أقسم على استئصالهم وقتلهم، قائلاً: حتّامَ[١] أصبر على آل بني أبي طالب!؟ والله، لأقتلنّهم، ولأقتلنّ شيعتهم، ولأفعلنّ، ولأفعلنّ.[٢]

فأصدر مرسوماً ملكياً يقضي بإخراج من منهم في بغداد الى يثرب من دون تريث، فقامت السلطة بإنفاذ الحكم فوراً بنفيهم عن بغداد.[٣]

لقد كان هارون شديد الوطأة على عترة النبيصلى الله عليه وآله، الأمر الذي أدّى لأن يلاحقهم أينما حلّوا؛ فكان منهم بعدما علموا بشديد مقته وبغضه لهم، ومدى عزمه على ملاحقتهم أن هاموا على وجوههم في القرى والأرياف متنكّرين لئلا يعرفهم أحد؛ قد أحاط بهم الخوف والفزع، واستولى عليهم الرعب والإرهاب، وقد أمعنت الشرطة في مطاردتهم، وانتشرت الجواسيس للتفتيش عنهم، وقد بذل هارون العبّاسي كلّ ما كان له من جهد لتحطيم أولئك المظلومين المضطهدين، فضلاً عن جدّه في تشويه سمعتهم، والنيل من شرفهم؛ فكان يُعطي الشعراء المرتزقة الماجنين أموالاً وافرة؛ ليهجونهم.

فقد عاتب أبان بن عبد الحميد البرامكة على تركهم ايصاله للرشيد، فقالوا له: وما تريد من ذلك؟

---

١. وقولهم: حتَّامَ. أصلُه «حتّى ما» فحُذفت ألف «ما» للإستفهام، وكذلك كلّ حرف من حروف الجرّ يُضاف في الإستفهام إلى «ما» فإنّ ألف «ما» تُحذف فيه، كقوله تعالى: ﴿فبِمَ تُبَشِّرُون﴾. سورة الحجر، الآية: ٥٤. و﴿فِيمَ كُنتُم﴾. سورة النساء، الآية: ٩٧. و﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾. سورة الصف، الآية: ٥. و﴿عَمَّ يَتَساءَلُون﴾. سورة النبأ، الآية: ١. لسان الميزان لابن منظور: ج٢ ص٢٢ «مادّة حتت».

٢. الأغاني للإصفهاني: ج٥ ص٢٣٧، الموصلّي يُغنّي الرشيد، والرشيد يُجزل صلته.

٣. أنظر تاريخ الطبري: ج٤ ص٦٢١، ذكر الخبر عمّا كان فيها ـ أي، سنة ١٧١هـ ـ من الأحداث.

فقال: أريد أن أحظى منه بمثل ما يحضى به مروان بن أبي حفصة.

فقالوا له: إنّ لمروان مذهباً في هجاء آل أبي طالب، وذمّهم؛ به يحظى، وعليه يُعطى، فاسلكه حتّى نفعل.

قال: لا أستحلّ ذلك.

فقالوا له: فما تصنع؟ لا يجيء طلب الدنيا إلا بما لا يحل!

فباع دينه أخيراً، وتخلّى عن عقيدته، ونظم قصيدة ذمّهم فيها، منها:

نشدت بحق الله من كان مسلما ... أعمّ بما قد قلته العجم والعرب

أعمُ رسول الله أقرب زلفةلديه ... أم ابن العم في رتبة النسب

وأيّهما أولى به وبعهده ومن ... ذا له حقّ التراث بما وجب

فإن كان عباس أحق بتلكم ... وكان علي بعد ذاك على سبب

فأبناء عباس هم يرثونه كما ... العمّ لابن العم في الارث قد حجب

فقال له الفضل: ما يرد على أمير ال... اليوم شيء أعجب إليه من أبياتك. فركب، فأنشدها الرشيد، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم، ثمّ أتّصلت بعد ذلك خدمته الرشيد، وخُصّ به.[1]

وخاف المسلمون في ذلك العهد المظلم من ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام؛ فلم يجرأ أحد من الشعراء المعتقدين بهم على مدحهم ورثائهم، فإن فاه بذلك أحد منهم تعرض للنقمة والعذاب، كما أن ابن هرمة لما مدحهم بقوله:

ومهما أُلامُ على حبّهم ... فإنّي أُحبّ بني فاطمة

بني بنت من جاء بالمحكمات ... والدين والسنّة القائمة

فلقيه بعد ذلك رجل؛ فسأله: من قائلها؟

---

١. الأغاني لأبي الفرج: ج٢٣ ص١٧١، تقرّب الرشيد بهجاء آل أبي طالب.

فشتم نفسه!

فقال له ابنه: يا أبت، ألست قائلها!؟ قال: بلى.

قال: فلِم شتمت نفسك!؟

قال: أليس أن يشتم المرء نفسه خيراً من أن يأخذه ابن قحطبة؟![1]

وأعرض الكثير من الناس عن ذكر العترة الطاهرة خوفاً من نقمة هارون العبّاسي، أو طمعاً في أُعطيات هارون، وبعض من لم يكن له دين، ولا خُلُق إنساني، ولا حياء كمروان بن أبي حفصة؛ سحق جميع المقدّسات، والمحترمات الإسلامية في التقرّب لهارون، حتّى وصل به الأمر أنّ هاجم أعزّ الناس عند النبيﷺ، وأحبّهم إليه؛ بضعته الطاهرة الزكيّة المرضيّة الزهراء، فاطمة البتولعليها السلام، سيّدة نساء العالمين، التي يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها. والتي من آذاها فقد آذاهﷺ، ومن آذاه، فقد آذى الله.[2] هاجمها ابن أبي حفصة تقرّباً بحضوة هارون، ولينال بذلك من نعيمه ودنياه؛ فوصفها معرّضاً بكرامتهاعليها السلام على أنّها تطحن بالرحى، وأنّ أباها رسول اللهﷺ قد زوّجها من بائس فقير. فردّه على تخرّصاته تلك أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجّاج بقوله:

أكان قولك في الزهراء فاطمة ... قول امرئ لهج بالنصب مفتون

عيّرتها بالرحى والحبّ تطحنه ... لا زال زادك حبّاً غير مطحون

وقلت إنّ رسول الله زوّجها ... مسكينة بنت مسكين لمسكين

ستّ النساء غداً في الحشر يخدمها ... أهل الجنان بحور الحر العين[3]

---

١. راجع الأغاني: ج٤ ص٣٨١، ذكر ابن هرمة وأخباره، ونسبه.

٢. تقدّمت الأحاديث بذلك، راجع الجزء الأوّل، تحت عنوان: إغتصابهم فدكا.

٣. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣ ص٣٢٥.

أقول: إنّ الصفات التي حاول الرذل الخبيث الطعن من خلالها على سيّدة نساء العالمين، وبضعة

وضاق هارون ذرعاً، واستشاط غضباً، وغيظاً حينما رأى جموع المسلمين تتهافت إلى زيارة ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله، وسبطه العزيز، سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام؛ فأمر بإحضار ابن أبي داود سادن المرقد المطهّر، ليصبّ عليه جامّ غضبه، وحقده؛ فقال له بنبرات تقطر غيضاً: ما الذي صيّرك في الحير ـ يعني، ضريح الإمام الحسين عليه السلام ـ ؟

المصطفى صلى الله عليه وآله لو يعلم ـ واظنّه يعلم؛ غير أنّ هوى نفسه قد حال بينه وبين ربّه؛ فنسي ربّه؛ فأنساه الله نفسه ـ إنّما هي من أفضل صفاتها المحبوبة عند الله تعالي. وأي نقص، أوحزازة من طحنها الطعام بالرحى لأطفالها وزوجها عليهم السلام!؟ أليس من شيم الصائنة نفسها، ذات العزّة والعفاف بذل ما وسعها على أسرتها، تفضّلاً، وتحنّناً !؟ أم صار بعرف الوقح، عديم الحياء أن يعدّ إيثارها عليها السلام في المساعدة على تدبير شؤن بيتها، ولو على حساب راحتها؛ سُبّةً، وعاراً !؟

أمّا زواجها من علي عليه السلام ؛ فلو لم يكن لها كفواً، لكفاه؛ كيف لا وهو الباذل للإسلام، ولنبيّه صلى الله عليه وآله بكلّ نفسه وما اختلجت، حتّى وصفه المولى تعالى في سورة البقرة من الآية:٢٠٧، بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾ ليلة مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله.

علاوة على ذلك، فالإسلام لا ينظر في موضوع الزواج إلى المادّة والثروة بقدر نظره إلى الإيمان، والعفّة، والفضيلة. وليست الأمتعة الدنيوية بملحوظة في الموضوع عند رسول الله صلى الله عليه وآله مطلقاً ما دام الإنسان على سلامة من دينه.

وعليه؛ لم يكن في الإسلام منذ طلوع فجره من يملك رصيداً من المواهب، والحسنات، والكمالات، والعبقريات، والفضائل، والصلابة في العقيدة، وقوّة الإيمان كما كان يملكه سيّد المسلمين، وأميرالمؤمنين، وإمام المتّقين علي عليه السلام.

ومع كلّ ذلك ـ وكفى به ـ فهل كان هناك غير علي عليه السلام من هو كفواً لبضعة الرسول صلى الله عليه وآله، الطاهرة المطهّرة، التقيّة، النقيّة، الزكيّة، سيّدة نساء العالمين، سواه عليه السلام !؟

ولكن أبت النفوس الرذيلة أن تهتدي بهدى الإسلام وتعاليمه، فكانت تنظر إلى همّة الإنسان، وسمو شخصه من زاوية واحدة، تحسبها بمقياس الثروة، والمال الوافر؛ فراحت محاولة في الطعن، والإنتقاص من سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، بل وتمادت في النيل من قداستها وعظمتها؛ لا لشيء فقط لأنّها زوجة سيّد المسلمين، وأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولكن لاظير، فقد؛

عابوا عليَّ حميتي ونكايتي والنار ليس يُعيبها الإحراق

فقال له ابن داود: إنّ الحسن بن راشد[١] هو الذي وضعني في ذلك الموضع.

قال: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن؛ أحضروه! ولمّا حضر الحسن عنده، قال له: ما حملك على أن صيّرت هذا الرجل في الحير!؟

فقال له الحسن: رحم الله من صيّره في الحير؛ أمرتني أُمّ موسى[٢] أن أُصيّره، وأن أجري عليه في كلّ شهر ثلاثين درهماً. فهدأ روع هارون، وقال: ردّوه إلى الحير، وأجروا عليه ما أجرته أُمّ موسى.[٣]

وما لبث أن عاد هارون إلى غيه، وطغيانه؛ فأمر بهدم المرقد المطهّر، وهدم الدور المجاورة له، واقلاع السدرة التي كانت الى جانب القبر الشريف، كما أمر بحرث أرض كربلاء ليمحو بذلك كل أثر للقبر المطهّر.[٤]

لقد خاب سعي هارون، والمتوكّل العباسيين، وكيدهما، وسائر الملوك من الأمويين والعباسيين الذين ناصبوا العداوة، والبغضاء لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يجنوا ثمار حصادهم بغير العار، والشنار، لقد ماتوا وخبا من الفضائل ذكرهم، وبقي ذكر أهل البيت عليهم السلام خالداً ما طلعت شمس، حتّى غدت مشارفهم يأمُّها ملايين المسلمين شوقاً في التزوّد من فيض نورهم، وتبركاً لزيارة مراقدهم المطهّرة، فضلاً عنه يتهافتون من جميع بقاع العالم ليُجدّدوا ذكرى مذبحة عاشوراء، بإقامتهم عزاء الحسين عليه السلام في كلّ يوم وليلة.

لله درّ الشاعر السوري محمد مجذوب في وصفه محنة أهل البيت عليهم السلام، وما

---

١. الحسن بن راشد، مولى بني العبّاس. من رواة الإمام الصادق عليه السلام ومن أعلام الشيعة.

٢. وأمّ موسى، هي: أمّ المهدي، ابنة يزيد بن منصور.

٣. راجع تاريخ الطبري: ج٥ ص٢١، ذكر بعض سير الرشيد.

٤. راجع عوالم العلوم «الإمام الحسين عليه السلام» للبحراني: ص٧١٩، باب: ما وقع من الرشيد على قبر الإمام الحسين عليه السلام، رقم١.

آل إليه أمرهم مع واحد من أعدائهم؛ قائلاً:

أيـن القـصور أبـا يزيـد ولهوهـا ... والـصافنات وزهوهـا والـسؤدد

أيـن الـدهاء نحـرت عزّتـه علـى ... أعتـاب دنيـا سـحرها لا ينفـد

آثـرت فانيهـا علـى الحـقّ الـذي ... هـو لـو علمت علـى الزمـان مخلّـد

تلـك البهـارج قـد مـضت لـسبيلها ... وبقيـت وحـدك عـبرة تتجـدّد

هـذا ضـريحك لـو بـصرت ببؤسـه ... لأسـال مـدمعك المـصير الأسـود

كُتـل مـن التُـرب المهـين بخربـة ... سـكر الـذباب بهـا فـراح يُعربـد

خفيـت معالمهـا علـى زوّارهـا ... فكأنّهـا في مجهـل لا يقـصد

ومـشى بهـا ركـب البلـى فجـدارها ... عـار يكـاد مـن الـضراعة يـسجد

والقبـة الـشمّاء نُكّـس طرفهـا ... فبكـل جـزء للفنـاء بهـا يـد

تهمي السحائب من خلال شقوقها ... والـريح في جنباتهـا تـتردّد

حتّـى المـصلّى مظلـم فكأنّـه ... مـذ كـان لم يجتـز بـه متعبـد

أبـا يزيـد لتلـك حكمـة خـالق ... تجلـى علـى قلـب الحكيم فيرشـد

أرأيـت عاقبـة الجمـوح ونـزوة ... أودى بلبّـك غيّهـا المـتردّد

أغرتـك بالـدنيا فرحـت تـشنّها ... حربـاً علـى الحـقّ الـصراح وتوقـد

أأبـا يزيـد وسـاء ذلـك عـترة ... مـاذا أقـول وبـاب سمعـك موصـد

قـمّ وارمـق النجـف الـشريف بنظـرة ... يرتـدّ طرفـك وهـو بـاك أرمـد

تلـك العظـام أعـزّ ربّـك قـدرها ... فتكـاد لـو لا خـوف ربّـك تُعبـد

أبـداً تُباكرهـا الوفـود يحثّهـا ... مـن كـلّ صـوب شـوقها المتوقّـد

نعم، هذا كان بعض ما صبّه هارون على الطالبيين، وبالأخص على ذرّيّة علي وفاطمة عليهما السلام؛ فلقد أشاع فيهم القتل والتنكيل، ونشر الحزن والحداد في بيوتهم، حتّى اضطرّ الكثير منهم إلى الهرب عن بيوتهم، وأهليهم، بل وربّما هربوا مع أهليهم، فزعين من هول الإرهاب والأذى الذي عاشوا في خضمّه بما لم يكن له نظير ولا مثيل حتّى على عهد الأمويين.

فالثابت بحكم الشريعة، وعرف العقلاء، أنّه يجب على من يتولّى أمور المسلمين أن يكون مظهراً لصفات رسول الله ﷺ، ومرآة لفيض كماله، ومجمع خصاله، بأن تتوافر فيه جميع النزعات الخيّرة من علم، وورع، وتقوى، وحريجة في الدين، فضلاً عن الإحتياط الشديد في التعامل بأموال المسلمين، وأن يكون مركزه منطلقاً للتشريعات الإسلامية، ومحلاً لإحقاق الحقّ، وشيوع العدالة، ومصدراً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع بقاع، ونواحي الرقعة الإسلاميّة الواقع نفوذها تحت سيطرة دولته، وأن يعمل بجد ونشاط مع أعوانه، والقائمين على مؤازة حكومته لصالح الأمّة الإسلاميّة، وذلك من خلال تطوير البلاد في مختلف مرافقها الثقافية، والإقتصادية، والإجتماعية، والسياسية، وأن يعمل على إعداد القوّات المسلّحة للدولة الإسلامية ما استطاع؛ ليُرهب بها أعداء الإسلام، وأعداء الأُمّة الإسلاميّة، ويُزيل عوامل التأخّر والإنحطاط، ويُنشر الأمن، والدعة، والإستقرار.

نعم، هذا أُنموذج مُيسّر لمساحة الواجبات العريضة لحكومة من أضفي على نفسه خلافة النبي ﷺ، مُدّعياً أهليته لتمثيل رسول الله ﷺ بما يُمثله الواقع الإسلامي، والدور الديني لكيان الدولة الإسلاميّة.

ولكن مع الأسف الشديد لم يُرَ في الذين ادعوا خلافة النبوّة، ونيابة الرسالة، وولاية أمر الأُمّة الإسلاميّة من هذه الأوصاف والشروط فيهم ما يلزم أن يكون خليفةً لرسول الله ﷺ!!

ومَن سبر في تواريخ الحكومات المتعاقبة بعد رحيل النبي ﷺ ـ بما فيها الدولة الأمويّة، وقرينتها العبّاسيّة ـ يجد في الأمر فسحة للتفكّر بما آلت إليه تلك السياسات بما توافق وإجتهادات خلائفها في المجتمع الإسلامي، وما تأدّى عنها

من إحداث سُنن[١]، وسير متباينة في مناهجها، متباعدة أُصولها، متقاربة أهـدافها، ليست من الشريعة المُحمّديّة في شيء؛ لإستقلال أُصولها، وليست أفكار متبنيّها في الشأو متباعدة؛ لتواطهم على إحداثها خلافاً لسنّة رسـول الله صلى الله عليه وآله، وانـسجاماً مع ما يتوافق ومصالحهم! بدليل شرائط الشورى الستّة الذين أوعز بهم عمر بـن الخطّاب قبل هلاكه إلى عبد الرحمن بن عوف، ومـا اشـترط فيهـا علـى الـستّة المرشّحين للخلافة، وامتناع أميرالمؤمنين علي عليه السلام الرضوخ لها.[٢]

بما يُزيد القطع أنّ تلك الحكومات وإن كان ظاهرها يحمل سمة الإسـلام إلا أنّها لم تُعر اهتماماً في شرعتها لجانب الحكم الإسلامي سوى مـا يـتلائم وبقـاء نفوذها، فضلاً عنها إجتهادات فرديّـة لـم تراعـي فـي كثيـر مـن جوانبهـا روح الإنسانيّة على واقع الحياة.

وعليه؛ فالتاريخ لم يُنبأ عن تلك السياسات سوى بالظلم الفاحش، والإستهانة البالغة في الشريعة الإسلاميّة السمحاء، فـضلاً عـن إسـتبدادها الـسلطوي لبيـت المال، واستعماله الغير مشروع في تقويّة دعائم الـسلطة، تـارةً بمطـاردة القـوى الواعية التـي تنـادي بـالعودة لـسنّة المـصطفى صلى الله عليه وآله، والحكـم بالقـسط، والعـدل الإجتماعي، وأُخرى بشراء الذمم، والنفوس الرذيلة لخدمة كيانها السياسي، فضلاً عن إسرافه بما يُنازع هوى النفس من شهوات، وملذّات بهيميّة.

---

١. أقول: تقدّمت الإشارة له في الجزء الخامس، فصل في صلح الإمام الحسن عليه السلام، تحت عنوان: نكتة مهمّة. فراجع. كذلك يمكنك مراجعة تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٩٧، قصّة الـشورى. والبدايـة والنهايـة لابـن كثير: ج٧ ص١٦٥، خلافة عثمان بن عفّان.

٢. أقول: وكان عبد الرحمن بن عوف الزهري، لمّا توفي عمر، واجتمعوا للشورى، سألهم أن يُخـرج نفـسه منها على أن يختار منهم رجلاً؛ ففعلوا ذلك، فأقام ثلاثة أيام، وخلا بعلي بن أبي طالب، فقال: لنـا الله عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب الله، وسنّة نبيّه، وسيرة أبي بكـر وعمـر. فقـال عليه السلام: أسير فيكم بكتاب الله، وسنّة نبيّه ما استطعت. راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٦٢.

فهل يصحّ بعد ذلك، وهل يجوز لمسلم معتقد بواقع الإسلام أن يقول: إنّ ملوك بني أُميّة، وبني العباس كانوا حماة الإسلام، وخلفاء النبي الصادق الأمين على أُمّته!؟

ثمّ هل يجوز بعد ذلك لمسلم معتقد بواقع الإسلام أن يقول: كان مُراد رسول الله ﷺ بقوله: سيكون بعدي أثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش. هم أولئك الطغاة أمثال المُمهدين لدولة معاوية بن هند، وجروة يزيد، والدوانيقي، وهارون، الفتّاكون، السفّاكون، الهتّاكون!؟

فما لكم كيف تحكمون!؟

بيت المال في الإسلام

لا بأس بالإشارة لبعض ما افترضته شريعة السماء من وجوب المحافظة على بيت مال المسلمين.

لقد إحتاط الإسلام في موضوع الأموال الواردة على خزانة الدولة أشدّ إحتياط؛ فحرّم على الدولة أن تُنفق شيئاً من بيت مال الأُمّة على غير مصالح المجتمع الإسلامي، ولم يُجز لرئيس الدولة بأي حال أن يصطفي لنفسه، وذويه، وخاصّته أي شيء منها، ولو على سبيل الإقتراض.

وقد دلّتنا على ذلك سيرة رسول الله ﷺ إذ جاءت الآثار بما تُعزّز في الأُمّة الإسلاميّة من نفحات تلك السيرة العطرة ما روي عن أبي ذر عندما عاين تصرّف المتنفذّين بغير حقّ على بيت مال المسلمين، قائلاً:

والله، لقد حدثت أعمال ما أعرفها! والله، ما هي في كتاب الله، ولا سنّة نبيّه. والله، إنّي لأرى حقاً يُطفأ، وباطلاً يُحيا، وصادقاً مُكذّباً، وإثرة بغير تُقى، وصالحاً

مستأثراً عليه.[١] وقد أعطى بذلك درساً لكلّ مَن تسول له نفسه العبث في أموال المسلمين بأن يحتاط في أموالهم، ولا ينفق منها شيئاً في غير صالح المجتمع ولو بمقدار مثقال ذرّة. كما اتّفق له يوماً أن كان عند عثمان وقد سمعه يقول:

أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال له أبو ذر: يابن اليهوديين! أتُعلّمنا ديننا!؟[٢]

وأُخرى: دخل أبو ذر عليلاً متوكّياً على عصاه على عثمان وعنده مائة ألف درهم حُملت إليه من بعض النواحي، فقال: إنّي أُريد أن أضمّ إليها مثلها، ثمّ أرى فيها رأيي! فقال أبو ذر: أتذكر إذ رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله حزيناً عشاءً، فقال صلى الله عليه وآله: بقي عندي من فئ المسلمين أربعة دراهم لم أكن قسمتها. ثمّ قسّمها، فقال صلى الله عليه وآله: الآن استرحت؟[٣]

كما أنّ أميرالمؤمنين علياً عليه السلام لم يخرم مسار نهجه نهج رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ شاع في الآفاق نبراس قوله:

والله، لأن أبيت على حسك[٤] السعدان[٥] مسهّدا[٦]، وأُجرّ في الأغلال مصفّداً[٧]، أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشئ

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣ ص٥٥.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٨ ص٢٥٦.

٣. قصص الأنبياء للراوندي: ص٣٠٤ رقم٤٠٤.

٤. كأنّه يُريد من الحسك: الشوك.

٥. السعدان: نبت ترعاه الإبل، له شوك تشبه به حلمة الثدي.

٦. المسهّد: من سهّده، إذا أسهره.

٧. المصفّد: المقيّد.

من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفس[١] يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى[٢] حلولها. والله، لقد رأيت عقيلاً[٣]، وقد أملق[٤] حتّى استماحني[٥] من برّكم[٦] صاعاً، ورأيت صبيانه شُعث[٧] الشعور، غُبر[٨] الألوان من فقرهم، كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم[٩]، وعاودني مؤكّداً، وكرّر علي القول مردّداً؛ فأصغيت إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعه ديني، وأتبع قياده[١٠] مفارقاً طريقي؛ فأحميت له حديدة، ثمّ أدنيتها من جسمه؛ ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دنف[١١]؛ من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها[١٢].

فقلت له: ثكلتك[١٣] الثواكل[١٤] يا عقيل! أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نار سجّرها[١٥] جبّارها لغضبه. أتئن من الأذى، ولا أئنّ من لظى.

---

١. يُريد من النفس: نفسه (كرّم الله وجهه). أي، كيف أظلم لأجل منفعة نفس يسرع إلى الفناء رجوعها.
٢. الثرى: التراب.
٣. أخيه؛ عقيل بن أبي طالب.
٤. أملق: افتقر أشدّ الفقر.
٥. استماحني: استعطاني.
٦. البرّ: القمح.
٧. شُعث ـ جمع أشعث ـ وهو: من الشعر المتلبّد بالوسخ.
٨. الغبر ـ بضم الغين ـ : جمع أغبر. متغيّر اللون، شاحبه.
٩. العظلم ـ كزبرج ـ : سواد يُصبغ به. قيل: هو النيلج. أي، النيلة.
١٠. القياد: ما يُقاد به، كالزمام.
١١. الدنف ـ بالتحريك ـ : المرض.
١٢. الميسم ـ بكسر الميم، وفتح السين ـ : المكواة.
١٣. ثكل ـ كفرح ـ أصاب ثكلاً بالضمّ، وهو: فقدان الحبيب، أوخاصّ بالولد.
١٤. الثواكل: النساء، دعاء عليه بالموت؛ لتألّمه من نار ضعيفة الحرارة، وطلبه عملا وهو تناول شئ من بيت المال زيادة عن المفروض له، يوجب الوقوع في نار جهنّم.
١٥. سجّرها: أي، أضرمها الجبّار ـ وهو الله ـ للإنتقام ممّن عصاه.

وأعجب من ذلك طارق[١] طرقنا بملفوفة[٢] في وعائها، ومعجونة شنئتها[٣]، كأنّما عُجنت بريق حيّة أو قيئها، فقلت: أصلة، أم زكاة، أم صدقة؛ فذلك محرّم علينا أهل البيت! فقال: لا ذا، ولا ذاك؛ ولكنّها هديّة. فقلت: هبلتك[٤] الهبول[٥]! أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت، أم ذو جِنّة، أم تهجر. والله، لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب[٦] شعيرة؛ ما فعلت. وإنّ دُنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها.

ما لعلي ولنعيم يفنى، ولذّة لا تبقى. نعوذ بالله من سُبات العقل[٧]، وقُبح الزلل. وبه نستعين.[٨]

وذلك ليُري العالم أنّ أموال الخزينة العامّة إنّما هي أموال، وملك مشاع للمسلمين جميعاً، وليس لزعيم الدولة أن يتصرّف فيها أقل تصرّف بحسب ميوله، وأهوائه، ورغباته، وشهواته.

ولما علم أصحابه عليه السلام تأثير المال والمادّة في استمالة أكثريّة من الناس؛ طلبوا منه عليه السلام أن يُغير سياسته النبويّة في توزيع المال، وأن يخصّ الأشراف، والوجوه بقسم منه، فقالوا: يا أميرالمؤمنين، أعط هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب، وقريش على الموالي، واستمل من تخاف خلافه من الناس.

---

١. طارق: أي، زائر.

٢. الملفوفة: نوع من الحلواء أهداها إليه الأشعث بن قيس.

٣. شنئتها: كرهتها.

٤. هبلتك: ثكلتك.

٥. الهبول: المرأة لا يعيش لها ولد.

٦. جلب: غطاء رقيق يُغطي حبّة الشعير.

٧. أي، نومه.

٨. نهج البلاغة: ج٢ ص٢١٦، رقم٢٢٤.

فأجابهم الإمام عليه السلام بمنطق العدل والحقّ: أتأمرونني أن أطلب النصر بـالجور!؟ لو كان المال لي؛ لسويّت بينهم في العطاء، فكيف والمال مال الله!؟[1]

نعم، هذا هو حكم الإسلام في أموال المسلمين، أمّا الذين لا يرون في الحكم سوى سدّ ثغور النقص الذي في نفوسهم، يكون عندهم بذل الدنانير والدراهم من بيت المال سيّان سواء كان على الأملق، أم على ذي الغناء والمعازف. فأولئك الغاصبين، وأمثالهم من ملوك الأمويين والعباسيين إنّما كانوا يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، ويصرفون أموال المسلمين بإسراف على مبتغيات أنفسهم، ومحاربة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وذريّته؛ لا لشيء سوى أنّهم قد علموا أنّما هي الحياة، فلابدّ من استغلالها، ولا يهمّهم إذا ما ماتوا؛ تزودوا أم لم يتزودوا، فاليد بما ملكت في الدنيا أبقى ـ بظنّهم ـ من بشائر الغيب في الأُخرى!!

موقف الإمام الكاظم عليه السلام

تميّز موقف الإمام الكاظم عليه السلام مع هارون العباسي باليقظة، والحذر؛ فقد كان عليه السلام يستعمل في نُصحه لخُلّص أصحابه ممّن يخاف على دينه منه منتهى الحكمة، والموعظة الحسنة؛ فكان يحثّهم مُبيناً لهم تحريم التعاون مع هارون في جميع المجالات، خصوصاً تلك التي لا طائل من ورائها سوى المساعدة على تفعيل مؤسّساته الإداريّة في تقويّة أجهزته السلطويّة. وظهر جليّاً موقفه عليه السلام هذا في حديثه عليه السلام مع صفوان الجمّال، إذ قال عليه السلام له:

يا صفوان، كلّ شيء منك حسن، جميل؛ ما خلا شيئاً واحداً.

---

١. أنظر نهج البلاغة: ج٢ ص٦، رقم١٢٦.

قال: جُعلت فداك، أي شي!؟

قال عليه السلام: كراؤك جمالك من هذا الطاغية ـ هارون ـ .

قال: والله، ما أكريته أشِراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق ـ طريق الحجّ ـ ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني.

فقال عليه السلام له: يا صفوان، أيقع كراك عليهم؟!

قال: نعم، جُعلت فداك.

قال عليه السلام: أتُحبّ بقاءهم حتّى يخرج كراك؟!

قال: نعم.

فقال عليه السلام: من أحبّ بقائهم؛ فهو منهم، ومن كان منهم؛ كان وارداً للنار.[1]

فأعرب عليه السلام في حديثه هذا عن نقمته البالغة، وسخطه الشديد على حكومة هارون، وقد أعلن عليه السلام بحديثه هذا الحرب بغير هوادة على الطغاة، والظالمين، والمستبدّين. وكشف عليه السلام بحُكمه هذا عن مدى مقاومة الإسلام للظالمين، فقد حرّم على المسلمين الميل إليهم، والرغبة في بقائهم حتّى لو كان ذلك مستنداً إلى بعض المصالح الشخصيّة التي ترتبط بظلمهم وجورهم، فإنّ من أحبّ بقاء الظالمين؛ كان منهم، وحُشر مع زمرتهم في نار جهنّم؛ لأنّ في ولاية هارون ومن ماثله لم يكن إلا الظلم والجور؛ تبديلاً لشريعة السماء، وتحريفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ محواً للحقّ، وإحياءً للباطل. فضلاً عن مقتضى الوظيفة الشرعية الذي يقضي في التصدّي لمواجهة الظلم والجور.

---

١. راجع رجال الكشّي: ص٢٧٦.

المواجهات الثقافية والعقائديّة

لقد اتّسم عصر الإمام الكاظم عليه السلام بتصاعد موجات الإنحلال الإجتماعي، والإنحراف العقائدي بظهور النزعات الشعوبيّة[١]، والنحل الدينيّة التي لا تمُتّ إلى الإسلام بصلة، ولا تلتقي معه بطريق.

والسبب في ذلك إنّما يعود إلى أنّ الفتوحات التي قام بها المسلمون للبلاد العريضة قد ساهمت إلى حدّ كبير على نقل ثقافات الأُمم المختلفة، وعلومهم، ومعتقداتهم إلى العالم العربي.

فالنزعة الشعوبيّة الواردة على العالم العربي قد لعبت دوراً خطيراً في ازدياد رقعة التميّز العنصري بين أبناء المجتمع المسلم الواحد؛ تاركةً فيه مخلّفاتها العنصريّة الجاهليّة البغيضة بكلّ ما تحمله من نزعة إستعلائيّة، فضلاً عن طبقيّة ما أنزل الله بها من سلطان.

كما لا ينبغي أن نغفل إلى أنّ الواعز الأساس لاستشراء تلك النعرات الشعوبيّة في العالم الإسلامي ـ والتي لا زالت تضرب بخطامها عُرى المسلمين ـ إنّما يُعزى في حقيقة الأمر إلى عودة الطبقيّة للواقع الإسلامي منذ أن أَغمست يد الإنحراف بأصابعها منهل المساواة الذي أسّسه الإسلام بين جميع فئات المجتمع المسلم ماحياً بذلك لجميع مظاهرها؛ وذلك بسبب ما ابتدعته السياسة التي سنّها عمر بن الخطّاب بما آلت إليه حكومته وفق منظار التشريع الوضعي في استحداث منهج الجدولة الرتبيّة لكافّة شرائح المجتمع الإسلامي. فكان أوّل ما

---

١. والشُّعوبيُّ: الذي يُصَغِّرُ شأنَ العَرَب، ولا يَرَى لهم فضلاً على غيرِهم. لسان العرب لابن منظور: ج١ ص٤٩٧ «مادّة شعب».

قام على أساسه الفاروق[١] أن قسّم الأعطيات بحسب الرتب الطبقيّة، فضلاً عن إحداثه الفصل العنصري بين العرب وغيرهم من الأعاجم والموالي معتمداً فيه على التمايز العِرقي لدى الشعوب.[٢] مع أنّ رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله قد قالها

١. أقول: لعلّ تسميته بـ«الفاروق» إنّما جاءت من هذا المنطلق؛ خصوصاً وأنّ الذين أوعزوا إليه بهذه الصفة لو لم يجدوا فيها للفاروق عمر ما يناسب نعرتهم العرقيّة لما أسموه بها، وإلا فهيهات! ثمّ هيهات! فاليهود أبعد من أن يُشيروا إلى الإسلام بالحقّ. وإلا لكان رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بها عندهم من ابن حنتمة؟!

روى الطبري، قال: حدّثنا الحارث، قال: حدّثنا ابن سعد، قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، قال: قال ابن شهاب: بلغنا أنّ أهل الكتاب كانوا أوّل من قال لعمر: الفاروق. وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم، ولم يبلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر من ذلك شيئاً. تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٦٧.

٢. أقول: روى أبان، عن سليم، قال: كان لزياد بن سميّة كاتب يتشيّع، وكان لي صديقاً؛ فأقرأني كتاباً كتبه معاوية إلى زياد جواب كتابه إليه:

أمّا بعد؛ فإنّك كتبت إلي تسألني عن العرب؛ مَن أُكرم منهم، ومَن أُهين، ومَن أُقرّب، ومَن أُبعّد، ومَن آمن منهم، ومَن أحذر ـ وفي رواية أخرى: ومَن، أُومن منهم، ومَن أُخيف ـ وأنا يا أخي، أعلم الناس بالعرب؛ أُنظر إلى هذا الحي من اليمن؛ فأكرمهم في العلانية، وأهنهم في السرّ؛ فإنّي كذلك أصنع بهم؛ أُكرمهم في مجالسهم، وأُهينهم في الخلاء؛ إنّهم أسوء الناس عندي حالاً، ويكون فضلك وعطاؤك لغيرهم سرّاً منهم.

وانظر إلى ربيعة بن نزار؛ فأكرم أُمراءهم، وأهن عامّتهم؛ فإنّ عامّتهم تبع لأشرافهم، وساداتهم.

وانظر إلى مضر؛ فاضرب بعضها ببعض؛ فإنّ فيهم غلظة، وكبراً، ونخوة شديدة. فإنّك إذا فعلت ذلك، وضربت بعضهم ببعض؛ كفاك بعضهم بعضاً، ولا ترض بالقول منهم دون الفعل، ولا بالظنّ دون اليقين.

وانظر إلى الموالي، ومَن أسلم من الأعاجم؛ فخُذْهم بسنّة عمر بن الخطّاب؛ فإنّ في ذلك خزيهم.

وذلّهم أن ينكح العرب فيهم ولا يُنكحونهم، وأن يرثوهم العرب ولا يرثوا العرب. وأن تقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم. وأن يُقدّموا في المغازي؛ يُصلحون الطريق، ويقطعون الشجر. ولا يؤم أحد منهم العرب في صلاة، ولا يتقدّم أحد منهم في الصفّ الأوّل إذا أُحضرت العرب إلا أن يُتمّ الصفّ. ولا تولّ أحداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين، ولا مصراً من أمصارهم. ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين، ولا أحكامهم؛ فإنّ هذه سنّة عمر فيهم، وسيرته؛ جزاه عن أمّة محمد صلى الله عليه وآله، وعن بني أُميّة خاصّة أفضل الجزاء.

مدوّياً حين خطب بمكّة، قائلاً:

يا أيّها الناس، إنّ الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهليّة وتعاظمها بآبائها؛ فالناس رجلان: رجل تقيّ، كريم على الله. وفاجر شقيّ، هيّن على الله.

والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تّراب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وفي أُخرى: يا أيّها الناس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد؛ ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى. ألا هل بلّغت؟

قالوا: نعم.

قال ﷺ: ليُبلّغ الشاهد الغائب.

وفي أُخرى: إنّ الله لا ينظر إلى أحسابكم، ولا إلى أنسابكم، ولا إلى أجسامكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم؛ فمن كان له قلب صالح؛

فلعمري، لولا ماصنع هو وصاحبه ـ يعني، أبو بكر ـ وقوتهما وصلابتهما في دين الله؛ لكنّا وجميع هذه الأُمّة لبني هاشم موالي، ولتوارثوا الخلافة واحداً بعد واحد كما يتوارث أهل كسرى، وقيصر. ولكنّ الله ﷻ أخرجها من بني هاشم وصيرها إلى بني تيم بن مرّة، ثمّ خرجت إلى عدي بن كعب، وليس في قريش حيّان أذلّ منهما، ولا أنذل؛ فأطمعنا فيها، وكنّا أحقّ بها منهما، ومن عقبهما؛ لأنّ فينا الثروة، والعزّ، ونحن أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم منهما. ثمّ نالها صاحبنا عثمان بشورى، ورضا من العامّة بعد شورى ثلاثة أيام من الستّة، ونالها من نالها قبله بغير شورى. فلمّا قُتل صاحبنا عثمان مظلوماً، نلناها به؛ لأنّ مَن قُتل مظلوماً؛ فقد جعل الله لوليّه سلطاناً.

ولعمري يا أخي، لو كان عمر سنّ ديّة العبد نصف ديّة المولى، لكان أقرب إلى التقوى، ولو وجدت السبيل إلى ذلك ورجوت أن تقبله العامّة، لفعلت؛ ولكنّي قريب عهد بحرب، فأتخوّف فرقة الناس، واختلافهم علي، وبحسبك ما سنّه عمر فيهم؛ وهو خزي لهم، وذلّ. راجع كتاب سليم بن قيس: ص٢٨٢، سيرة معاويّة في إهانة العجم، والموالي.

١. سورة الحجرات، الآية: ١٣.

تحنّن الله عليه، وإنّما أنتم بنو آدم، وأحبّكم إليه أتقاكم.

ولعلي عليه السلام في هذا المعنى، وهو مشهور من شعره:

الناس من جهة التمثيل أكفّاء	أبــوهم آدم والأُمّ حــواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة	وأعظم خُلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنّهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كلّ امرئ ما كان يحسنه	وللرجال على الأفعال سيماء
وضدّ كلّ امرئ ما كان يجهله	والجاهلون لأهل العلم أعداء[1]

وأمّا النحل الدينيّة؛ فلا يخلوا أن يكون الفراغ العقائدي[2] الذي شكّله الجهاز

---

١. راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج١٦ ص٣٤٢، مورد تفسير سورة الحجرات، الآية:١٣.

٢. أقول: لا يعزب عن الفكر أنّ في البين أمران رئيسان قد مهّدا لإحداث رقعة الفراغ العقائدي في المجتمع الإسلامي الذي كان قريب عهد بالإسلام، فضلاً عن فتحهما لمنافذ التجرّي على الشريعة السمحاء، ما سهّل للمريضة قلوبهم من الذين لا يبغون للإسلام خيراً أن يعبثوا متماهلين سرّاً وجهاراً للحيلولة دون استمرار تفعيل منهج شريعة السماء في الأُمّة الإسلاميّة؛ موسعين بذلك من فتق رقعتهما تلك بما تراكمت بسببها سحائب مُضلات الفتن، وأُغرقت الأُمّة بسيل من الممارسات ذات الطابع الأهوائي؛ كنزاعهم على الخلافة، وشهادتهم زوراً على النبي صلى الله عليه وآله بزعمهم: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، وتركهم الحدّ على قاتل مالك بن نويرة، وتحريمهم ما أحلّ الله، ورسوله صلى الله عليه وآله من أمر المتعتين ـ متعة الحجّ، ومتعة النساء ـ بما لا مندوحة عنه، وإيوائهم طريدي رسول الله صلى الله عليه وآله: الحكم بن أبي العاص، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتسليطهم آل أبي معيط على رقاب المسلمين؛ خلافاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم. إلى غير ذلك من المثالب، والتهاتر الذي تقدّم تفصيله منّا في الجزء الثاني من الكتاب.

وهذان الأمران الآفتان يمكن حصرهما بـ :

أولاً: رزيّة الخميس بمنعهم النبي صلى الله عليه وآله من كتابة ما إن لو كتبه لهم لن يضلّوا من بعده أبداً، وقولهم: إنّ النبي ليهجر، أو غلب عليه الوجع، حتّى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وبعد أن عصوه، وكرهوا الإستجابة لأمره كراهةً لما عزم عليه صلى الله عليه وآله في النصيحة لهم؛ إستصغر من شأنهم، وفضّل النسوة عليهم؛ قال عمر بن الخطّاب: لمّا مرض النبي صلى الله عليه وآله، قال: أدعوا لي بصحيفة، ودواة؛ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً. فكرهنا ذلك أشدّ الكراهة، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: أدعوا لي بصحيفة؛ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً. فقال النسوة من وراء

القمعي للحكومات المتواترة على دفّة الحكم، قد ساعد على تشكيل رابطة قويّة لما توارد على قلب العالم العربي من عقائد شعوب البلدان المفتوحة ـ والتي لم تكن جميعها على دين سماوي ـ مجتمعة وشائجها قبال الدين الحنيف؛ قد جسّد في التبليغ لها حفنة من حملة الفكر الفاسد المنحرف، آخذين بتلابيب جمهرة من رعاع الناس، والمتواكلة، والوصوليّة، والإنتهازيّة لينعقوا لهم في كلّ ناد، ويُناضلوا عنهم في كلّ واد، قد ساعدهم على ذلك حكومات أعصارهم المتتالية، الموهمة بحاكميّتها تحت إسم الإسلام، وليست من الإسلام بشيء؛[1] ممّا قصّر لهم الطريق لأن يُحدثوا في الأُمّة الإسلاميّة جملة من المذاهب، والإعتقادات المختلفة، متمخّضة عن فرق دينية متعدّدة قد ساهمت في زيادة

السُتر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله؟! فقُلت: إنّكن صواحبات يوسف؛ إذا مرض رسول الله؛ عصرتن أعينكن، وإذا صحّ؛ ركبتن عُنقه!! فقال رسول الله: دعوهنّ؛ فإنّهنّ خير منكم. راجع المعجم الأوسط للطبري: ج٥ ص٢٨٧ رقم٥٣٣٨.

ثانياً: عقدهم لسقيفة بني ساعدة، وما تمخّضت عنه.

١. أقول: الدليل على ابتعاد الحكومات التي أعقبت رحيل رسول الله عن الإسلام، يتلخّص في:

أولاً: مقولة عمر بن الخطّاب في حضرة النبي: وعندنا القرآن؛ حسبنا كتاب الله!!

بما يُفهم محاولةً منه لإستبعاد سنّة النبي عن ساحة التشريع في الحكم، خصوصاً وأنّ السُنّة الحقّة هي المُترجم الحقّ لما في كتاب الله تعالى. والإرتكاز في التشريع لا يستغني بأحدهما عن الآخر.

ثانيّاً: إمعان الحكّام في الإعتماد على التشريعات الوضعيّة لإرساء دعائم الدولة، وعدم إعمال كتاب الله في تشريعاتهم الحكميّة، فضلاً عن إستخدامهم لمبدء التبعيض في تعاطيهم لتشريعات الكتاب العزيز؛ بمعنى، إنّهم جعلوا القرآن عضين، يُفرّقونه أجزاءً أجزاءً؛ فيؤمنوا ببعض، ويكفروا ببعض؛ في حين إقتضت الحكمة الإلهيّة عدم التفريق بين أحكام الكتاب في تشريعات الحكم، فضلاً عن إلزام الحاكم بأن يحكم بما أنزل الله تعالى؛ ومن لم يحكم بما أنزل الله فلا يخلوا أن يكون كافراً، وظالماً، وفاسقاً؛ قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. سورة المائدة، الآيات: ٤٤ و٤٥ و٤٧.

تمزّق المجتمع، وقدّه إلى طوائف متعدّدة، متباينة قد حلّ النزاع بينها والتخاصم، والجدال والتشاجر، بما أودى بها إلى معارك دامية، وصراع عنيف.

وكانت دواعي ذلك جميعها تتمحور حول ما يتعلّق بإثبات الخالق، وصفاته الإيجابية، والسلبية، والقضاء والقدر، والجبر، والتفويض... وغير ذلك.

ولا شبهة أنّ الهدف من وراء هؤلاء كان يتركّز حول إمكانيّة إفساد الدين الحنيف، وبالتالي إيجاد التفرقة في عموم المسلمين؛ لأجل إضعافهم، وإيقاع الوهن في صفوفهم بأكثر إيغالاً ممّا سبق من ضعفهم، ووهنهم على يد الممهّدين على ذلك.

الأمر الذي حتّم على أئمّة أهل البيتعليهم السلام القيام بواجبهم الشرعي، الموكول لهم بحكم وجوب الحجّة[1] المفروغ وجودها لهم في الناس بمقتضى اللطف الإلهي[2]؛ فتصدّواعليهم السلام بكلّ ما للمنطق، والبراهين العقليّة من تأثير فاعل في احتجاجاتهم مع أهل البدع، والأهواء بما لم يدع لهم المجال لأن يرتابوا، أويشكّوا في صحّتها، ومدى قوّتها.

وعلى الرغم من تحديد حركة الإمام الكاظمعليه السلام من قبل هارون العبّاسي إلا أنّه وبفضل ما تيسّر لهعليه السلام من فرص التصدّي لكلّ ما من شأنه المساس بدين الإسلام، أوالعبث بفكر الأُمّة الإسلاميّة؛ لم تلبث أن انحسرت تلك التيارات المُنحرفة، ولم يبق من أضاليلها، وبدعها سوى ما يُلهي المُضلّلة أنفسهم بها.

---

١. الحجّة: هو الهادي الذي يوصل عباد الله على طريق الحقّ. وحجّة الله على العباد؛ على سبيل التفضيل؛ لقطع أعذارهم. وهو نفس المؤدّى لما تصافق عليه القوم من قول النبيصلى الله عليه وآله: من مات وليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهليّة. راجع تفصيله في الجزء الثاني. فصل: هل الخلافة كمال أم استحقاق؟ تحت عنوان: وجوب معرفة الإمام.

٢. تقدّم بسطها في الجزء الأوّل. فصل: في الإمامة وحقيقتها. تحت عنوان: قاعدة اللطف. فراجع.

وممّا لا شك فيه أنّ إحتجاجات قـادة الفكـر، والعقيـدة الحقّـة؛ أئمّـة أهـل البيتعليهم السلام كان لها الأثر الفعّال في عودة بعض المنحرفين ممّن سـمع مـنهمعليهم السلام، ووعى كلامهم، وارعوى الى طريق الحقّ والصواب.

كذلك ومن تلامذتهم ثُلّة قد عملوا مسارعين وفق منهج أئمّة أهل البيتعليهم السلام، منطلقين بحماس بالغ يحدوهم الأمل علـى صـيانة الإسـلام، وحمايـة معارفـه، وأحكامه من عبث العابثين، ولهو المارقين، وزيغ الملحدين.

فصل في

وفاته ﷺ ومدفنه

لقد تفرّد الإمام الكاظم عليه السلام بأن كان ألمع، وأفضل شخصيّة في عصره؛ باعتراف المُهتدي، والضّال. فكان عليه السلام من كبار أئمّة المسلمين، وأوصياء جدّه خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله.

وقد أجمع المسلمون على تجليله، وتكريمه، وتقديره. وقد تقدّم فيه عليه السلام ما تيسّر لنا من أقوال علماء أهل السنّة، فضلاً عن الشيعة في مؤلّفاتهم المعتبرة من تبجيله، وتمجيده، والثناء عليه. وقد تحدّثوا عن علومه عليه السلام، وفضائله، وورعه، وتقواه، ومكارمه.

وما كان كلّ هذا ليخفى عن حكّام عصره كهارون العباسي ـ حصراً ـ الذي كان يعلم بأنّه الإمام الحقّ، والأحقّ منه لخلافة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ بما أسرى في عروقه نزعة الحقد من أن يتعرّف الناس عليه أكثر فأكثر خوفاً على ملكه؛ فتأُجج لهيب الحسد الكامن له في صدره، حتّى أمر بسجنه لسنوات عديدة، ثمّ دسّ إليه السمّ حتّى قضى الإمام الكاظم عليه السلام في السجن شهيداً، مسموماً.

إعتراف هارون والمأمون

ورد أنّ هارون نفسه كان قد اعترف ـ بما كان يعرفه من قدر، وإجلال للإمام عليه السلام ـ بأنّ الإمام الكاظم عليه السلام كان أولى بالخلافة الإسلاميّة منه.

فقد روى المأمون عن أبيه الرشيد، إنّه قال لبنيه في حقّ موسى الكاظم عليه السلام: هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده. أنا إمام الجماعة في الظاهر، والغلبة والقهر، وإنّه والله، لأحقّ بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله منّي، ومن الخلق جميعاً. والله، لو نازعني في هذا الأمر؛ لآخذنّ بالذي فيه عيناه؛ فإنّ الملك عقيم.

وقال الرشيد للمأمون: يا بني، هذا وارث علم النبيين. هذا موسى بن جعفر، إن أردت العلم الصحيح تجده عند هذا.

قال المأمون: من حينئذ انغرس في قلبي حبّه.[١]

فهذه الرواية إن دلّت عل شيء فإنّما تدلّ على معرفة هارون بكون الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام هو الخليفة الحقّ لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهكذا هم العترة الطاهرة؛ جميعهم لهم استحقاق خلافة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. ولكن الذي دعا هارون إلى خلاف ما كان يعلمه هو حبّ الدنيا الذي هو رأس كلّ خطيئة.

نعم، إنّ هارون العباسي كان يعلم بمكانة الإمام عليه السلام، وأيضاً يعلم بأنّه عليه السلام حجّة الله على خلقه، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله على العباد، وأنّه عليه السلام وارث علوم النبيين، بما وافق أنّ هارون كان لا يستغني أن يسأل الإمام عليه السلام عن كلّ شاردة، وواردة من أمر الدين والدنيا، كما أنّه لطالما سأل الإمام عليه السلام عمّا سيجري من بعده من الأحداث، وكان عليه السلام يُخبره بما تقتضي منه الضرورة لذلك.

وقد سأله يوماً عن الأمين، والمأمون؛ فأخبره بما سيقع بينهما؛ فتألّم لذلك شديداً. فقد روى الأصمعي، قال:

دخلت على الرشيد، وكنت غبت عنه حولين بالبصرة، فأوما إلي بالجلوس قريبا منه، فجلست قليلاً، ثمّ نهضت، فأومأ إلي أن أجلس، فجلست، حتّى خفّ الناس. ثمّ قال لي: يا أصمعي، ألا تُحبّ أن ترى محمداً[٢]، وعبد الله[٣]؟

---

١. ينابيع المودّة لذوي القُربى للقندوزي: ج ٣ ص ١٦٥.

٢. هو: الأمين، أبو إسحاق، محمد الأكبر بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. وأمّه: زبيدة بنت جعفر بن المنصور.

٣. هو: المأمون، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. وأمّه: أم ولد يقال لها: مراجل.

قلت: بلى يا أميرالمؤمنين، إنّي لأُحبّ ذلك، وما أردت القيام إلا إليهما، لأُسلّم عليهما.

قال: تكفي. ثمّ قال: علَيّ بمحمد، وعبد الله. فانطلق الرسول، وقال: أجيبا أميرالمؤمنين. فأقبلا كأنّهما قمرا أُفق، قد قاربا خطاهما، وضربا ببصرهما الأرض، حتّى وقفا على أبيهما، فسلّما عليه بالخلافة، وأومأ إليهما، فدنيا منه، فأجلس محمداً عن يمينه، وعبد الله عن شماله. ثمّ أمرني بمطارحتهما[1]، فكنت لا ألقي عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا فيه، وأصابا.

فقال: كيف ترى أدبهما؟

قلت: يا أميرالمؤمنين، ما رأيت مثلهما في ذكائهما، وجودة ذهنهما. فأطال الله بقاءهما، ورزق الأُمّة من رأفتهما، ومعطفتهما. فضمّهما إلى صدره، وسبقته عبرته حتّى تحدّرت دموعه!!

ثمّ أذن لهما، حتّى إذا نهضا، وخرجا، قال:

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما، وبدا تباغضهما، ووقع بأسهما بينهما حتّى تُسفك الدماء، ويودّ كثير من الأحياء أنّهم كانوا موتى!؟

فقلت: يا أميرالمؤمنين، هذا شئ قضى به المنجّمون عند مولدهما، أو شئ أثرته العلماء في أمرهما!؟

قال: بل شئ أثرته العلماء، عن الأوصياء، عن الأنبياء في أمرهما.

قالوا:

فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا

---

١. المطارحة: إلقاء الأسئلة، وطَرحَها.

من موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام؛ فلذلك قال ما قال.[١]

عزم هارون على قتل الإمام عليه السلام

بلغ الحسد بهارون العبّاسي تجاه آل البيت عليهم السلام لأن يُسجِّل له مقوّم أساس قد أبرز له عن نفسية مركّبة تحمل بين جوانحها حقائق صفاته الدنيئة التي من جملة ما ساعدت عليه أن صاغ سوق عرشه بما ارتضاه من تآمر أُمّه الخيزران على إغتيال ولدها موسى الهادي؛ لما كان من أمر عزله أخيه هارون عن منصبه كولياً للعهد من بعده!؟[٢]

ثمّ لم يلبث حملاه[٣] من بعد أن ورثا عن أبيهما هارون ما ورثه عن أُمّه، وأبيه من قُبح علانية، وسوء سريرة؛ لأن يقتل أحدهما الآخر، حسداً، وبغضاً، جمعهما على ذلك قطيعة الرحم، وحبّ الدنيا، وزُخرفها.

وعليه؛ فمن كان مفرط الحسد بمثل هارون، الذي لم يكن ليحتمل بأي حال لأن يسمع من الناس وهم يتحدّثون عن محاسن سواه ممّن يتمتّع بالمكانة العالية، أوالمنزلة الرفيعة عند المجتمع؛ فضلاً عمّا تركه جنون العظمة[٤] فيه من

---

١. الأخبار الطوال للدينوري: ص ٣٨٨. وحياة الحيوان للدميري: ج١ ص٧٧.

٢. روى الطبري، قال: قال يحي بن الحسن: وحدّثني بعض الهاشميين: إنّ سبب موت الهادي كان أنّه لمّا جدّ في خلع هارون، والبيعة لابنه جعفر، وخافت الخيزران على هارون منه؛ دسّت إليه من جواريها لمّا مرض من قتله بالغمّ، والجلوس على وجهه، ووجّهت إلى يحي بن خالد: إنّ الرجل قد توفّي، فاجدد في أمرك، ولا تقصر. تاريخ الطبري: ج٤ ص٦٠٥. ذكر أحداث سنة سبعين ومائة، ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله كانت أمرتهن بقتله.

٣. الأمين، والمأمون.

٤. هو: الجنون الذي يعتقد معه المصاب بأنّه رجل عظيم، أوفذ من الأفذاذ؛ لا ينبغي لسواه منازعته في ذلك.

نزعة إحتكارٍ لكلّ شيء، بما صيُّر منه حالة مضطربة لم يهدأ له بال وهو ينظر إلى المجتمع الإسلامي وقد آمن بالإمام الكاظمعليه السلام ملياً يعتقد بأنهعليه السلام أولى بالخلافة من غيره، وأنّهعليه السلام أعلم، وأفضل أهل زمانه؛ الأمر الذي ساء هارون، وزاد من جنونه؛ بما عزم عليه من قتل الإمامعليه السلام عن طريق حبسه بعد التضييق عليه، ثمّ قتله.

قال الذهبي: ولعلّ الرشيد ما حبسه ـ أي، الإمام الكاظمعليه السلام ـ إلا لقولته تلك: «السلام عليك يا أبه» فإنّ الخلفاء لا يحتملون مثل هذا!![1]

فقدم على ارتكاب جريمته النكراء بحبسه الإمامعليه السلام في ظلمات قعر السجون، بعيداً عن أهله، محجوباً عن أصحابه وشيعته، ممنوعاً من نشر ما يستنير الناس به من علومه.

وقد جهد هارون في الظلم، والجور، والتضييق عليهعليه السلام مع علمه بأنّ الإمامعليه السلام لم يكن ليبتغي الملك والسلطان بقدر ما كان يبتغي نشر دين الإسلام، دين الحقّ بين الناس، ولكن رغم ذلك فإنّ حتّى هذا كان يمثّل لهارون ثقلاً عظيماً قد ضاق به صدره، وأزعجه؛ الأمر الذي جاء به إلى قبر رسول اللهصلى الله عليه وآله يستميحه لأن يقتل ولده الكاظمعليه السلام بغير حقّ إلا أن يقول ربّي الله![2] مخاطبه قائلاً بلا خجل، ولاحياء:

يارسول الله، إنّي أعتذر إليك من شئ أُريد أن أفعله؛ أُريد أن أحبس موسى بن جعفر؛ فإنّه يُريد التشتّت بين أُمّتك، وسفك دمائها!![3]

فأصدر هارون الأمر بإلقاء القبض على الإمامعليه السلام؛ فألقت الشرطة القبض عليه

١. راجع تاريخ الإسلام: ج١ ص١٤١٦، حرف الميم، ترجمة موسى بن جعفرعليه السلام.
٢. إقتباس من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾. سورة الحجّ، الآية: ٤٠.
٣. تقدّم عن الإصفهاني في مقاتل الطالبيين: ص٣٣٤.

وهو عليه السلام قائم يُصلّي عند رأس جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقطعوا عليه صلاته، ولم يمهلوه في إتمامها؛ فقيّدوه دون أن يُراعوا حرمةً لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذوا يُجرجرون به عليه السلام وهو يشكو إلى جدّه قائلاً: إليك أشكو يا رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولما اعتُقل عليه السلام؛ جزع الناس، وفزعوا، فلم يبق قلب إلا تصدّع من الأسى والحزن. فسُيّر بالإمام عليه السلام معتقلاً، فلمّا انتهوا به عليه السلام إلى البصرة، دفعوا به إلى عيسى بن أبي جعفر، فحبسه.

فتفرّغ الإمام عليه السلام وهو في حبسه مُقبلاً على العبادة، وقد تفرّغ إليها تماماً، فكان يقضي أوقاته كلّها قياماً، وصياماً، ودعاءً. وكأنّه ما كان يبغي من حياته سوى تفرغه لعبادة الله، حيث يعتبرها من أعظم النعم التي قد منحها الله له، فكان عليه السلام يشكر الله على تلك الحال، ويدعوبهذا الدعا:

اللهمّ، إنّك تعلم إنّي كُنت أسألك أن تُفرغني لعبادتك. اللهمّ، وقد فعلت؛ فلك الحمد.[1]

فأوعز هارون العباسي إلى عيسى في البصرة يطلب منه القيام باغتيال الإمام عليه السلام وقتله، فكتب اليه عيسى طلب إعفاءه من ذلك.

حيث كتب إلى هارون في الإمام عليه السلام: وقد اختبرت طول مقامه بمن حبسته معه عيناً عليه؛ فلم يكن منه سوء قط، ولم يكن عنده تطلّع إلى ولاية، ولا

١. أقول: هذا أمر مفروغ منه عند آل البيت عليهم السلام؛ فالعبادة، وطاعة الله سبحانه تعتبران عند آل محمد عليهم السلام نواة الخلقة التي من أجلها خلق الله الخلق؛ كيف لا وقد قال الله تعالى في سورة الذاريات في الآية: ٥٦ من محكم التنزيل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. ولولا أنهم عليهم السلام قد خُلقوا ليُمتحنوا؛ لما فتروا عن عبادة الله تعالى.

وليس بغريب أن تجد هذا النهج عند آل محمد عليهم السلام؛ فهم عدل القرآن بصريح قول النبي صلى الله عليه وآله فيهم: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي آل بيتي.... ثمّ، إنّا قد عهدنا هذا النهج من قبل عند أرومتهم عليهم السلام رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: أرحنا بها يا بلال. حيث لم يجد صلى الله عليه وآله طعم الراحة إلا في الصلاة.

خروج، ولا شيء من أمر الدنيا. فإن رأى أميرالمؤمنين أن يعفيني مـن أمـره، أو يُنفذ من يتسلّمه منّي، وإلا سرّحت سبيله.

فأمره هارون بحمل الإمامعليه السلام إلى بغداد، فحمل إلى بغداد مقيداً.

فانتهوا به إلى بغداد، وأخبروا هارون بذلك، فأمر باعتقالهعليه السلام عند الفضل بـن الربيع، فحبسه الفضل في بيته.

وأقبل الإمامعليه السلام على طاعة ربّه؛ فكـان يقـضي أغلـب أوقاتـه فـي الـصلاة، والصيام، والإبتهال إلى الله، والتضرّع إليه.

وقد بهر الفـضل بعبادتـهعليه السلام فكـان يُحـدّث عنهـا، ونفـسه مترعـة بالإكبـار والتقديس لهعليه السلام، فقد حدّث عبد الله القزويني، قال: دخلـت علـى الفـضل بـن الربيع وهو جالس على سطح داره، فقال لي: أدنُ منّي.

فدنوت منه حتّى حاذيته، فقال لي: أشرف على الدار، فأشرفت؛

فقال: ما ترى في البيت!؟

فقلت: أرى ثوباً مطروحاً.

قال: أُنظر حسناً.

فتأمّلت في النظر، فقلت له: رجل ساجد.

قال: هل تعرفه؟

قلت: لا.

قال: هذا مولاك!

قلت: من مولاي!؟

فقال: تتجاهل عليّ.

قلت: لا أتجاهل، ولكن لا أعرف لي مولى!

قال: هذا أبو الحسن، موسى بن جعفر عليهما السلام. ثمّ قال: إنّي أتفقّده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أُخبرك بها، يُصلي الفجر فيُعقّب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس، ثمّ يسجد سجدة، فلا يزال ساجداً حتّى تزول الشمس، وقد وكّل من يترصّد له الزوال؛ فلست أدري، متى يقول الغلام: قد زالت الشمس؛ إذ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدد الوضوء، فأعلم أنّه عليه السلام لم ينم في سجوده، ولا أغفي، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلّى العصر، سجد سجدة، فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غربت، وثب من سجدته فصلّى المغرب من غير أن يُحدث حدثاً، ولا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يُصلّي العتمة، فإذا صلّى العتمة؛ أفطر على شوي ـ أي، على قليل ـ يؤتى به، ثمّ يُجدّد الوضوء، ثمّ يسجد، ثمّ يرفع رأسه، فينام نومة خفيفة، ثمّ يقوم فيجدد الوضوء، ثمّ يقوم، فلا يزال يُصلّي في جوف الليل حتّى يطلع الفجر، فلست أدري؛ متى يقول الغلام: إنّ الفجر قد طلع، إذ قد وثب هو عليه السلام لصلاة الفجر. فهذا دأبه منذ حُوّل إليّ.

فقال عبد الله للفضل: اتّق الله، ولا تُحدّث في أمره حدثاً يكون منه زوال النعمة؛ فقد تعلم أنّه لم يفعل أحد بأحد سوء إلا كانت نعمته زائلة.

فقال الفضل: قد أرسلوا إليّ غير مرّة يأمرونني بقتله؛ فلم أُجبهم إلى ذلك، وأعلمتهم أنّي لا أفعل ذلك، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني.

وكان هارون يتوجّس في نفسه خيفة من الإمام عليه السلام فلم يثق بالعيون والجواسيس الذين كان قد وضعهم عليه في سجنه، فكان غالباً ما يُراقبه بنفسه، ويتطلّع شؤونه عليه السلام؛ خوفاً من أن يتّصل به أحد من الناس، أو يكون الفضل قد رفّه عليه، فكان ربّما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي كان عليه السلام فيه محبوساً، فيراه عليه السلام ساجداً.

وفي يوم قال هارون للفضل بن الربيع: ما ذاك الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع!؟

قال: يا أميرالمؤمنين، ما ذاك بثوب، وإنّما هو موسى بن جعفرعليهما السلام، له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

فقال هارون: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم.

قال الفضل: قلت: فمالك فقد ضيّقت عليه في الحبس.

قال هارون: هيهات لابدّ من ذلك.[1]

إطلاق سراحه عليه السلام موقتاً

بعد أن حدى الشوق بالإمام عليه السلام لأن يروي العطاشى لعلم جدّه صلى الله عليه وآله، ويُزكّيهم من عذب منهله الأصيل الممتنع إنسيابه عن غير ثنايا آل بيت رسول الله عليهم السلام، فضلاً عن شعوره المرهف تجاه مُتعلّقيه وقد صاروا أيتاماً بفقده عليه السلام بين طوامير هارون العبّاسي، إلتجأ إلى الله تعالى داعياً لهم بنجاته، وخلاصه عليه السلام؛ ولم تمرّ هنيهات على عزمه عليه السلام بالدعائه حتّى قام في غسق الليل الحالك مُتوجهاً قد أشرع بصلاة أربع ركعات، آخذاً بعد أن أتمّها يُناجي ربّه سبحانه، قائلاً:

يا سيدي، نجّني من حبس هارون، وخلّصني من يده، يا مُخلّص الشجر من بين رمل وطين، ويا مُخلّص النار من بين الحديد والحجر، ويا مُخلّص اللبن من بين فرث ودم، ويا مُخلّص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مُخلّص الروح من بين الأحشاء والأمعاء؛ خلصني من يد هارون.

---

١. راجع كشف الغمّة الأربلي: ج٣ ص٢٤، والإرشاد للمفيد: ج٢ ص٢٣٩. وعيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج٢ ص٨٧ رقم١٣.

فرأى هارون رجلاً أسوداً بيده سيف مسلول: يقول: يا هارون! أطلق عن موسى بن جعفر عليهما السلام وإلا ضربت علاوتك.[١]

فخاف هارون، وقال لحاجبه: أطلق موسى بن جعفر... إلخ.[٢]

وحدّث عبد الله بن مالك الخزاعي ـ وكان هو على دار هارون، وشرطته ـ قال: أتاني رسول الرشيد فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي؛ فراعني ذلك، فلمّا صرت إلى الدار، سبقني الخادم، فعرف الرشيد خبري، فأذن لي بالدخول فدخلت وسلّمت، قال لي: يا عبد الله، أتدري لِمَ طلبتك في هذا الوقت؟

قلت: لا والله!

قال: إنّي رأيت الساعة في منامي كأنّ حبشياً قد أتاني ومعه حربة، فقال: إن لم تُخلّ عن موسى بن جعفر الساعة نحرتك بهذه الحربة. إذهب فخلّ عنه.

فمضى عبد الله مسرعاً إلى السجن، فقال للإمام عليه السلام: قد أمرني أميرالمؤمنين بإطلاقك، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام قبلنا؛ فلك ما تُحبّ، وإن أحببت الإنصراف؛ فالأمر إليك.[٣]

فخرج الإمام عليه السلام من السجن، ولكنّه لم يذهب إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله عند أهله وعياله، بل بقي في بغداد، وذلك حيث لم يسمح له هارون بالرجوع إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان قد أجبر الإمام بأن يدخل عليه في كلّ إسبوع مرة في يوم الخميس إلى أن حبسه ثانية، فلم يطلق عنه حتّى سلّمه الى السندي

---

١. العلاوة: أعلى الرأس، أو العنق.

٢. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٤ ص٣٠٥.

٣. مروج الذهب: ج٤ ص٣٤٦، ووفيات الأعيان: ج٥ ص٣٠٨.

بن شاهك، وقتله بالسمّ.[١]

نعم، بعدما أطلق سراح الإمام عليه السلام طلب عليه السلام من هارون أن يسمح له عليه السلام بالرحيل إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لرؤية عياله وأولاده. فلم يُجبه، ومن هذا يعلم أنّه كان قد فرض عليه عليه السلام الإقامة الجبريّة في بغداد، ولم يسمح له عليه السلام الرجوع إلى وطنه وأهله.

فمكث الإمام عليه السلام في بغداد حتّى حبسه الثانية، ثمّ توفّي عليه السلام في حبس سندي بن شاهك بالسمّ في رطب، بأمر هارون العبّاسي.

أجل، فلمّا شاع ذكر الإمام عليه السلام، وانتشرت فضائله، ومآثره في بغداد، وفي كثير من البلاد الإسلامية؛ ضاق هارون من ذلك. فعزم على قتل الإمام عليه السلام، فلم يجد من حواشيه شريراً يُنفّذ رغباته سوى السندي بن شاهك. فنُقل عليه السلام إلى سجن ذلك الوغد الأثيم، وأمره بالتضييق عليه.

فاستجاب السندي لكل ما أملاه هارون عليه، فقابل الإمام عليه السلام بكلّ جفوة وقسوة، وبالغ في أذاه والتضييق عليه في مأكله ومشربه، وتكبيله عليه السلام بالقيود.

ثمّ أمره هارون بأن يقتل الإمام عليه السلام بالسمّ، فناوله رطباً مسموماً، فقضى الإمام عليه السلام نحبه مظلوماً مسموماً.

تاريخ شهادته عليه السلام

روى الكليني في أُصول الكافي، قال: سعد، والحميري معاً عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، قال:

---

١. بحار الأنوار: ج٤٨ ص٢٢٠.

قُبض موسى بن جعفر عليهما السلام وهو ابن أربع وخمسين سنة، في عام ثلاث وثمانين ومائة... إلخ.[1]

وفيه أيضاً: قبض عليه السلام لستّ خلون من رجب من سنة ثلاث وثمانين ومائة... إلخ.[2]

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، قال: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، فال: حدّثنا الحسن بن علي بن زكريا، عن محمد بن خليلان، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن عتاب بن أسيد، عن جماعة من مشايخ أهل المدينة، قالوا:

لمّا مضى خمس عشر سنة من ملك الرشيد، استشهد ولي الله، موسى بن جعفر عليهما السلام مسموماً؛ سمّه سندي بن شاهك بأمر الرشيد في الحبس المعروف بـ: «دار المسيّب».

ومضى عليه السلام إلى رضوان الله وكرامته يوم الجمعة لخمس خلون من رجب، سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة، وقد تمّ عمره أربعاً وخمسين سنة... إلخ.[3]

وفيه أيضاً: الهمداني عن علي، عن أبيه، عن سليمان بن حفص، قال: إن هارون الرشيد قبض على موسى بن جعفر عليهما السلام سنة تسع وسبعين ومائة، وتوفي عليه السلام في حبسه ببغداد لخمس ليال بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة... إلخ.[4]

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد، قال: قُبض الكاظم عليه السلام ببغداد في حبس

---

١. أُصول الكافي: ج١ ص٤٨٦ ح٩.

٢. الكافي: ج١ ص٤٧٦.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٩٩ ح٤.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٠٤ ح٧.

سندي بن شاهك لستّ خلون من رجب، سنة ثلاث وثمانين ومائة، وله يومئذ خمس وخمسون سنة.[١]

وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد، قال: في الخامس والعشرين من رجب كانت وفاة أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام.[٢]

وروى الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين، قال: ووفاته عليه السلام ببغداد يوم الجمعة لستّ بقين من رجب... سنة ثلاث وثمانين ومائة.[٣]

وروى ابن شهر آشوب في مناقبآل أبي طالب، قال: وبعد مضيّ خمس عشرة سنة من ملك الرشيد استشهد عليه السلام مسموماً في حبس الرشيد على يدي السندي بن شاهك يوم الجمعة لستّ بقين من رجب.. سنة ثلاث وثمانين ومائة... إلخ.[٤]

وروى الشيخ الطبرسي في أعلام الورى، قال: وقبض عليه السلام ببغداد في حبس السندي بن شاهك لخمس من رجب.. سنة ثلاث وثمانين ومائة... إلخ.[٥]

فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد مسموماً، ويوم يُبعث حيّاً.

وصيته عليه السلام

أوصى الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام إلى ابنه الرضا عليه السلام، وعهد إليه بالأمر من بعده، وأشهد على وصيّته إسحاق بن جعفر ـ أخاه ـ وإبراهيم بن محمد الجعفري، وجعفر بن صالح، ومعاويّة بن علي بن معاوية الجعفريين، ويحيى بن

---

١. الإرشاد: ص٣٢٣.

٢. مصباح المتهجد: ص٥٦٦.

٣. روضة الواعظين: ص٢٦٤.

٤. مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٤٣٧.

٥. أعلام الورى: ص٢٩٤.

الحسين بن زيد، وسعد بن عمران الأنصاري، ومحمد بن الحارث الأنصاري، ويزيد بن سُليط الأنصاري، ومحمد بن جعفر الأسلمي.

بعد أن أشهدهم أنّه عليه السلام يشهد: أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث مَن في القبور، وأنّ البعث بعد الموت حقّ، وأنّ الوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ حقّ، وأنّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله حقّ، حقّ، حقّ، وأنّ ما نزل به الروح الأمين حقّ. على ذلك أحيا، وعليه أموت، وعليه أُبعث إن شاء الله.

أُشهدهم أنّ هذه وصيّتي بخطّي، وقد نسخت وصيّة جدّي أميرالمؤمنين عليه السلام ووصايا الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ووصيّة محمد بن علي، ووصيّة جعفر بن محمد عليهم السلام قبل ذلك، حرفاً بحرف.

وأوصيت بها إلى علي إبني، وبني بعده إن شاء وآنس منهم رشداً، وأحبّ إقرارهم؛ فذلك له، وإن كرههم، وأحبّ أن يُخرجهم؛ فذلك له، ولا أمر لهم معه.

وأوصيت إليه بصدقاتي، وأموالي، وصبياني الذين خلّفت، وولدي، وإلى إبراهيم، والعباس، وإسماعيل، وأحمد، وأُمّ أحمد، وإلى علي أمر نسائي دونهم، وثلث صدقة أبي، وأهل بيتي يضعه حيث يرى، ويجعل منه ما يجعل ذو المال في ماله، إن أحبّ أن يُجيز ما ذكرت في عيالي؛ فذلك إليه، وإن كره؛ فذلك إليه، وإنّ أحبّ أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدّق على غير ما وصّيته؛ فذلك إليه، وهو أنا في وصيّتي في مالي، وفي أهلي، وولدي.

وإن رأى أن يُقرّ إخوته الذين سمّيتهم في صدر كتابي هذا؛ أقرّهم، وإن كره؛ فله أن يُخرجهم غير مردود عليه، وإن أراد رجل منهم أن يزوج أُخته؛ فليس له أن يُزوجها إلا بإذنه، وأمره.

وأي سلطان كشفه عن شيء، أو حال بينه وبين شيء ممّا ذكرت في كتابي؛ فقد برء من الله تعالى، ومن رسوله، والله ورسوله منه بريئان، وعليه لعنة الله، ولعنة اللاعنين، والملائكة المقرّبين، والنبيين، والمرسلين أجمعين، وجماعة المؤمنين.

وليس لأحد من السلاطين أن يكشفه عن شيء لي عنده من بضاعة، ولا لأحد من ولدي ولي عنده مال، وهو مصدّق فيما ذكر من مبلغه إن أقل وأكثر؛ فهو الصادق، وإنّما أردت بإدخال الذين أدخلت معه من ولدي التنويه بأسمائهم، وأولادي الأصاغر، وأُمّهات أولادي من أقام منهنّ في منزلها، وفي حجابها، فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن أراد ذلك، ومن خرج منهنّ إلى زوج، فليس لها أن ترجع إلى خزانتي إلا أن يرى علي ذلك، ولا يزوّج بناتي أحد من إخوتهن، ومن أُمّهاتهن، ولا سلطان، ولا عمل لهن إلا برأيه ومشورته، فإن فعلوا ذلك؛ فقد خالفوا الله تعالى، ورسوله ﷺ، وحادوه في ملكه، وهو أعرف بمناكح قومه، إن أراد أن يزوّج؛ زوّج، وإن أراد أن يترك؛ ترك، قد أوصيتهنّ بمثل ما ذكرت في صدر كتابي، وأُشهد الله عليهنّ.

وليس لأحد أن يكشف وصيّتي، ولا ينشرها، وهي على ما ذكرت وسمّيت، فمن أساء؛ فعليه، ومن حسن؛ فلنفسه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]، وليس لأحد من سلطان، ولا غيره أن يفضّ كتابي الذي ختمت عليه أسفل، فمن فعل ذلك؛ فعليه لعنة الله، وغضبه، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[2]، وجماعة من المسلمين والمؤمنين.

---

١. سورة فصّلت، الآية: ٤٦.

٢. سورة التحريم، الآية: ٤.

وختم موسى بن جعفر، والشهود.[1]

أقول: فلا ريب ـ حسب الأدلّة الكثيرة المذكورة في مظّانها ـ أنّه عليه السلام أوصى إلى إبنه الإمام علي الرضا عليه السلام، فكان هو وصيّه، وحجّة الله، وخليفة رسوله صلى الله عليه وآله وإمام المسلمين من بعده. فقد فوض عليه السلام إليه جميع شؤونه، وألزم عليه السلام أبناءه باتّباعه، والإنصياع لأوامره.

كما أوقف عليه السلام زواج كرائمه بيد الإمام الرضا عليه السلام؛ فإنّه عليه السلام أعرف بمناكح قومه من غيره، لأنّهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله وكرائمه، فينبغي أن لا يتزوجن إلا بمؤمن تقي يعرف قدرهن ومكانتهن، ولا يعرف أكفّاءهن إلا ابنه الإمام الرضا عليه السلام.

هذا مضافاً إلى نصوص صريحة أُخرى منه عليه السلام يوصي بإمامة ولده علي الرضا عليه السلام؛ منها ما جاء في خبر المسيّب بن زهرة الآتي:

كان المسيّب بن زهرة موكلاً بحراسة الإمام الكاظم عليه السلام ـ أو كان موكلاً بحبسه ـ وكان عبّاسياً بغيضاً، ولما وكّل بحبس الإمام عليه السلام ألِف قلبه حبّ الإمام عليه السلام لما كان يرى، ويسمع من الإمام عليه السلام ما به قد هيمن على مشاعره، وأُشرب في فكره من غذاء الروح للروح؛ فاهتدى، وعدل إلى الحقّ والصواب، وصار من المخلصين لآل محمد عليهم السلام، ومن حملة أسرار الأئمّة عليهم السلام. وقد استدعاه الإمام عليه السلام قبل وفاته بثلاثة أيام.

فقال له: يا مسيّب، إنّي ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة، مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأعهد إلى علي إبني ما عهده إلي أبي، وأجعله وصيي، وخليفتي، وآمره بأمري.

قال المسيّب: فقلت: يا مولاي، كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وأقفالها

---

١. عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٤٧٥.

مُغلقة، والحرس معي على الأبواب!؟

فقال: يا مسيّب، ضعف يقينك في الله، وفينا!؟

قال: فقلت: لا، يا سيدي.

قال: فمه؟

قلت: يا سيدي، أدع الله أن يثبّتني.

فقال: اللهمّ ثبّته.

ثمّ قال: إنّي أدعو الله باسمه العظيم الذي دعا به آصف ـ ابن برخيا ـ حتّى جاء بسرير بلقيس، فوضعه بين يدي سليمان قبل ارتداد طرفه إليه، حتّى يجمع ـ الله ـ بيني وبين ابني علي بالمدينة.

قال المُسيّب: فسمعته يدعو، ففقدته عن مصلاه، فلم أزل قائماً على قدمي حتّى رأيته قد عاد إلى مكانه، وأعاد الحديد إلى رجليه، فخررت لله ساجداً لوجهي؛ شاكراً على ما أنعم به علي من معرفته.

فقال لي: ارفع رأسك يا مُسيّب، واعلم أنّي راحل إلى الله في ثالث هذا اليوم.

قال: فبكيت.

فقال لي: لا تبك يا مُسيّب، فإنّ علياً ابني هو إمامك، ومولاك بعدي فاستمسك بولايته؛ فإنّك لا تضلّ ما لزمته.

فقلت: الحمد لله.

قال: ثمّ دعاني في ليلة اليوم الثالث، فقال لي: إنّي على ما عرفتك من الرحيل إلى الله، فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها، ورأيتني قد انتفخت، وارتفع بطني، واصفر لوني، واحمر، واخضر، وتلون ألواناً؛ فخبّر الطاغيّة بوفاتي، فإذا رأيت بي هذا الحدث فإياك أن تُظهر عليه أحداً، ولا على من عندي إلا

بعد وفاتي.

قال المُسيّب: فلم أزل أراقب وعده حتّى دعا عليه السلام بالشربة، فشربها، ثمّ دعاني فقال عليه السلام لي: يا مُسيّب، إنّ هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم أنّه يتولّى غُسلي، ودفني؛ وهيهات أن يكون ذلك أبداً! فإذا حُملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش، فألحدني بها، ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبرّكوا به، فإنّ كلّ تربة لنا مُحرّمة إلا تربة جدّي الحسين بن علي عليهما السلام؛ فإنّ الله عزّ وجلّ جعلها شفاءً لشيعتنا، وأوليائنا.

قال: ثمّ رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به عليه السلام، جالساً إلى جانب، وكان عهدي بسيدي الرضا عليه السلام وهو غلام، فأردت سؤاله، فصاح بي سيدي موسى عليه السلام، وقال لي: أليس قد نهيتك يا مُسيّب!؟

فلم أزل صابراً حتّى مضى، وغاب الشخص عنّي.

فجئت إلى الإمام، وإذا به جثّة هامدة، قد فارق الحياة، فأنهيت الخبر إلى الرشيد بوفاته عليه السلام.

فوافي السندي بن شاهك. فوالله، لقد رايتهم بعيني وهم يظنّون أنّهم يُغسّلونه، فلا تصل أيديهم إليه عليه السلام، ويظنون أنّهم يُحنّطونه، ويُكفّنونه، وأراهم لا يصنعون به شيئاً، ورأيت ذلك الشخص يتولّى غُسله، وتحنيطه، وتكفينه، وهو يُظهر المعاونة لهم، ولا يعرفونه.

فلمّا فُرغ من أمره، قال لي ذلك الشخص: يا مُسيّب، مهما شككت فيه، فلا تشكّن في، فإنّي إمامك، ومولاك، وحجّة الله عليك بعد أبي.

يا مُسيّب، مثَلي مثَل يوسف الصدّيق عليه السلام، ومثلهم مثل أُخوته حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.

ثمّ حُمل عليه السلام حتّى دُفن في مقابر قريش... إلخ.[١]

أقول: نعم، إنّه عليه السلام توفّي في حبس هارون بسمّ ناقع، ماتته أصابع الحقد برضاب الحسد؛ علّها بذلك تُطفيء نور الله الذي أرسله الله عزّ وجلّ لهداية العالمين؛ فلا النور بافواههم إنطفى، ولا نهج الهدى اندرس، بل أبى الله تعالى ليُتمّ نوره ولو كره الحاسدون الحاقدون.[٢]

فعمل الرجس السندي بما أملاه عليه رين قلبه[٣]؛ آخذاً بأمر قاطع الرحم، المقفول قلبه[٤]، الطاغيّة هارون؛ فماث رطباً بسمّ ناقع، وقدّمه للإمام عليه السلام، فأكل عليه السلام منه عشر رطبات، فقال له عليه السلام السندي: زد على ذلك.

فقال عليه السلام له: حسبك قد بلغت ما تحتاج إليه!

فسرى السمّ في بدن الإمام عليه السلام، وبعد ثلاثة أيام، فاضت نفسه الزكية، ولحق بالرفيق الأعلى مع آبائه الطاهرين عليهم السلام.

فأظلمّت الدنيا لفقده، وأشرق البرزخ بقدومه، وخسر الإسلام والمسلمون كوكباً من الكواكب الوضّاءة الهادية إلى طريق الحقّ الواضح، والصراط المستقيم، وخسروا ألمع شخصيّة ذابّة عن حرمة الإسلام، مُدافعة عن كلمة التوحيد، مُطالبة بحقوق المظلومين والمستضعفين، شاجبة لكلّ اعتداء غادر أثيم.

---

١. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج٢ ص٩٥. ومناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣ ص٤٢٠. وعيون المعجزات لحسين بن عبد الوهاب: ص٩٣.

٢. إقتباس لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. سورة الصف، الآية: ٨

٣. إقتباس لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. سورة المطففين، الآية: ١٤.

٤. إقتباس لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ۞ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. سورة محمد، الآية: ٢٢و٢٣و٢٤.

كان عليه السلام في عصره أبرّ الناس بالناس، وأعطفهم على الضعفاء والمساكين، إذ كان عليه السلام يُثلج قلوبهم بصراره، وهباته، وعطاياه، وبأخلاقه الحسنة الكريمة.

وقد طويت بموته عليه السلام صفحة من أروع صفحات التاريخ الإسلامي، وقد مضى عليه السلام إلى ساحة بارئه شهيداً، وبقيت علومه ومدرسته إلى يوم مشعل نور لمن يطلب الحق ويُريده.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم مات شهيداً، ويوم يبعث حيّاً سعيداً.

فصل في

أولاده عليه السلام

لاريب أنّ عقب الإمام الكاظمعليه السلام قد تميّز بوقوع ولاداتهم في الفترة المحصورة بين أُفول دولة بني أُميّة، وظهور دولة بني العبّاس؛ الأمر الذي أكسبهم دوراً متبايناً عن غيرهم من الأعقاب لأئمّة آل البيتعليهم السلام؛ ذلك لتباين الزمان، وانقلاب دوله التأسيسيّة فيه.

فلم يكن بين الأُمويين والعبّاسيين سوى قاسم مشترك قد تمحور منهجه في الحيلولة دون إعطاء الشريعة حقّها في الحكم بين الناس؛ مُجسّداً من خلال منع تقلّد آل النبيعليهم السلام لمناصبهم الشرعيّة في الحكم خلفاً لرسول اللهصلى الله عليه وآله في الأُمّة الإسلاميّة، فضلاً عن عزم السلطتين الأُمويّة، والعباسيّة على تقويض أركان آل البيتعليهم السلام مُشرعين بقتلهم لأعمدته من الأئمّة المعصومين، وفرض حصارهم على القسم الآخر، متّخذين لذلك أشكالاً متعدّدة بحسب متطلّبات الحاجة؛ أهونها الإعتقال، والمطاردة، والتغريب.

وعليه؛ فلا بأس وأنت تستعرض ما تناولناه في هذه العجالة من أحوال أولاد الإمام الكاظمعليه السلام أن تسبر بنظرك في بطون كتب التأريخ ـ حصراً بهذه الفترة العصيبة ـ علّك تعثر فيها عمّا قد فاتنا من إلحاد الملوك الجائرة بحقّ الدين الإسلامي الحنيف، أو يسقط بيديك نُكراً من جرائمهم بحقّ الأُمّة الإسلاميّة، فضلاً عن جرائمهم بحقّ آل النبي محمدصلى الله عليه وآله.

نعم، لقد تناول جمع كبير من علماء المسلمين شيئاً من أحوال أولاد الإمام موسى بن جعفرعليهما السلام، منهم مُكثر، وآخر مُقلّ، وثالث بين بينين منهما.

روى المزّي في تهذيبه، قال:

قال الزبير بن بكّار: وولد موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام: علياً، وإبراهيم، وعبّاساً، والقاسم، وإسماعيل، وجعفراً، وهارون، وحسناً، وأحمداً، ومحمدا، وعبيد الله، وحمزة، وزيداً، وعبد الله، وإسحاق، وحسيناً، والفضل، وسليمان، وحكيمة، وفاطمة، وأُمّ البهاء، وعبّاسة، وقسيمة، وأُمّ فروة، وأسماء، ورقيّة، وكلثم، وأُمّ جعفر، ولبابة، وزينب، وخديجة، وعلية، وأمينة، وحسنة، وبريّهة، وأُمّ سلمة، وعائشة، وفاطمة، وميمونة، وأُمّ كلثوم، بني موسى بن جعفر لأُمّهات أولاد.

وقال أبو الحسين، يحيى بن الحسن بن جعفر العلوي، النسّابة: فولد موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام: علياً الرضي، وفاطمة، أُمّهما أُمّ ولد، عقد له المأمون ولي عهد، ولبس لباس الخضرة في أيامه.[1]

أقول: لقد ولد للإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أولاد كُثر، أفضلهم وأعلمهم وأورعهم هو الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام. من الذكور نذكر:

الإمام الرضا عليه السلام

علي بن موسى الرضا عليه السلام، وصيّه، وإمام المسلمين من بعده..

سنذكر بياناً لما حاشته أيدينا عن حياته المباركة في الجزء التالي إن شاء الله تعالى.

إبراهيم الأكبر

إبراهيم الأكبر بن موسى بن جعفر: قال السيّد بحر العلوم: قال المفيد في الإرشاد، والطبرسي في إعلام الورى: كان إبراهيم بن موسى عليهما السلام شيخاً سخيّاً، شجاعاً كريماً، وتقلّد الإمرة على اليمن في أيام المأمون من قبل محمد بن زيد

---

١. تهذيب الكمال: ج٢١ ص١٤٩، ترجمة علي بن موسى بن جعفر عليه السلام.

بن علي بن الحسين عليهم السلام الذي بايعه أبو السرايا بالكوفة، ومضى إليها ففتحها، وأقام بها مدّة إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان....[١]

وبعدما فشلت حركة أبي السرايا، إنهار عزمه فطلب الأمان من المأمون؛ فآمنه، وقيل: تشفّع فيه أخوه الإمام الرضا عليه السلام عند المأمون فشفّعه فيه.

ولكن المأمون غدر به بعد ذلك، ودسّ إليه السمّ، فمات به، وانتقل إلى جوار ربّه سنة٢١٣ أو ٢١٠هـ ببغداد، وأنزله في ملحودة قبره الفقيه ابن السمّاك، وأنشد حينما ألحده:

مات الإمام المرتضى مسموماً	وطوى الزمان فضائل وعلوماً
قد مات في الزوراء مظلوماً	كما أضحى أبوه بكربلاء مظلوماً
فالشمس تندب موته مصفرة	والبدر يلطم وجهه مغموماً

وكان إبراهيم سيداً جليلاً عظيم الشأن، ومن علماء عصره البارزين، وروى الحديث عن آبائه.

ونقل ابن شدقم عن جدّه: إنّ إبراهيم كان عالماً، فاضلاً، كاملاً... وكان شيخاً كبيراً، كريماً... وممّا يدلّ على رفعة شأنه أنّ أباه عليه السلام جعله من جملة أوصيائه في الظاهر؛ لأجل التنويه بإسمه، والتشريف له، وإعلاء مكانته.[٢]

وفي عقبه خلاف؛ قال بحر العلوم في رجاله: وهو جدّ محمد بن علي بن إبراهيم... فإن علماء النسب ضبطوا العقب من أولاد إبراهيم الأصغر، وقالوا: إنه أعقب من موسى بن جعفر لا غير، ومنهم من زاد أحمد، وإسماعيل، ولم يذكر أحد منهم علياً في أولاده، فيكون ـ علي بن إبراهيم ـ من ولد إبراهيم الأكبر،

---

١. راجع الفوائد الرجالية لبحر العلوم: ج١ص٤١٤، باب الألف. وحياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام للقرشي: ج٢ ص٤٠٩.

٢. راجع الفوائد الرجالية لبحر العلوم: ج١ ص٤١٦.

هو الملقب بالمرتضى، وهو أصغر ولد الإمام الكاظم عليه السلام، وذكر العبيدلي النسابة أنه كان عالماً عابداً، وليس هو صاحب أبي السرايا وإنما ذلك أخوه إبراهيم الأكبر.[١]

وهو المعقّب المكثر، جد السيّدين: المرتضى، والرضي، وجدّ الأشراف الموسويّة. وذُكر أنّ قبره خلف ظهر الحسين عليه السلام بستّة أذرع، معه جماعة من أولاده في سردابين متّصلين خلف الضريح المقدّس... إلخ.[٢]

أحمد ومحمد

أحمد، وأخوه محمد العابد ابنا موسى بن جعفر عليهما السلام لأمّ واحدة تُدعى: أمّ أحمد. وهي سيّدة مؤمنة، قد امتازت بالتّقوى، والصلاح، ذات حظوة لدى الإمام الكاظم عليه السلام، حيث كان عليه السلام شديد التلطّف بها، فضلاً عن إيداعها[٣] من قبله عليه السلام كتاب وصيّته، ومواريث الإمامة، قائلاً لها: كلّ مَن جاءك وطلب منك هذه الأمانة في أي وقت من الأوقات؛ فاعلمي بأنّي قد استشهدت، وإنّه هو الخليفة من بعدي، والإمام المفترض الطاعة عليك، وعلى سائر الناس. فلمّا سمّه هارون بأمر هواه، وارتحل عليه السلام إلى الملأ الأعلى مظلوماً شهيداً؛ جاء إليها الإمام الرضا عليه السلام

١. راجع الفوائد الرجالية: ج١ ص٤٣٢.
٢. أعيان الشيعة للأمين: ج٢ ص٢٣٠.
٣. أقول: إنّما كان من إيداعه عليه السلام أمّ أحمد الأمانة، إنّما كان منه عليه السلام أُسلوباً إحترازيّاً يعتمده الأئمّة عليهم السلام في نهجهم عند إقتضاء الضرورة، وبصور مُتغايرة الإشهاد، لإثبات أمر النصّ في الإمام عليه السلام. فضلاً عن توكيده طبق الوصيّة؛ لئلا تتّسع دائرة الفتنة بين الأُمّة، وتصير في لغط، واختلاف بعد رحيل الإمام عليه السلام.

ولكن رغم ذلك ترى المحرّفة، ذوي الأغراض الدنيئة الذين لا يستكينون دون أن يُحدثوا في هذا الأمر أو ذاك. تحركت فيهم دماء الحسد والكبَر؛ لا لشيء فقط لما وصفهم المولى به من قبل في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾. سورة النمل، الآية: ١٤.

فطلبها بالأمانة.

فقالت لهعليه السلام: لقد استشهد والدك!؟

فقالعليه السلام: بلى، والآن فرغت من دفنه، فأعطيني الأمانة التي سلمها إليك أبي... وأنا خليفته والإمام بالحقّ على جميع الإنس والجنّ.

فشقّت أُمّ أحمد جيبها، وردّت الأمانة على الرضاعليه السلام وبايعته بالإمامة...

وكان الإمام الكاظمعليه السلام كثير الإعتناء بأحمد، بحيث كان يتمتّع بمنزلة سامية عند أبيهعليه السلام، حتّى أنّهعليه السلام قد جعله مِن جملة أوصيائه في الظاهر.

وكان أحمد من كبار المتّقين، والصالحين، بما يدلّ على شدّة ورعه، ونزاهة نفسه؛ حتّى أنّه لمّا شاع خبر وفاة أبيهعليه السلام في المدينة اجتمع أهله على بابه، لما كان في ظنّهم أنّه الإمام بعد أبيهعليه السلام؛ وذلك لجلالته، ووفور عبادته، وعلو همّته في إظهاره تعاليم الإسلام؛ فبايعوه بالإمامة، وأخذ منهم البيعة، ثمّ صعد المنبر وخطب خطبة بليغة... ثمّ قال:

يا أيّها الناس، كما أنّكم جميعاً في بيعتي؛ فإنّي في بيعة أخي علي بن موسى الرضا، واعلموا أنّه الإمام، والخليفة من بعد أبي، وهو ولي الله، والفرض علي وعليكم من الله ورسوله طاعته بكلّ ما يأمرنا.

فخضع لكلامه كلّ من قد كان حضر، وجاءوا بمعيّته عند الإمام الرضاعليه السلام، فأقرّ، وأقرّوا معه بإمامتهعليه السلام.

كما كان أحمد من العلماء الفضلاء، وقد روى عن أبيه وأجدادهعليهم السلام أحاديث كثيرة، فضلاً عن كتابته المصحف الكريم بيده المباركة.

قال العلامة المتتبّع السيّد محمد باقر الخونساري في روضات الجنّات:

السيّد الحسيب، النسيب، أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبعليهم السلام، كان سيّداً كريماً، ورعاً جليلاً، فاضلاً، من

أحبّ أبناء الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وأوثقهم بعد الرضا عليه السلام، وذكر شيخنا المفيد في الإرشاد: إنّه عليه السلام كان يُحبّه، ويُقدّمه.

وقال: وفي بعض كتب الرجال ـ رجال الشيخ أبي علي ـ أنّه المدفون بشيراز، المسمّى بسيّد السادات، يعني به الذي اشتهر في هذه الأزمان بـ«شاه جراغ» وقد تواتر عن مرقده الطاهر هناك كرامات باهرة، ونصّ على ذلك أيضاً المحدّث النيسابوري بعد ذكره للرجل بعنوان: أحمد بن موسى بن جعفر الصادق عليهم السلام العلوي الحسيني المدني.

فقال: أخو محمد، وحمزة لأُمّ ولد، وكان كريماً جليلاً، مقدّماً عند أبيه عليه السلام، أدخله في ظاهر الوصيّة، وأخرجه في النسخة المختومة.

وقال السيّد الخونساري: إنّ من المصرّحين بكون مرقد أحمد المذكور هو المزار المعروف بـ: شاه جراغ. حمد الله المستوفي صاحب كتاب «نزهة القلوب»، ومنهم صاحب «لؤلؤة البحرين» في مواضع منه، ومنهم الفقيه الفاضل الميرزا عبد الله الإصفهاني، المشتهر بالأفندي صاحب «رياض العلماء»، في ذيل ترجمة السيّد عبيد الله بن موسى بن أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو الذي ذكره الشيخ منتجب الدين في فهرسته بهذه الصورة، ثمّ قال: هو ثقة، ورع، فاضل، محدّث، له كتاب: أنساب آل الرسول وأولاد البتول عليهم السلام... إلخ.[1]

إسحاق

إسحاق بن موسى بن جعفر: إنّه لُقّب بـ: الأمير، والأمين. وعدّه الشيخ في

---

١. راجع روضات الجنّات: ج١ ص٤٢.

رجاله من أصحاب أخيه الرضاعليه السلام... توفّي بالمدينة سنة ٢٤٠هـ ، ودُفن بها، وقيل توفّي في ساوة[١]، ودُفن بها.[٢]

ومن أحفاده: الورع، المُعمّر، السيّد أبو طالب المهلوس، وأبو جعفر محمد الصوراني، المعروف بـ«ابن بسّة» قُتل بشيراز.[٣]

إسماعيل

إسماعيل بن موسى بن جعفر، كان من أعلام علماء عصره، وفي طليعة المتّقين والصالحين... وقد سكن مصر، وسكنها من بعده أولاده وأحفاده.

وفي رجال بحر العلوم: إسماعيل بن موسى الكاظمعليه السلام سكن مصر، وولده بها، وله كتب مبوبة يرويها عن أبيه عن آبائهعليهم السلام.

وذكره الشيخان في فهرستيهما الموضوعين للمصنفين من أصحابنا، والسروي في معالم العلماء، وعدّوا من كُتبه:

كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصوم، كتاب الحجّ، كتاب الجنائز، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب الحدود، كتاب الديّات، كتاب الدعاء، كتاب السُنن والآداب، كتاب الرؤيا.

ثمّ قال: قال الشيخان: أخبرنا الحسين بن عبيد الله، قال: حدّثنا أبو محمد سهل بن أحمد بن سهل الديباجي، قال: حدّثنا أبو علي بن محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي بمصر قراءةً عليه.

---

١. ساوة: مدينة تقع بين طهران وأراك من بلاد ايران.

٢. راجع المُجدي في أنساب الطالبين للعلوي: ص١١٨. وحياة الإمام موسى بن جعفرعليهما السلام للقرشي: ج٢ ص٤١٥.

٣. جامع الأنساب للهمداني: ص٤٧.

وفي الفهرست، قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عليهما السلام وكتابه ـ أي، كتاب إسماعيل بن موسى بن جعفر عليهما السلام، وهو الجعفريّات، التي رواها كلّها عن أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، عن جدّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ مشحون بحديثه، بل مقصور عليه...

وقال السيّد بحر العلوم: وفيما ذكرناه شهادة على حُسن حال إسماعيل بن موسى عليهما السلام، وعلمه، وفضله، وفقهه.[١]

جعفر

جعفر بن موسى بن جعفر، يُكنّى: أبا الحسن. ويُعرف بـ«الخواري» نسبة إلى خوار، وهي إحدى قرى مكّة، كان ينزلها في أكثر أوقاته، فنُسب إليها هو وبنوه، ويقال لهم: الشجريون أيضاً، لأنّهم كانوا ينزلون في المواضع الكثيرة الشجر، وقد أعقب ستّة بنين، وثمان بنات.

الحسن

الحسن بن موسى بن جعفر. تاريخ حياته، ووفاته، ومحلّ سُكناه، ودفنه ليس بمعلوم ومعروف، عقبه قليل جدّاً...

وقال ابن طباطاب، وأبو الحسن العمري: أعقب الحسن بن موسى عليهما السلام من جعفر وحده، وأعقب جعفر من ثلاثة: محمد، والحسن، وموسى.[٢]

قال أبو نصر البخاري: والحسن بن موسى عليهما السلام له ولد يُسمّى «جعفراً» من أُمّ

---

١. راجع الفوائد الرجاليّة: ج٢ ص١١٦.

٢. راجع حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام للقرشي: ج٢ ص٤١٧.

ولد، يُقال: إنّه أعقب، ويُقال غير ذلك.[١]

الحسين

الحسين بن موسى بن جعفر. كان ملقباً بـ«السيّد علاء الدين» وكان سيّداً جليلاً، عظيم القدر، رفيع الشأن، وممّا يدلّ على علو قدره، وسمو مكانته أن جاء في رواية البزنطي: إنّه سُئل الإمام الجوادعليه السلام: أي عمومتك أبرّ بك؟

فقالعليه السلام: الحسين؛ قال الإمام الرضاعليه السلام: صدق والله، هو والله، أبرّهم به، وأخيرهم.[٢]

قال البراقي في تاريخ الكوفة: ودُفن في العبّاسية، ويقع قبره من قرب «أم البعرور» ويُعرف عند المجاورين له: قبر الحسن. وقال المرحوم السيّد جعفر آل بحر العلوم: إنّ قبره بشيراز. وذكره شيخ الإسلام شهاب الدين في تاريخه المعروف بـ«شيراز نامة» وملخّص ما ذكره: إنّ قُتلُغ خان[٣] كان والياً على شيراز، وكانت له حديقة في مكان حيث هي مرقد السيّد المذكور، وكان بواب تلك الحديقة رجلاً من أهل الدين والمروءة، وكان يرى في ليالي الجمعة نوراً يسطع من مرتفع في تلك الحديقة، فأبدى حقيقة الحال إلى الأمير قُتلُغ، وبعد مشاهدته لما كان يشاهده البواب، وزيادة تجسّسه وكشفه عن ذلك المكان؛ ظهر له قبر، وفيه جسد عظيم في كمال العظمة والجلالة، والطراوة والجمال، بإحدى يديه مصحف، وبالأخرى سيف مُصلت؛ فبالعلامات، والقران علموا أنّه قبر الحسين بن موسىعليهما السلام، فبنى له قبّة، ورواقاً.

---

١. سرّ السلسلة العلويّة: ج٤٢.

٢. راجع قرب الإسناد للحميري: ص٣٧٨ رقم١٣٣٤.

٣. هو: عامل المأمون العبّاسي على شيراز.

وقال السيّد جعفر بحر العلوم أيضاً: وكتب بعضهم: إنّ السيّد علاء الدين حسين ـ ابن الإمام موسى عليه السلام ـ كان ذاهباً إلى تلك الحديقة، فعرفوه أنّه من بني هاشم، فقتلوه في تلك الحديقة، وبعد مضي مدّة، وزوال آثار الحديقة بحيث لم يبق إلا ربوة مرتفعة، عرفوا قبره بالعلامات المذكورة، وكان ذلك في دور الدولة الصفويّة. وجاء رجل من المدينة يُقال له: ميرزا علي، فسكن شيراز، وكان مثرياً، فبنى عليه قبّة عالية، وأوقف عليه أملاكاً وبساتيناً، ولمّا توفّي دُفن بجنب البقعة... إلخ.[1]

حمزة

حمزة بن موسى بن جعفر. المُكنّى بـ«أبي القاسم» كان عالماً، فاضلاً، كاملاً، مهيباً، جليلاً، رفيع الشأن والمنزلة، عالي الرتبة، مُقدّراً عند الخاصّة والعامّة، سافر مع أخيه الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان، وكان واقفاً في خدمته عليه السلام، ساعياً في مآربه، طالباً لرضاه، مُمتثلاً لأوامره.

وصرّحت بعض المصادر: إنّه مدفون بالري قرب مرقد السيّد الجليل شاه عبد العظيم الحسني. وقيل: قتله بعض أتباع المأمون، ودُفن في «سوسعد» وقبره في «بستان».[2]

وقد أعقب ولدين، أحدهما: علي. والآخر: القاسم. وإليه تنتمي السادة الصفويّة.. والأقرب بالصواب، وأصحّ الأقوال كما في كتاب «بدر فروزان» للفاضل المحقّق المدقق الشيخ عبّاس الفيض القمّي: إنّه مدفون بشيراز.

قال: أمّا الذين صرّحوا: بأنّه مدفون بشيراز، أحدهم: اسكندر بيك المنشي في

---

١. تاريخ الكوفة: ص٥٦.

٢. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام للقرشي: ج٢ ص٤١٩.

كتاب عالم آراء عبّاسي. في ذيل نسب السلاطين الصفويّة، إذ قال: نسب هذه السلسلة الجليلة ينتهي إلى السيّد حمزة بن موسى بن جعفر عليهما السلام، الذي مدفنه في قرية من قرى شيراز، والسلاطين الصفوية بنوا على تربته قبّة رفيعة، وجعلوا لها موقوفات كثيرة...

وآخر منهم: صاحب كتاب بدائع الأنوار. قد صرّح: بأنّه مدفون بشيراز؛ وأقام عليه دليلاً وجيهاً.[1]

فإنّ الشيخ عباس الفيض يُثبت تحقيقاً: إنّه مدفون بشيراز.

زيد

زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام: يُعرف بـ«زيد النار». كان ممّن خرج مع أبي السرايا، وكان والياً من قبله على البصرة. قيل: ولقّب بـ«زيد النار» لأنّه لمّا غلب على البصرة أحرق دور بني العبّاس، وأضرم النار في نخيلهم، وجميع ما يتعلّق بهم، فقيل له: زيد النار. وحاربه الحسن بن سهل، فظفر به، وأرسله إلى المأمون... فأرسله المأمون إلى أخيه الإمام الرضا عليه السلام، ووهب له جرمه... قال له الإمام عليه السلام: يا زيد! أغرّك قول ناقلي الكوفة: إنّ فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها؛ فحرّم الله ذرّيّتها على النار!؟ فلا والله، إلا للحسن والحسين، وولد بطنها خاصّة.

أما أن يكون موسى بن جعفر عليهما السلام يطيع الله، ويصوم نهاره، ويقوم ليله، وتعصيه أنت، ثمّ تجيئان يوم القيامة سواء، لأنت أعزّ على الله منه!؟

إنّ علي بن الحسين عليهما السلام كان يقول: لمحسننا كفلان من الأجر، ولمسيئنا ضعفان من العذاب.

---

١. راجع بدر فروزان: ص٥٩ـ٧٣.

ثمّ التفت عليه السلام إلى الحسن بن موسى بن علي الوشّاء، فقال له: كيف تقرؤون هذه الآية: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[1]. فقال الحسن: من الناس من يقرأ ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فمن قرأ: إنّه عمل غير صالح؛ فقد نفاه عن أبيه.

فقال عليه السلام: كلا، لقد كان ابنه، ولكن لمّا عصى الله عزّ وجلّ؛ نفاه عن ابيه. كذا من كان منّا، ولم يُطع الله عزّ وجلّ؛ فليس منّا، وأنت إذا أطعت الله عزّ وجلّ؛ فأنت منّا أهل البيت.

وقال عليه السلام لزيد: يا زيد! اتّق الله، فإنّا بلغنا ما بلغنا بالتقوى، فمن لم يتّق الله، ولم يُراقبه؛ فليس منّا، ولسنا منه. يا زيد! إياك أن تهين من به تصول من شيعتنا! فيذهب نورك. يا زيد! إنّ شيعتنا إنّما أبغضهم الناس، وعادوهم، واستحلّوا دمائهم، وأموالهم؛ لمحبّتهم لنا، واعتقادهم لولايتنا، فإن أنت أسأت إليهم؛ ظلمت نفسك، وأبطلت حقّك.[2]

واختلف المترجمون له في زمن وفاته ومكانه، فقيل: إنّه توفّي في زمان المأمون، وهو سقاه السمّ، فمات منه، وكان في «صلهد» احدى قرى اصفهان، ودُفن فيها، وعلى قبره قبّة، وله مزار.[3]

وعاش زيد بن موسى عليهما السلام إلى آخر خلافة المتوكّل، ومات بسرّ من رآى.[4]

عبد الله

عبد الله بن موسى بن جعفر. ويعرف بـ«العوكلاني»، ويُقال لولده: العوكلانيّة.

---

١. سورة هود، الآية: ٤٦.

٢. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج١ ص٢٦رقم٦.

٣. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ج٣ ص٤٢٤.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج١ ص٢٥٨رقم٣.

حدّث عنه علي بن إبراهيم، قال: لمّا توفّي الإمام الرضاعليه السلام حججنا، فدخلنا على أبي جعفر ـ الإمام الجوادعليه السلام ـ وقد حضر خلق من الشيعة من كلّ بلد لينظروا إلى أبي جعفرعليه السلام، فدخل عمّه عبد الله بن موسى، وكان شيخاً كبيراً، نبيلاً، عليه ثياب خشنة، وبين عينيه أثر السجود، فجلس وخرج أبو جعفر، وعليه قميص قصب[1]، ورداء قصب، وفي رجليه نعله أبيض.

فقام إليه عبد الله فاستقبله، وقبّل ما بين عينيه، وقامت إليه الشيعة تكريماً، وإجلالاً له، فجلس أبو جعفر على كرسي، ونظر الناس بعضهم إلى بعض؛ نظراً لحداثة سنّ الإمامعليه السلام، فقد كان عمره آنذاك تسع سنين.

فتقدّم رجل من القوم إلى عبد الله، فقال له: أصلحك الله، ما تقول في رجل أتى بهيمة؟

فأجابه عبد الله: تقطع يمينه، ويُضرب الحدّ.

فلمّا سمع الإمام الجوادعليه السلام بهذه الفتوى التي لا تتّفق مع الشريعة؛ غضب، وقال له: يا عمّ، اتّق الله، إنّه لعظيم أن تقف يوم القيامة بين يدي اللهعزّ وجلّ فيقول لك: لِمَ أفتيت الناس بما لا تعلم؟

فقال عبد الله: أليس قال هذا أبوك!؟

فقال أبو جعفرعليه السلام: إنما سئل أبي عن رجل نبش قبر امرأة، فنكحها، فقال أبي: تقطع يمينه للنبش، ويضرب حدّ الزنا؛ فإن حرمة الميتة كالحية.

فقال عبد الله: صدقت يا سيدي، وأنا أستغفر الله.[2]

أقول: هذه الرواية وإن دلّت على تسرّع عبد الله، وخطأه في المسألة الفقهيّة،

---

١. الثياب الرقيقة الناعمة، تُصنع من الكتان.

٢. راجع الإختصاص للمفيد: ص١٠٢.

إلا أنّ إظهاره الندم، واستغفاره، ورضوخه لإعتراض الإمام عليه السلام عليه؛ زاده فضيلة بما يرفع عنه القدح، ويرقى به إلى درجة الأولياء، والصالحين.

هذا، وزمان وفاة عبد الله، ومحلّ دفنه مجهولان، لا يُعرفان.

عبيد الله

عبيد الله بن موسى بن جعفر. لم يتناوله المترجمون مدحاً، ولا قدحاً، والظاهر أنّه كان من المؤمنين الأتقياء، وإنّما قالوا: كان ساكن الكوفة، وتوفّي، ودُفن فيها، وأعقب ثمانية بنين، وهم:

محمد اليمامي، وجعفر، والقاسم، وعلي، وموسى، والحسن، والحسين، وأحمد. وإليه تنتمي كثير من البيوتات والسادات الرفيعة الشأن، الجليلة القدر الموسوية.[١]

القاسم

القاسم بن موسى بن جعفر. فرع زكي من فروع الإمامة، ودوحة قُدسيّة من دوحة النبوّة، وكان وحيد عصره في الورع والتقوى، والصلاح والسداد، والمحنة والبلاء.

كان أبوه الإمام الكاظم عليه السلام يُحبّه شديداً؛ لما كان يرى من هديه وصلاحه، وما يتمتّع به من العلم والإيمان، وكان عليه السلام يُثني عليه، ويُشيد به وينتدبه لبعض مهامّه.

فعن محمد بن يحيى، عن موسى بن الحسن، عن سليمان الجوهري، قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام يقول لإبنه القاسم: قُمّ يا بني، فاقرأ عند رأس أخيك

---

١. راجع المُجدي في أنساب الطالبين للعلوي: ص١١١. وتاريخ الكوفة للبراقي: ص٥٦.

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[١] حتّى تستتمّها، فقرأ، فلمّا بلغ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾[٢]؛ قضى الفتى، فلما سُجّي، وخرجوا، أقبل عليه يعقوب بن جعفر، فقال له عليه السلام: كنّا نعهد الميّت إذا نزل به يُقرأ عنده: ﴿يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[٣]، وصرت تأمرنا بالصافّات!؟

فقال عليه السلام: يا بني، لم تقرأ عند مكروب من موت قطّ إلا عجّل الله راحته.[٤]

ممّا يدلّ على مزيد ثقة أبيه الإمام الكاظم عليه السلام به. وطبيعي أنّ ذلك ناشئ عن فضائله، ومآثره.

ولمّا أصرّ عدو الله، وعدو رسوله صلى الله عليه وآله؛ هارون العبّاسي في تتبّع ذرّيّة علي وفاطمة عليهما السلام، وقتلهم، وارهاقهم؛ خرج القاسم من مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله مختفياً، كاتماً لاسمه، ونسبه حتّى لا يُعرف، فانتهى إلى «سورى»[٥] فأقام فيها غريباً مشرّداً عن أهله ودياره، خائفاً على نفسه، وقد كتم أمره لأن لا يعرفه أحد، ولم يُنبأ مصدر موثّق شيئاً عن سيرته، وحياته، وما جرى عليه في غربته.

نعم، أقام في «سورى» مدّة حياته، وكان يُعاني ألم الغربة، والفراق من أهله، والخوف من السلطة، وكان أعظم ما يحزّ في نفسه ما حلّ بأبيه الإمام الكاظم عليه السلام من الرزء القاصم، واعتقاله في قعر السجون، وظلم المطامير، وتشريد إخوانه، وغير ذلك من النكبات والأرزاء، وقد نخر قلبه، وأضناه السقام حتّى دنا إليه

---

١. سورة الصافات، الآية: ١.

٢. سورة الصافات، الآية: ١١.

٣. سورة يس، الآية: ١ـ٢.

٤. راجع الكافي للكليني: ج٣ ص١٢٦، باب إذا عسر على الميّت الموت واشتد عليه النزع، ح٥.

٥. سورى ـ على وزن بشرى ـ: موضع بالعراق من أرض بابل، وهي مدينة السريانين. معجم البلدان للحموي: ج٣ ص٢٧٨ «مادّة سورا».

الموت، وهو في فجر الصبا، وريعة[1] العمر.

ولمّا شعر بدنو الأجل المحتوم، والقدوم على الله، عرّف نفسه، ثمّ لفظ أنفاسه الأخيرة، فقام المسلمون في تلك المنطقة، وهم يذرفون الدموع على تقصيرهم تجاه حفيد نبيّهم، إذ لم يوفوه حقّه؛ لجهلهم به.

وواروا جثمانه الطاهر في مقرّه الأخير، وقد واروا معه صلاحه وعلمه وتقواه. إنّ سنة وفاته ليست بمعلومة، والظنّ القوي أنّه توفّي في عهد الخبيث هارون العبّاسي.

ومرقده الشريف يقع في «سورى» وفي هذا الزمان تُعرف بـ«ناحية القاسم» ــ نسبة الى اسمه الشريف ـ وهي احدى نواحي قضاء الهاشميّة التابعة لمحافظة الحلّة.[2]

ولم يكن للقاسم عقب.

محمد العابد

محمد العابد بن موسى بن جعفر. يُكنّى: أبا إبراهيم. كان كريماً، جليلاً، موقّراً، يُعرف بـ«العابد» لكثرة عبادته، كان في كلّ ليلة يتوضّأ ويُصلّي، ثمّ يرقد قليلاً، ثمّ يقوم لعبادة الله سبحانه وتعالى حتّى يتبلّج نور الصبح.

قال ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة: قال بعض شيعة أبيه: ما رأيته قط إلا ذكرت قول الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[3].[4]

---

١. الريع: فضل كلّ شيء، والريع من كلّ شيء: أوّله، وأفضله كريعان الشباب.

٢. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ج٢ ص٤٢٩.

٣. سورة الذاريات، الآية: ١٧.

٤. الفصول المهمّة: ص٢٥٦.

إنّه دخل شيراز واختفى بها، وأخذ يستنسخ القرآن الكريم، ومن أُجرته أعتق ألف مملوك.[١]

وأعقب سبعة أولاد، ثلاثة منهم كانوا بنين: جعفر، ومحمد، وإبراهيم ـ المُجاب ـ وسبب تلقيبه بـ«المجاب» أنّه كما ذكره المؤرّخون: سلّم على قبر جدّه الإمام الحسين عليه السلام؛ فسمع صوتاً من القبر الشريف: وعليك السلام يا ولدي.

وقال فيه بعض ولده مفتخراً به، وبجده عليه السلام:

من أين للناس مثل جدّي ... موسى وابنه المجاب

إذ خاطب السبط وهو رمس ... أجابه أكرم الجواب[٢]

وعقّب محمد العابد من ابنه إبراهيم المُجاب، وإبراهيم هذا مدفون بجوار جدّه الحسين عليه السلام، وأبوه محمد العابد مدفون بشيراز، وله مزار يُزار، ويتبرّك به.

هارون

هارون بن موسى بن جعفر. لم ي، ذكر شيء من سيرته، وتاريخ حياته في التراجم، وذُكر: إنّه أعقب ثمانية أولاد، ولم يُعقّب منهم أحد غير ولده أحمد.

وتوفّي في إحدى قرى طالقان[٣]، ودُفن هناك، وله مرقد يُزار، وله ضريح، مكتوب عليه: هذا قبر إمام زادة هارون بن سلطان الأتقياء، وإمام الأولياء، موسى الكاظم عليه السلام.[٤]

---

١. تُحفة العالم لبحر العلوم: ج٢ ص٣١.

٢. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام للقرشي: ج٢ ص٤٣٤.

٣. الطالقان: مدينة من بلاد إيران.

٤. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ج٢ ص٤٣٥.

عون

عون بن موسى بن جعفر. قال الشبلنجي: ومن أولاد الكاظم عليه السلام ـ كما في بُغية الطالب ـ: عون، وإليه يرجع نسب سيدنا ومولانا الشيخ الكبير الولي المقرب، جامع الشرفين: شرف النسب وشرف المعرفة بالله والأدب، ذي الكرامات الظاهرة: أبي الحسن، وأبي الأشبال علي الأهدل، إنه علي بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمام بن عون بن موسى الكاظم عليه السلام بن جعفر الصادق....[1]

إدريس

إدريس بن موسى بن جعفر. ذكره النسّابة أحمد بن محمد الجيلاني النجفي، كما قاله باقر شريف القرشي في حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

وكذا قال: وذكر السيّد الروضاتي شجرة لعقبه.

وقال أيضاً: وإليه ينتمي السيّد خواجة معين الدين السنجري....[2]

شرف الدين

شرف الدين بن موسى بن جعفر. قال باقر شريف القرشي: وإليه تنتمي السادة الخلخالية، منهم المرحوم العلامة السيّد محمد الخلخالي، نزيل النجف الأشرف، وأولاده وأحفاده، وقد أثبتته شجرة لهم.

---

١. نور الأبصار: ص١٣٩.

٢. حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: ج٢ ص٤٣٦، عن كنز الأنساب للجيلاني: ص٧٤.

صالح

صالح بن موسى بن جعفر. روى القرشي في حياة الإمام موسى بن جعفرعليهما السلام، قال ـ نقلاً عن كنز الأنساب ـ : أعقب ـ الصالح ـ السادة الشهيرين بـ«الشجعان» ولهم شجرة، وقد توفّي في تجريش[1]، ودُفن بها، وقبره مشيد، وعليه بناية ضخمة.

سليمان

سليمان بن موسى بن جعفر. قال: سليمان بن موسى بن جعفرعليهما السلام لم يُذكر في كتب الأنساب سوى في العمدة، ومُشجّر العميدي، ولم نقف على شيء من ترجمته.

الفضل

الفضل بن موسى بن جعفر. ذكره العميدي، وابن عتبة، ولم يذكرا له عقباً.

وقال المفيد في الإرشاد: كان لأبي الحسنعليه السلام سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وأنثى، منهم: علي بن موسى الرضاعليه السلام وإبراهيم، والعباس، والقاسم، وإسماعيل، وجعفر، وهارون، والحسين، وأحمد، ومحمد، وحمزة، وعبد الله، وإسحاق، وعبيد الله، وزيد، والحسين، والفضل، وسليمان.

وفاطمة الكبرى ـ المعروفة بمعصومة، المدفونة بقم ـ وفاطمة الصغرى، ورقية وحكيمة، وأم أبيها، ورقية الصغرى، وكلثم، وأم جعفر، ولبانة، وزينب، وخديجة، وعلية، وآمنة، وحسنة، وبريهة، وعائشة، وأم سلمة، وميمونة، وأم

---

١. تجريش: قرية تقع في شمال طهران من بلاد إيران.

كلثوم.[١]

وابن الخشّاب في تاريخه، قال: ولد له عليه السلام عشرون ابناً، وثمانية عشر بنتاً، وأسماء بنيه: علي الرضا عليه السلام وزيد، وإبراهيم، وعقيل، وهارون، والحسن، والحسين، وعبد الله، وإسماعيل، وعبيد الله، وعمر، وأحمد، وجعفر، ويحيى، وإسحاق، والعباس، وحمزة، وعبد الرحمن، والقاسم، وجعفر الأصغر، ويقال موضع عمر: محمد.[٢]

وابن عنبة في عمدة الطالب، قال: ولد عليه السلام ستّين ولداً، سبعاً وثلاثين بنتاً، وثلاث وعشرين إبناً، درج منهم خمسة، لم يُعقّبوا بغير خلاف، وهم: عبد الرحمن، وعقيل، والقاسم، ويحيى، وداود. ومنهم ثلاثة لهم أُناث، وليس لأحد منهم ولد ذكر، وهم: سليمان، والفضل، وأحمد. ومنهم خمسة في أعقابهم خلاف، وهم: الحسين، وإبراهيم الأكبر، وهارون، وزيد، والحسن. ومنهم عشرة أعقبوا بغير خلاف، وهم: علي ـ الإمام الرضا عليه السلام ـ وإبراهيم الأصغر، والعباس، وإسماعيل، ومحمد، وإسحاق، وحمزة، وعبد الله، وعبيد الله، وجعفر.[٣]

وقال السيّد بحر العلوم: وقال النقيب تاج الدين: أعقب موسى الكاظم عليه السلام من ثلاثة عشر رجلاً، أربعة منهم مكثرون، وهم: علي الرضا عليه السلام، وإبراهيم المرتضى، ومحمد العابد، وجعفر. وأربعة متوسّطون، وهم: زيد النار، وعبد الله، وعبيد الله، وحمزة. وخمسة مُقلّون، وهم: العباس، وهارون، وإسحاق، وإسماعيل، والحسن.[٤]

---

١. راجع الإرشاد: ج٢ ص٢٤٤.
٢. راجع تاريخ مواليد الأئمّة: ص٣٤، في حالات الإمام الكاظم عليه السلام.
٣. راجع عمدة الطالب: ص١٩٦، عقب الإمام موسى الكاظم عليه السلام.
٤. راجع الفوائد الرجاليّة: ج١ ص٤٢٧.

أمّا بناته عليه السلام

فاطمة المعصومة عليها السلام

فاطمة الكبرى بنت موسى بن جعفر: وهي الشهيرة بفاطمة المعصومة، المدفونة بمدينة قم الطيّبة، وهي غنيّة عن الوصف والتعريف. وقد روت هي وأختها زينب، وأُمّ كلثوم حديثاً في فضل جدّهن أميرالمؤمنين عليه السلام، وفضل شيعته، في كتاب المسلسلات، بالإسناد عن بكر بن أحنف، قال: حدّثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه السلام، قالت: حدّثتني فاطمة، وزينب، وأُمّ كلثوم بنات موسى بن جعفر عليهما السلام، قُلن: حدّثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد عليهما السلام، قالت: حدّثتني فاطمة، وسكينة بنتا الحسين بن علي عليهما السلام، عن أُمّ كلثوم بنت علي عليهما السلام، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

لمّا أُسري بي إلى السماء، دخلت الجنّة؛ فإذا أنا بقصر من درّة بيضاء مجوّفة، وعليها باب مكلّل بالدرّ والياقوت، وعلى الباب ستر، فرفعت رأسي؛ فإذا مكتوب على الباب:

«لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي القوم». وإذا مكتوب على الستر: «بخ بخ من مثل شيعة علي عليه السلام! »... إلخ.[1]

وكانت تُحبّ أخاها الإمام الرضا عليه السلام حبّاً شديداً، ولمّا حمل المأمون الإمام الرضا عليه السلام إلى مرو، خرجت فاطمة المعصومة عليها السلام في إثره؛ إذ لم تكن تتحمّل فراقه، وكان ذلك سنة ٢٠١هـ ق.

---

١. راجع كتاب المسلسلات لجعفر بن أحمد القمّي: ص٢٥٠ـ٢٥١، وانظر ترجمتها عليها السلام بالتفصيل في عوالم العلوم للبحراني: ج٢١ ص٣٥٥.

روى الحسن بن محمد القمّي في تاريخ قمّ، قال: أخبرني مشايخ قمّ عن آبائهم: إنّه لمّا أخرج المأمون الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد في سنة مائتين من الهجرة، خرجت فاطمة أُخته تقصده في سنة إحدى ومائتين، فلمّا وصلت إلى ساوة، مرضت، فسألت: كم بينها وبين قمّ.

قالوا: عشرة فراسخ.

فقالت: إحملوني إليها. فحملوها إلى قمّ، وأنزلوها في بيت موسى بن خزرج بن سعد الأشعري.

قال: وفي أصحّ الروايات: إنّه لمّا وصل خبرها إلى قمّ، استقبلها أشراف قمّ، وتقدّمهم موسى بن الخزرج، فلمّا وصل إليها، أخذ بزمام ناقتها، وجرّها إلى منزله، وكانت في داره سبعة عشر يوماً، ثمّ توفّيت عليها السلام.

فأمر موسى بتغسيلها، وتكفينها، وصلّى عليها، ودفنها في أرض كانت له، وهي الآن روضتها، وبنى عليها سقيفة من البواري إلى أن بنت زينب بنت محمد بن علي الجواد عليه السلام عليها قبّة.

ثمّ قال: وأخبرني الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد: إنّه لمّا توفّيت فاطمة ـ المعصومة عليها السلام ـ، وغُسّلت، وكُفّنت، حملوها إلى مقبرة بابلان، ووضعوها على سرداب حُفر لها، فاختلف آل سعد فيمن يُنزلها إلى السرداب، ثمّ اتّفقوا على خادم لهم صالح كبير السن، يقال له: قادر، فلمّا بعثوا إليه رأوا راكبين مقبلين من جانب الرملة، وعليهما لثام، فلمّا قربا من الجنازة، نزلا وصلّيا عليها، ثمّ نزلا السرداب، وأنزلا الجنازة، ودفناها فيه، ثمّ خرجا ولم يُكلّما أحداً، وركبا وذهبا، ولم يدر أحد من هما!

قال: المحراب الذي كانت فاطمة عليها السلام تُصلّي فيه موجود إلى الآن في دار

موسى، ويزوره الناس. إنتهى.[١]

وموسى بن الخزرج جعل بيته الذي كان فيه محراب عبادتها مسجداً، وذلك اجلالاً واكراماً لها، وليكون بمفاد ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٢] بيتاً يُعبد الله فيه، ويُسبّح، ويُحمد، ويُهلّل، ويُكبّر له سبحانه.

وذكر بعض المحقّقين من العلماء: إنّ فاطمة بنت موسى الكاظمعليهما السلام قد ماتت مسمومة بسمّ بعثه المأمون العبّاسي.[٣]

آمنة

آمنة بنت موسى بن جعفر. سيّدة جليلة، مصون، ذات كرامات، توفّيت في مصر، وقبرها هناك يُزار.

وحكى سادن روضتها عن كرامة لها، قائلاً:

إنّ شخصاً جاء له بمقدار من الزيت، وطلب منه أن يوقده للضياء في ليلة واحدة. فجعله السادن في القناديل، فلم يوقد منه شيء، فتعجب من ذلك! ورأى في منامه السيّدة وهي تقول له: ردّ عليه زيته، واسأله من أين اكتسبه؟ فإنّا لا نقبل إلا الطيّب.

فلمّا أصبح الصبح، جاء صاحب الزيت، فقال له السادن: خُذ زيتك!

قال: لمه!؟

قال: إنّه لم يوقد منه شيء، ورأيتها في المنام، فقالت: لا نقبل إلا الطيّب.

---

١. راجع تاريخ قمّ: ص٢١٣.

٢. سورة النور، الآية: ٣٦.

٣. راجع حياة الإمام الإمام الرضاعليه السلام للسيّد جعفر مرتضى: ص٤٢٨، ما يُقال حول وفاة الإمامعليه السلام.

قال: صدقت السيّدة، إنّي رجل مكّاس.[١][٢]

حكيمة

حكيمة بنت موسى بن جعفر. وهي التي حضرت بأمر أخيها الإمام الرضا عليه السلام لدى أُمّ الإمام الجواد عليه السلام عند ولادته، وروت كيفية ولادته عليه السلام وما جرى له من المعجزات حينذاك.

فعن العلامة ابن شهر آشوب في مناقب، قال: عن حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، قالت:

لمّا حضرت ولادة الخيزران، أُمّ أبي جعفر عليهما السلام، دعاني الرضا عليه السلام فقال: يا حكيمة، احضري ولادتها، وادخلي وإياها والقابلة بيتاً. ووضع عليه السلام لنا مصباحاً، وأغلق الباب علينا، فلمّا أخذها الطلق؛ طفئ المصباح، وبين يديها طست، فاغتممت بطفئ المصباح، فبينا نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر عليه السلام في الطست، وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتّى أضاء البيت، فأبصرناه، فأخذته فوضعته في حجري، ونزعت عنه ذلك الغشاء، فجاء الرضا عليه السلام وفتح

---

١. المَكْسُ: الجباية. مَكَسَه يَمْكِسه مَكْساً، ومكَسْتُه أمْكِسه مَكْساً. والمَكْسُ: دراهم كانت تؤخذ من بائع السِّلَع في الأَسواق في الجاهلية. والماكِسُ: العَشَّار، ويُقال للعَشَّار: صاحب مَكْسٍ. والمَكْسُ: ما يأخذه العَشّار؛ يُقال: مَكَسَ، فهو ماكِسٌ إذا أَخذ.
ابن الأَعرابي: المَكْسُ: دِرْهم كان يأْخذه المُصَدَّقُ بعد فراغه وفي الحديث: لا يدخل صاحب مَكْسٍ الجنةَ. المَكْسُ: الضريبة التي يأخذها الماكِسُ، وأَصله الجباية، وفي حديث ابن سيرين، قال لأَنس: تستعملني ـ أي، على عُشُور الناس؛ فأُماكِسُهم، ويُماكِسوني. قيل: معناه، تستعملني على ما يَنقص دِيني؛ لما يخاف من الزيادة والنقصان في الأَخذ والترك. لسان العرب لابن منظور: ج٦ ص٢٢٠ «مادّة مكس».

٢. راجع نور الأبصار للشبلنجي: ص١٨٣.

الباب، وقد فرغنا من أمره... إلخ.[١]

فاطمة الصغرى

فاطمة الصغرى بنت موسى بن جعفر، المدفونة في «بادكوبه» بآذربيجان، وقبرها واقع في وسط مسجد، بناؤه قديم.[٢]

١. راجع مناقب آل أبي طالب: ج٣ص٤٩٩.
٢. راجع تُحفة العالم لبحر العلوم: ص٤٧.

الخاتمة

تقدّم عنّا نبذة يسيرة، وقطرة من بحر فضائل ومناقب السابع من أوصياء، وخلفاء رسول الله ﷺ، الذين أخبر عنهم النبي ﷺ بقوله: يكون بعدي أثنا عشر خليفة.[1] وما دوّناه في هذا الكتاب إنّما يصور هُنيهة من حيات الإمام موسى بن جعفر عليه السلام المباركة، ويُعطي مثلاً موجزاً عنها.

نعم، إنّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام إنّما استحقّ لأن يُعد كنزاً من كنوز الإسلام التربويّة، والعلمية التي لا تنفد. هو عليه السلام وآبائه، وأبنائه الطيبين الطاهرين المعصومين قد ملؤوا الآفاق بفضائلهم، ومناقبهم، ومآثرهم، وكراماتهم، وسمو بشخصيتهم العظيمة حتّى تملّكوا قلوب أولي الألباب من المسلمين، فازداد من كان قلبه مطمأنّاً بالإيمان إيماناً بوصايتهم، وخلافتهم لرسول الله ﷺ، وإمامتهم لأُمّته من بعده إلى يوم يبعثون.

فسلام عليهم يوم ولدوا، ويوم استُشهدوا، ويوم يُبعثون أحياء.

ونزيّن خاتمة الكتاب بأبيات من قصيدة للعلامة الإربلي، يقول فيها:

مدائحي وقف على الكاظم	فما على العاذل واللائم
وكيف لا أمدح مولى غدا	في عصره خير بني آدم
ومن كموسى أو كآبائه	أو كعلي وإلى القائم
إمام حق يقتضي عدله	لو سلم الحكم إلى الحاكم
إفاضة العدل وبذل الندى	والكف من عادية الظالم
يبسم للسائل مستبشراً	أفديه من مستبشر باسم
ليث الوغى في الحرب دامي	وغيث جود كالحيا الساجم
مآثر يعجز عن وصفها	بلاغة الناثر والناظم

---

١. تقدّم تخريجه، فراجع.

تعـــد إن قيـــست إلى جـــوده ... معايبـا مـا قيـل عـن حـاتم
في بحـــر حلـــم زاخـــر مـــده ... وفي الـوغى أمضى مـن الـصارم
يعفـو عـن الجاني ويـولي النـدى ... ويحمـل الغـرم عـن الغـارم
القـــائم الـــصائم أكـــرم بـــه ... مـن قـائم مجتهـد صـائم
مـن معـشر سـنو النـدى والقـرى ... وأشـرقوا في الـزمن القـاتم
وأحـرزوا خـصل العلـى فاغتـدوا ... أشـرف خلـق الله في العـالم
يـروي المعـالي عـالم مـنهم ... مـصدق في النقـل عـن عـالم
قـد اسـتووا في شـرف المرتقـى ... كمـا تـساوت حلقـة الخـاتم
مـن ذا يجـاريهم إذا مـا اعتـزوا ... إلى علـــي وإلى فـــاطم
ومـــن ينـــاويهم إذا عـــددوا ... خـير بـني الـدنيا أبـا القاسـم
صـلى عليـه الله مـن مرسـل ... لمـا أتـى مـن قبلـه خـاتم
يـا آل طـه أنـا عبـد لكـم ... بـاق علـى حـبكم الـلازم
أرجـو بكـم نيـل الأمـاني غـدا ... إذا اسـتبانت حـسرة النـادم

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

أحمد بن عبد العزيز الموسوي الفالي
قمّ المقدّسة

الفهرس